صلح الحسن عليه السلام

السيد شرف الدين

بسم الله الرحمن الرحیم

صلح الحسن عليه‌السلام

کاتب:

عبدالحسين شرف الدين

نشرت فی الطباعة:

موسسه تحقيقات و نشر معارف اهل البيت (ع)

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

صلح الحسن علیه السلام

اشارة

پدیدآور: شرف الدین، عبدالحسین ۱۸۷۳-۱۹۵۸م.،Sharaf-Din, Abdul Husayn

مقدمۀ عبدالحسین شرف الدین العاملی

ناشر: موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل البیت (ع)

موضوع: صلح با معاویه

حسن بن علی (ع)، امام دوم، ۳-۵۰ق.

صفحه ۰۰۱

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۱

صلح الحسن علیه السلام مقدمۀ الامام السید عبد الحسین شرف الدین العاملی

(۱)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، السید عبد الحسین شرف الدین (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)

صفحه ۰۰۲

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲

الفهرس

(۲)

صفحه ۰۰۳

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳

(۳)

مفاتیـح البحث: الإمـام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السـلام (۱)، الإمـام الحسن بن علی المجتبی علیهما السـلام (۱)، مدینة الکوفة (۳)، صلح (یوم) الحدیبیة (۳)، عبد الله بن خلیفة الطائی (۱)، عبد الله بن یحیی الحضرمی (۱)، عبد الله بن هاشم (۱)، حجر بن عدی الکندی (۱)، جویریة بن مسـهر (۱)، صعصـعة بن صوحان (۱)، عـدی بن حاتم (۱)، رشید الهجری (۱)، عمرو بن الحمـق (۱)، الشهادة (۱)

صفحه ۰۰۴

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۵

بسم الله الرحمن الرحیم کان صـلح الحسن علیه السـلام مع معاویة، من أشد ما لقیه أئمة أهل البیت من هذه الأمة بعد رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم.

لقی به الحسن علیه السـلام محنا یضـیق بها الوسع، لا قوة لاحد علیها الا بالله عز وجل. لکنه رضخ لها صابرا محتسـبا، وخرج منها ظافرا بمـا یبتغیه من النصـح لله تعالی، ولکتابه عز وجل، ولرسوله، ولخاصـة المسـلمین وعامتهم، وهـذا الـذی یبتغیه ویحرص علیه فی کل ما یأخذ أو یدع من قول أو فعل.

ولا وزن لمن اتهمه بأنه أخلد بصـلحه إلی الدعة، وآثر العافیة والراحة، ولا لمن طوحت بهم الحماسة من شیعته فتمنوا علیه لو وقف فی جهـاد معاویـة فوصل إلی الحیاة من طریق الموت، وفاز بالنصـر والفتـح من الجهـة التی انطلق منها صـنوه یوم الطف إلی نصـره العزیز، وفتحه المبین.

ومن الغریب بقاء الناس فی عشواء غماء من هذا الصـلح إلی یومهم هذا، لا یقوم أحد منهم فی بیان وجهة الحسن فی صـلحه، بمعالجة موضوعیة مستوفاة ببیانها وبیناتها، عقلیة ونقلیة، وکم کنت أحاول ذلک، لکن الله عز وجل شاء بحکمته أن یختص بهذه المأثرة من هو أولی بهـا، وأحـق بکـل فضـیلة، ذلـک هو مؤلف هـذا السـفر البکر " صـلح الحسن " فـإذا هو فی موضوعه فصـل الخطـاب، ومفصـل الصواب، والحد الفاصل بین الحق والباطل.

وقفت منه علی فصول غر، تمثل فضل مؤلفها الأغر الأبر، فی کل ما

(۵)

مفاتیـح البحث: الإمـام الحسن بن علی المجتبی علیهمـا السـلام (۲)، الرسول الأـکرم محمـد بن عبـد الله صـلی الله علیه وآله (۱)، یوم عاشوراء (۱)، کتاب فصل الخطاب لسـلیمان أخ محمد بن عبد الوهاب (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۳)، الموت (۱)، العزّة (۱)، الوسعة (۱)، الباطل، الإبطال (۱)

صفحه ۰۰۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۶

یشترکان فیه من التحقیق، والدقة والاعتدال، وسـطوع البیان والبرهان، والتأنق والتتبع، والورع فی النقل، والرحابة فی المناظرة، والإحاطة بما یناسب الموضوع، مع سهولة الأسلوب، وانسجام التراکیب، وبلاغة الایجاز إذا أوجز، وقبول الاطناب إذا أطنب.

فالکتاب یخضع لفکر منظم مبـدع حجة، یصل وحدته بجداول دفاقة بالثراء العقلی والنقلی، وبروادف غنیة کل الغنی، فی کل ما یرجع إلی الموضوع، ویتم علیه عناصره القیمة.

فالاناقة فیه تخامر الاستیعاب، والوضوح یلازم العمق، والنقد التحلیلی مرتکز هذه الخصائص.

أما المؤلف - أعلی الله مقامه - فإنک تسـتطیع أن تسـتشف ملامحه، من حیث تنظر إلی مواهبه فی کتابه هـذا، ولو لم أره لقـدرت أن

أرسم له صورة أستوحى قسماتها من هذا السفر، إذ يريكه واضح الغرة، مشرق الوجه، حلو الحديث، هادئ الطبع، واسع الصدر، لين العريكة، وافر الذهن، غزير الفهم والعلم، واسع الرواية، حسن الترسل، حلو النكتة، لطيف الكناية، بديع الاستعارة، تنطق الحكمة من محاسن خلاله، ويتمثل الفضل بكل معانيه في منطقه وأفعاله، لا ترى أكرم منه خلقا، ولا أنبل فطرة، عليما زاخرا بعلوم آل محمد، علامة بحاثة، أمعن في التنقيب عن أسرارهم، يستجلى غوامضها، ويستبطن دخائلها، لا تفوته منها واردة ولا شاردة، إلى خصائص في ذاته وسماته يمثلها كتابه هذا بجلاء.

ومن أمعن فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، من أحوال الحسن ومعاوية، علم انهما لم ترتجلهما المعركة ارتجالا، وانما كانا في جبهتيهما خليفتين، استخلفهما الميراث على خلقين متناقضين: فخلق الحسن انما هو خلق الكتاب والسنة، وان شئت فقل خلق محمد وعلى. وأما خلق معاوية فإنما هو خلق " الأموية، " وان شئت فقل: خلق أبي سفيان وهند، على نقيض ذلك الخلق.

(۶)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الغنى (۱)، الوسعة (۲)، الحج (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۱)

صفحه ۰۰۶

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۷

والمتوسع في تاريخ البيتين وسيرة إبطالهما من رجال ونساء يدرك ذلك بجميع حواسه.

لكن لما ظهر الاسلام، وفتح الله لعبده ورسوله فتحه المبين، ونصره ذلك النصر العزيز، انقطعت نوازى الشر " الأموى، " وبطلت نزعات أبي سفيان ومن اليه مقهورة مبهورة، متوارية بباطلها من وجه الحق الذى جاء به محمد عن ربه عز وجل، بفرقانه الحكيم، وصراطه المستقيم، وسيوفه الصارمة لكل من قاومه.

وحينئذ لم يجد أبو سفيان وبنوه ومن إليهم بدا من الاستسلام، حقنا لدمائهم المهدورة يومئذ لو لم يستسلموا، فدخلوا فيما دخل فيه الناس، وقلوبهم تنغل بالعداوة له، وصدورهم تجيش بالغل عليه، يتربصون الدوائر بمحمد ومن اليه، ويبغون الغوائل لهم. لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان – مع علمه بحالهم – يتألفهم بجزيل الأموال، وجميل الأقوال والافعال، ويتلقاهم بصدر رحب، ومحيا منبسط، شأنه مع سائر المنافقين من أهل الحقد عليه، يبتغى استصلاحهم بذلك.

وهذا ما اضطرهم إلى اخفاء العداوة له، يطوون عليها كشحهم خوفا وطمعا، فكاد الناس بعد ذلك ينسون " الأموية " حتى في موطنها الضيق – مكة –.

اما في ميادين الفتح بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تعرف " الأموية " بشيء، سوى أنها من أسرة النبى ومن صحابته.

ثم أتيح بعد النبى لقوم ليسوا من عترته، أن يتبوأ مقعده، وأتيح لمعاوية في ظلهم أن يكون من أكبر ولاة المسلمين، أميرا من أوسع أمرائهم صلاحية في القول والعمل.

ومعاوية إذ ذاك يتخذ بدهائه من الاسلام سبيلا يزحف منه إلى الملك العضوض، ليتخذ به دين الله دغلا، وعباد الله خولا، ومال الله دولا، كما انذر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان ذلك من اعلام نبوته.

(۷)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۳)، الدولة الأموية (۲)، مدينة مكة المكرمة (۱)، النفاق (۱)، العزّة (۱)

صفحه ۰۰۷

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۸

نشط معاویة فی عهد الخلیفتین الثانی والثالث، بإمارته علی الشام عشرین سنة، تمکن بها فی أجهزة الدولة، وصانع الناس فیها وأطمعهم به فکانت الخاصة فی الشام کلها من أعوانه، وعظم خطره فی الاسلام، وعرف فی سائر الأقطار بکونه من قریش - أسرة النبی صلی الله علیه وآله وسلم - وأنه من أصحابه، حتی کان فی هذا أشهر من کثیر من السابقین الأولین الذین رضی الله عنهم ورضوا عنه، کأبی ذر وعمار والمقداد وأضرابهم.

هکذا نشأت " الأمویة " مرة أخری، تغالب الهاشمیة باسم الهاشمیة فی علنها، وتکید لها کیدها فی سرها، فتندفع مع انطلاق الزمن تخدع العامة بدهائها، وتشتری الخاصة بما تغذقه علیهم من أموال الأمة، وبما تؤثرهم به من الوظائف التی ما جعلها الله للخونة من أمثالهم، تستغل مظاهر الفتح واحراز الرضا من الخلفاء.

حتی إذا استتب أمر " الأمویة " بدهاء معاویة، انسلت إلی احکام الدین انسلال الشیاطین، تدس فیها دسها، وتفسد افسادها، راجعة بالحیاة إلی جاهلیة تبعث الاستهتار والزندقة، وفق نهج جاهلی، وخطة نفعیة، ترجوها " الأمویة " لاستیفاء منافعها، وتسخرها لحفظ امتیازاتها.

والناس - عامة - لا یفطنون لشیء من هذا، فان القاعدة المعمول بها فی الاسلام - أعنی قولهم: الاسلام یجب ما قبله - ألقت علی فظائع " الأمویة " سترا حجبها، ولا سیما بعد أن عفا عنها رسول الله وتألفها، وبعد أن قربها الخلفاء منهم، واصطفوها بالولایات علی المسلمین، وأعطوها من الصلاحیات ما لم یعطوا غیرها من ولاتهم. فسارت فی الشام سیرتها عشرین عاما (لا یتناهون عن منکر فعلوه) ولا ینهون.

وقد کان الخلیفة الثانی عظیم المراقبة لعماله، دقیق المحاسبة لهم، لا یأخذه فی ذلک مانع من الموانع أصلا: تعتع بخالد بن الولید، عامله علی " قنسرین " إذ بلغه أنه اعطی الأشعث عشرة آلاف، فأمر به فعقله " بلال الحبشی " بعمامته، وأوقفه بین یدیه علی رجل واحدة، مکشوف الرأس،

(۸)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، الدولة الأمویة (۴)، الخلیفة عمر بن الخطاب (۱)، خالد بن الولید (۱)، الشام (۳)، الجهل (۱)

صفحه ۰۰۸

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۹

علی رؤوس الاشهاد من رجال الدولة ووجوه الشعب فی المسجد الجامع بحمص، یسأله عن العشرة آلاف: أهی من ماله أم من مال الأمة؟ فان کانت من ماله فهو الاسراف، والله لا یحب المسرفین. وان کانت من مال الأمة فهی الخیانة، والله لا یحب الخائنین، ثم عزله فلم یوله بعد حتی مات.

ودعا أبا هریرة، فقال له ": علمت أنی استعملتک علی البحرین، وأنت بلا نعلین! ثم بلغنی أنک ابتعت أفراسا بألف دینار وستمائة دینار "! قال ": کانت لنا أفراس تناتجت، وعطایا تلاحقت. " قال ": حسبت لک رزقک ومؤونتک وهذا فضل فأده. " قال ": لیس لک ذلک. " قال ": بلی وأوجع ظهرک. " ثم قام الیه بالدرة فضربه حتی أدماه. ثم قال ": إئت بها. " قال ": احتسبها عند الله. " قال: "ذلک لو أخذتها من حلال، وأدیتها طائعا!. أجئت من أقصی حجر البحرین یجبی الناس لک لا لله ولا للمسلمین؟ ما رجعت بک أمیمة - یعنی أمه - الا لرعیة الحمر."

وفی حدیث أبی هریرة ": لما عزلنی عمر عن البحرین، قال لی: یا عدو الله وعدو کتابه، سرقت مال الله! فقلت: ما أنا عدو الله وعدو

كتابه، ولكنى عدو من عاداك، وما سرقت مال الله. قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف؟ فقلت: خيل تناتجت، وعطايا تلاحقت، وسهام تتابعت. قال: فقبضها منى " الحديث.
وكم لعمر مع عماله من أمثال ما فعله بخالد وأبى هريرة يعرفها المتتبعون.
عزل كلا من أبى موسى الأشعرى، وقدامة بن مظعون، والحارث بن وهب، أحد بنى ليث بن بكر، بعد أن شاطرهم أموالهم (۱).
هذه مراقبة عمر لعماله، لا هوادة عنده لاحد منهم، لكن معاوية كان أثيره وخلصه، على ما كان من التناقض فى سيرتيهما. ما كف يده عن شئ ولا ناقشه الحساب فى شئ، وربما قال له ": لا آمرك ولا أنهاك " يفوض له العمل برأيه.
(۱) فيما رواه الزبير بن بكار فى كتابه – الموفقيات – ونقله عنه ابن حجر فى ترجمة الحارث بن وهب فى القسم الأول من اصابته.
(۹)
مفاتيح البحث: أبو هريرة العجلى (۳)، قدامة بن مظعون (۱)، الموت (۱)، الإسراف (۱)، السجود (۱)، الزبير بن بكار (۱)

صفحه ۰۰۹

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۱۰
وهذا ما أطغى معاوية، وأرهف عزمه على تنفيذ خططه " الأموية. " وقد وقف الحسن والحسين من دهائه ومكره إزاء خطر فظيع، يهدد الاسلام باسم الاسلام، ويطغى على نور الحق باسم الحق، فكانا فى دفع هذا الخطر، أمام أمرين لا ثالث لهما: اما المقاومة، واما المسالمة. وقد رأيا أن المقاومة فى دور الحسن تؤدى لا محالة إلى فناء هذا الصف المدافع عن الدين وأهله، والهادى إلى الله عز وجل، والى صراطه المستقيم. إذ لو غامر الحسن يومئذ بنفسه وبالهاشميين وأوليائهم، فواجه بهم القوة التى لا قبل لهم بها (۱) مصمما على التضحية، تصميم أخيه يوم " الطف " لانكشفت المعركة عن قتلهم جميعا، ولانتصرت " الأموية " بذلك نصرا تعجز عنه إمكانياتها، ولا تنحسر عن مثله أحلامها وأمنياتها. إذ يخلو بعدهم لها الميدان، تمعن فى تيهها كل امعان، وبهذا يكون الحسن – وحاشاه – قد وقع فيما فر منه على أقبح الوجوه، ولا يكون لتضحيته أثر لدى الرأى العام الا التنديد والتفنيد (۲).
(۱) كما أوضحه الشيخ فى كتابه هذا.
(۲) لان معاوية كان يطلب الصلح ملحا على الحسن بذلك، وكان يبذل له من الشروط لله تعالى وللأمة كل ما يشاء، يناشده الله فى حقن دماء أمة جده، وقد أعلن طلبه هذا فعلمه المعسكران، مع ان الغلبة كانت فى جانبه لو استمر القتال، يعلم ذلك الحسن ومعاوية وجنودهما، فلو أصر الحسن – والحال هذه – على القتال، ثم كانت العاقبة عليه لعذله العاذلون وقالوا فيه ما يشاؤون.
ولو اعتذر الحسن يومئذ بأن معاوية لا يفى بشرط، ولا هو بمأمون على الدين ولا على الأمة، لما قبل العامة يومئذ عذره، إذ كانت مغرورة بمعاوية كما أوضحناه. ولم تكن الأموية يومئذ سافرة بعيوبها سفورا بينا بما يؤيد الحسن أو يخذل معاوية كما أسلفنا بيانه من اغترار الناس بمعاوية وبمكانته من أولى الامر الأولين، لكن انكشف الغطاء، فى دور سيد الشهداء فكان لتضحيته عليه السلام من نصرة الحق وأوليائه آثاره الخالدة والحمد لله رب العالمين.
اقرأ فصل " سر الموقف " من هذا الكتاب.
(۱۰)
مفاتيح البحث: يوم عاشوراء (۱)، الدولة الأموية (۳)، القتل (۳)، النفاذ، التنفيذ (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، الخلود (۱)، الشهادة (۱)

صفحه ۰۱۰

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۱۱

ومن هنا رأى الحسن عليه السلام أن يترك معاوية لطغيانه، ويمتحنه بما يصبو اليه من الملك، لكن أخذ عليه فى عقد الصلح، أن لا يعدو الكتاب والسنة فى شئ من سيرته وسيرة أعوانه ومقوية سلطانه، وأن لا يطلب أحدا من الشيعة بذنب أذنبه مع الأموية، وأن يكون لهم من الكرامة وسائر الحقوق ما لغيرهم من المسلمين، وأن، وأن، وأن. إلى غير ذلك من الشروط التى كان الحسن عالما بأن معاوية لا يفى له بشىء منها وأنه سيقوم بنقائضها (١).

هذا ما أعده عليه السلام لرفع الغطاء عن الوجه " الأموى " المموه، ولصهر الطلاء عن مظاهر معاوية الزائفة، ليبرز حينئذ هو وسائر أبطال " الأموية " كما هم جاهليين، لم تخفق صدورهم بروح الاسلام لحظة، ثأرين لم تنسهم مواهب الاسلام ومراحمه شيئا من أحقاد بدر واحد والأحزاب.

وبالجملة فان هذه الخطة ثورة عاصفة فى سلم لم يكن منه بد، أملاه ظرف الحسن، إذ التبس فيه الحق بالباطل، وتسنى للطغيان فيه سيطرة مسلحة ضارية.

ما كان الحسن ببادئ هذه الخطة ولا بخاتمها، بل أخذها فيما أخذه من ارثه، وتركها مع ما تركه من ميراثه. فهو كغيره من أئمة هذا البيت، يسترشد الرسالة فى اقدامه وفى احجامه. امتحن بهذه الخطة فرضخ لها صابرا محتسبا وخرج منها ظافرا طاهرا، لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها.

أخذ هذه الخطة من صلح " الحديبية " فيما أثر من سياسة جده صلى الله عليه وآله وسلم، وله فيه أسوة حسنة، إذ أنكر عليه بعض الخاصة من أصحابه، كما أنكر على الحسن صلح " ساباط " بعض الخاصة من أوليائه، فلم يهن بذلك عزمه، ولا ضاق به ذرعه.

وقد ترك هذه الخطة نموذجا صاغ به الأئمة التسعة - بعد سيدى

(١) اقرأ ما يتعلق بنصوص المعاهدة وشروطها ومدى وفاء معاوية بكل منها فى فصول هذا الكتاب.

(١١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (٢)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، الباطل، الإبطال (١)، الكرم، الكرامة (١)، اللبس (١)، الطهارة (١)، الجهل (١)

صفحه ۱۱۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢

شباب أهل الجنة - سياستهم الحكيمة، فى توجيهها الهادئ الرصين، كلما اعصوصب الشر. فهى إذا جزء من سياستهم الهاشمية الدائرة أبدا على نصرة الحق، لا على الانتصار للذات فيما تأخذ أو تدع.

تهيأ للحسن بهذا الصلح أن يغرس فى طريق معاوية كمينا من نفسه يثور عليه من حيث لا يشعر فيرديه، وتسنى له به أن يلغم نصر الأموية ببارود الأموية نفسها. فيجعل نصرها جفاءا، وريحا هباءا.

لم يطل الوقت حتى انفجرت أولى القنابل المغروسة فى شروط الصلح، انفجرت من نفس معاوية يوم نشوته بنصره، إذ انضم جيش العراق إلى لوائه فى النخيلة. فقال - وقد قام خطيبا فيهم " -: يا أهل العراق، انى والله لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتزكوا، ولا لتحجوا، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطانى الله ذلك وأنتم كارهون!. ألا وان كل شئ أعطيته للحسن بن على جعلته تحت قدمى هاتين."!

فلما تمت له البيعة خطب فذكر عليا فنال منه، ونال من الحسن، فقام الحسين ليرد عليه، فقال له الحسن ": على رسلك يا أخى. " ثم قام عليه السلام فقال ": أيها الذاكر عليا! أنا الحسن وأبى على، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمى فاطمة وأمك هند، وجدى رسول الله وجدك عتبة، وجدتى خديجة وجدتك فتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا، وألأمنا حسبا، وشرنا قديما، وأقدمنا كفرا ونفاقا "! فقالت

طوائف من أهل المسجد ": آمين."

ثم تتابعت سياسة معاوية، تتفجر بكل ما يخالف الكتاب والسنة من كل منكر فى الاسلام، قتلا للأبرار، وهتكا للاعراض، وسلبا للأموال، وسجنا للأحرار، وتشريدا للمصلحين، وتأييدا للمفسدين الذين جعلهم وزراء دولته، كابن العاص، وابن شعبة، وابن سعيد، وابن أرطأة، وابن جندب، وابن السمط، وابن الحكم، وابن مرجانة، وابن عقبة، وابن سمية الذى نفاه عن أبيه الشرعى عبيد، وألحقه بالمسافح أبيه أبى سفيان ليجعله بذلك أخاه، يسلطه على الشيعة فى العراق، يسومهم سوء العذاب،

(۱۲)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (۲)، دولة العراق (۳)، صلح (يوم) الحديبية (۲)، ابن مرجانة لعنه الله (۱)، السجود (۱)، الموت (۱)، العذاب، العذب (۱)

صفحه ۰۱۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۳

يذبح أبناءهم، ويستحيى نساءهم، ويفرقهم عباديد، تحت كل كوكب، ويحرق بيوتهم، ويصطفى أموالهم، لا يألو جهدا فى ظلمهم بكل طريق.

ختم معاوية منكراته هذه بحمل خليعة المهتوك على رقاب المسلمين، يعيث فى دينهم ودنياهم، فكان من خليعة ما كان يوم الطف، ويوم الحرة، ويوم مكة إذ نصب عليها العرادات والمجانيق!.

هذه خاتمة أعمال معاوية، وانها لتلائم كل الملاءمة فاتحة أعماله القاتمة.

وبين الفاتحة والخاتمة تتضاغط شدائد، وتدور خطوب، وتزدحم محن، ما أدرى كيف اتسعت لها مسافة ذلك الزمن، وكيف اتسع لها صدر ذلك المجتمع؟ وهى - فى الحق - لو وزعت على دهر لضاق بها، وناء بحملها، ولو وزعت على عالم لكان جديرا أن يحول جحيما لا يطاق.

ومهما يكن من أمر، فالمهم أن الحوادث جاءت تفسر خطة الحسن وتجلوها. وكان أهم ما يرمى اليه سلام الله عليه، أن يرفع اللثام عن هؤلاء الطغاة، ليحول بينهم وبين ما يبيتون لرسالة جده من الكيد.

وقد تم له كل ما أراد، حتى برح الخفاء، وآذن أمر الأموية بالجلاء، والحمد لله رب العالمين.

وبهذا استتب لصنوه سيد الشهداء أن يثور ثورته التى أوضح الله بها الكتاب، وجعله فيها عبرة لأولى الألباب.

وقد كانا عليهما السلام وجهين لرسالة واحدة، كل وجه منهما فى موضعه منها، وفى زمانه من مراحلها، يكافئ الآخر فى النهوض بأعبائها ويوازنه بالتضحية فى سبيلها.

فالحسن لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين أسخى منه بها فى سبيل الله، وانما صان نفسه يجندها فى جهاد صامت، فلما حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسنية، قبل ان تكون حسينية.

وكان يوم ساباط أعرق بمعانى التضحية من يوم الطف لدى اولى

(۱۳)

مفاتيح البحث: يوم عاشوراء (۲)، الدولة الأموية (۱)، مدينة كربلاء المقدسة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، سبيل الله (۱)، الذبح (۱)، الإخفاء (۱)، الشهادة (۳)، الوسعة (۱)

صفحه ۰۱۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۴

الألباب ممن تعمق.

لان الحسن عليه السلام، أعطى من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره فى صورة مستكين قاعد.

وكانت شهادة " الطف " حسنية أولا، وحسينية ثانيا، لان الحسن أنضج نتائجها، ومهد أسبابها.

كان نصر الحسن الدامى موقوفا على جلو الحقيقة التى جلاها - لأخيه الحسين - بصبره وحكمته، وبجلوها انتصر الحسين نصره العزيز وفتح الله له فتحه المبين.

وكانا عليهما السلام كأنهما متفقان على تصميم الخطة: أن يكون للحسن منها دور الصابر الحكيم، وللحسين دور الثائر الكريم، لتتألف من الدورين خطة كاملة ذات غرض واحد.

وقد وقف الناس - بعد حادثتى ساباط والطف - يمعنون فى الاحداث فيرون فى هؤلاء الأمويين عصبة جاهلية منكرة، بحيث لو مثلت العصبيات الجلفة النذلة الظلوم لم تكن غيرهم، بل تكون دونهم فى الخطر على الاسلام وأهله.

رأى الناس من هؤلاء الأمويين، قردة تنزو على منبر رسول الله، تكشر للأمة عن أنياب غول، وتصافحها بأيد تمتد بمخالب ذئب، فى نفوس تدب بروح عقرب.

رأوا فيهم هذه الصورة منسجمة شائعة متوارثة، لم تخفف من شرها التربية الاسلامية، ولم تطامن من لؤمها المكارم المحمدية. فمضغ الأكباد يوم هند وحمزة، يرتقى به الحقد الأموى الأثيم، حتى يكون تنكيلا بربريا يوم الطف، لا يكتفى بقتل الحسين، حتى يوطئ الخيل صدره وظهره. ثم لا يكتفى بذلك، حتى يترك عاريا بالعراء، لوحوش الأرض وطير السماء، ويحمل رأسه ورؤوس الشهداء من آله وصحبه على أطراف الأسنة إلى الشام. ثم لا يكتفى بهذا كله، حتى يوقف حرائر الوحى من بنات رسول الله على درج السبى...!!! (۱۴)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، يوم عاشوراء (۳)، الدولة الأموية (۲)، رؤوس الشهداء (۱)، الشام (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، القتل (۱)، العزّة (۱)، الشهادة (۱)، الجهل (۱)

صفحه ۱۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۵

رأى الناس الحسن يسالم، فلا تنجيه المسالمة من خطر هذه الوحشية اللئيمة، حتى دس معاوية اليه السم فقتله بغيا وعدوانا. ورأوا الحسين يثور فى حين أتيح للثورة الطريق إلى أفهامهم تتفجر فيها باليقظة والحرية، فلا تقف الوحشية الأموية بشىء عن المظالم، بل تبلغ فى وحشيتها أبعد المدى.

وكان من الطبيعى أن يتحرر الرأى العام على وهج هذه النار المحرقة منطلقا إلى زوايا التاريخ وأسراره، يستنزل الأسباب من هنا وهناك بلمعان ويقظة، وسير دائب يدنيه إلى الحقيقة، حقيقة الانحراف عن آل محمد، حتى يكون أمامها وجها لوجه، يسمع همسها هناك فى الصدر الأول، وهى تسار وراء الحجب والاستار، وتدبر الامر فى اصطناع هذا " الداهية الظلوم الأموى " اصطناعا يطفئ نور آل محمد، أو يحول بينه وبين الأمة.

نعم أدرك الرأى العام بفضل الحسن والحسين وحكمة تدبيرهما كل خافية من أمر " الأموية " وأمور مسددى سهمها على نحو واضح.

أدرك - فيما يتصل بالأمويين - أن العلاقة بينهم وبين الاسلام انما هى علاقة عداء مستحكم، ضرورة أنه إذا كان الملك هو ما تهدف اليه الأموية، فقد بلغه معاوية، وأتاح له الحسن، فما بالها تلاحقه بالسم وأنواع الظلم والهضم، وتتقصى الأحرار الأبرار من

أوليائه لتستأصل شأفتهم وتقتلع بذرتهم...؟!

وإذا كان الملك وحده هو ما تهدف اليه الأموية، فقد أزيح الحسين من الطريق، وتم ليزيد ما يريد، فما بالها لا تكف ولا ترعوى، وانما تسرف أقسى ما يكون الاسراف والاجحاف فى حركة من حركات الافناء على نمط من الاستهتار، لا يعهد فى تاريخ الجزارين والبرابرة؟؟..

أما ما أنتجته هذه المحاكمة لأولى الألباب، فذلك ما نترك تقديره وبيانه للعارفين بمنابع الخير، ومطالع النور فى التاريخ الاسلامى، على انا فصلناه بآياته وبيناته فى مقدمة " المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطاهرة"

(۱۵)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (۴)، الظلم (۲)، الإسراف (۱)

صفحه ۱۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۶

فليراجع، ولنكتف الآن بالإشارة إلى ما قلناه فى التوحيد بين صلح الحسن وثورة الحسين، والتعاون بين هذين المظهرين، على كشف القناع عن الوجه الأموى المظلم، والاعلان عن الحقيقة الأموية، فأقول عودا على بدء: كانت شهادة الطف حسنية أولا، وحسينية ثانيا. وكان يوم ساباط، أعرق بمعانى الشهادة والتضحية من يوم الطف عند من تعمق واعتدل وأنصف.

الفضل فى كشف هذه الحقيقة انما هو لمولانا ومقتدانا علم الأمة، والخبير بأسرار الأئمة، حجة الاسلام والمسلمين، شيخنا المقدس الشيخ راضى آل ياسين أعلى الله مقامه.

ذلك لان أحدا من الاعلام لم يتفرغ لهذه المهمة تفرغه لها فى هذا الكتاب الفذ الذى لا ثانى له، وها هو ذا مشرف من القمة على الأمة، ليسد فى مكتبتها فراغا كانت فى فاقة إلى سده، فجزاه الله عن الأمة وعن الأئمة، وعن غوامض العلم التى استجلاها، ومخبآته التى استخرجها، ومحص حقائقها، خير جزاء المحسنين، وحشره فى أعلى عليين [مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا].

حرر فى صور (جبل عامل).

فى الخامس عشر من رجب سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة والف من الهجرة.

عبد الحسين شرف الدين الموسوى العاملى المقدمة

(۱۶)

مفاتيح البحث: الثورة الحسينية (۱)، يوم عاشوراء (۲)، الدولة الأموية (۱)، السيد عبد الحسين شرف الدين (۱)، شهر رجب المرجب (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، الشهادة (۳)، الحج (۱)

صفحه ۱۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۷

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وهأنذا مقدم - الآن - بين يدى قارئى الكريم، عصارة بحوث تستملى حقايقها من صميم الواقع غير مدخول بالشكوك، ولا خاضع للمؤثرات عن الحقبة المظلومة التاريخ، التى لم يحفل فى عرضها، بما تستحق - مؤرخونا القدامى، ولم يعن فى تحليلها - كما يجب - كتابنا المحدثون.

تلك هى قطعة الزمن التى كانت عهد خلافة الحسن بن على فى الاسلام والتى جاءت بين دوافع الأولين، وتساهل الآخرين، صورة

مشوهـة من صور التاريـخ. وتعرضت فى مختلف أدوارهـا لما كان يجب ان يتعرض له أمثالها من الفترات المطموسـة المعالم، المنسـية للحقـائق، المقصودة - على الأـكثر - بالاهمـال أو بـالتشويه، فـإذا بالحسن بن على (عليه وعلى أبيه أفضل الصـلاة والسـلام) فى عرف الأكثرين من المتسـرعين بأحكامهم - من شـرقيين وغربيين - الخليفة الضـعيف السـياسة! التوفر على حب النساء! الذى باع " الخلافة " لمعاويـة بالمال!!.. إلى كثير من هـذا الهـذر الظالم، الذى لا يسـتند فى مقاييسه على منطق، ولا يرجع فى تحكماته إلى دليل، ولا يعنى فى ارتجالياته بتحقيق أو تدقيق.

وعمـدت هـذه الفصول إلى تقليـة هـذه الحقبـة القصـيرة من الزمن بمـا هى ظرف احـداث لا تقل بأهميتها - فى ذاتها - ولا بموقعها " الاستراتيجى " فى التاريخ - إذا صح هذا التعبير - عن أعظم الفترات التى مر بها تاريخ

(۱۷)

مفاتيح البحث: الحسن بن على (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الظلم (۱)، الصّلاة (۲)

صفحه ۱۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۸

الاسـلام منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والى يوم الناس، لأنها كانت ظرف الخلافة الفريدة من نوعها فى تاريخ الخلائف الآخرين، ولأنها بدايـة اقرار القاعـدة الجديـدة فى التمييز بين السـلطات الروحيـة والسـلطات الزمنية فى الاسـلام، واللحظة التى صدقت باحـداثها الحـديث النبوى الشـريف الـذى أنبأ برجوع الامـر بعـد ثلاـثين عامـا إلى الملـك العضوض، ولأنهـا الفترة التى تبلورت فيها الحزازات الطائفية لأول مرة فى تاريخ العقائد الاسلامية.

ولم يكن قليلاـ من مجهود هـذه الفصول، ان ترجع - بعـد الجهـد المرتخص فى سبيلهـا - بالخبر اليقين عن الكثير من تلك الحقائق - أبعـد مـا تكون تأتيـا فى البحث، وأكثر مـا تكون تفسـخا فى المصـادر، وأقل ما تكون حظا من تسـلسل الحوادث وتناسق الاحـداث - فتعرضـها فى هـذه السـطور مجلوة على واقعهـا الأـول، أو على أقرب صورة من واقعهـا الـذى تنشأت عليه بين أحضان جيلها المختلف الألوان.

فإذا الحسن بن على (ع) - بعـد هذا - وعلى قصـر عهده فى خلافته، من أطول الخلفاء باعا فى الإدارة والسـياسة، والرجل الذى بلغ من دقته فى تصـريف الأمور، وسـموه فى علاج المشـكلات، انه استغفل معاوية بن أبى سفيان أعنف ما يكون فى موقفه منه حذرا وانتباها واسـتعدادا للحبائل والغوائل. وإذا بزواجه الكثير دليل عظمته الروحية فى الناس. وإذا " بالصلح " الذى حاكه على معاوية أداته الجبارة للقضاء على خصومه فى التاريـخ، دون ان يكون ثمـة ايـة مساومـة على بيعـة أو على خلافـة أو على مال. وإذا كل خطوات هذا الامام، وكل ايجاب أو سلب فى سياسته - مخفقا أو منتصرا - آية من آيات عظمته التى جهلها الناس وظلمها المؤرخون.

وكان من أفظع الكفران لمواهب العظماء، ان يتحكم فى تاريخهم وتنسـيق مراتبهم، ناس من هؤلاء الناس المأخوذين بسوء الـذوق، أو المغلوبين بسوء الطوية، يتظاهرون بالمعرفة ويرتجزون بحسن التفكير، ثم يتحذلقون

(۱۸)

مفاتيـح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السـلام (۱)، الرسول الأكرم محمـد بن عبد الله صـلى الله عليه وآله (۱)، معاوية بن أبى سفيان لعنهما الله (۱)، كتاب العقائد الإسلامية لمركز المصطفى (ص) (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۱۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۹

بالتطاول على الكرامات المجيدة، دون روية ولا- تدقيق ولا- اكتراث، فلا- يدلون بتفريطهم فى احكامهم الا على فرط الضعف فى نفوسهم.

وليس يضر الحسن بن على أن تظلمه الضمائر البليدة ثم ينصفه التمييز. وان لهذا الامام من مواقفه ومن مواهبه ومن عمقه ومن أهدافه ما يضعه بالمكان الأسنى من صفوة " العظماء " الخالدين.

وحسبنا من هذه السطور، أن تجلو عن طريق المنطق الصحيح الذى لا ينبغى أن يختلف عليه الناس، عظمة هذا الامام، خالصة من كل شوب، سالمة من كل عيب، نقية من كل نقد.

وكانت النقود التى جرح بها وقاح الرأى سياسة الحسن عليه السلام، أبعد ما يكونون – فى تجريحهم – عن النصف والعمق والإحاطة بالظرف الخاص، هى التى نسجت كيان المشكلة التاريخية فى قضية هذا الامام عليه السلام، وكان للشهوة الحزبية من بعض، ولمسايرة السياسة الحاكمة من آخر، وللجهل بالواقع من ثالث، أثره فيما أسف به المتسرعون إلى أحكامهم.

ونظروا اليه نظرتهم إلى زعيم أخفق فى زعامته، وفاتهم أن ينظروا إلى دوافع هذا الاخفاق المزعوم، الذى كان – فى حقيقته – انعكاسا للحالة القائمة فى الجيل الذى قدر للحسن أن يتزعمه فى خلافته، بما كان قد طغى على هذا الجبل من المغريات التى طلعت بها الفتوح الجديدة على الناس، وأى غضاضة على " الزعيم " إذا فسد جيله، أو خانت جنوده، أو فقد مجتمعه وجدانه الاجتماعى.

وفاتهم – بعد ذلك – أن ينظروا اليه كألمع سياسى يدرس نفسيات خصومه ونوازع مجتمعه وعوامل زمنه، فيضع الخطط ويقرر النتائج، ويحفظ بخططه مستقبل أمة بكاملها، ويحفر – بنتائجه – قبور خصومه قبرا قبرا، ويمر بزوابع الزمن من حوله رسول السلام المضمون النجاح، المرفوع الرأس بالدعوة إلى الاصلاح. ثم يموت ولا يرضى أن يهرق فى أمره محجمة دم

(۱۹)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (۱)، الحسن بن على (۱)، القبر (۱)، الموت (۱)، الكرم، الكرامة (۱)

صفحه ۲۰

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۰

ترى، فأى عظمة أجل من هذه العظمة لو أنصف الناقدون المتحذلقون؟.

وان كتابنا هذا ليضع نقاط هذه الحروف كلها، مملاة عن دراسة دقيقة سيجدها المطالع – كما قلنا – أقرب شئ من الواقع، أو هى الواقع نفسه، مدلولا عليه بالمقاييس المنطقية، وبالدراسات النفسية، وبالشواهد الشوارد من هنا وهناك. كل ذلك هو عماد البحث فى الكتاب، والقاعدة التى خرج منها إلى احكامه بسهولة ويسر، فى سائر ما تناوله من موضوعات أو حاوله من آراء..

* * * وسيجد القارئ أن الكتاب ليس كتابا فى أحوال الامام الحسن (ع)، بوجه عام، وانما هو كتاب مواقفه السياسية فحسب. وكان من التوفر على استيعاب هذا الموضوع أن نتقدم بفصل خاص عن الترجمة له، وأن نستطرد فى أطوائه ما يضطرنا البحث اليه.

وان موضوعا من العمق والعسر كموضوعنا، وبحثا فقير المادة قصير المدد كبحثنا – ونحن نتطلع اليه بعد ۱۳۲۸ من السنين – لحرى بأن لا يدر على كاتبه بأكثر مما درت به هذه الفصول، احرص ما تكون توفرا على استقصاء المواد، وتنسيق عناصر الموضوع، وتهذيبها من الزائف والدخيل. ونحن إذ نومئ إلى " فقر المادة " وأثره على البحث، لا- نعنى بالمادة الا- هذه " الموسوعات " التى كان بإمكاننا التعاون معها على تجلية موضوعنا بما هى عليه من تشويش للتناسق أو تشويه للحقايق. اما المؤلفات الكثيرة العدد التى وردت أسماؤها فى معاجم المؤلفين الأولين، مما كتب عن قضية الحسن (ع) فقد حيل بيننا وبين الوقوف عليها. وكانت مع الكثير من تراثنا القديم قيد المؤثرات الزمنية، وطعمة الضياع والانقراض أخيرا. وكان ذلك عصب النكبة فى الصحيح الصحيح من تاريخ الاسلام، وفى المهم

المهم من قضاياه الحساسة أمثال قضيتنا – موضوع البحث –.

فلم نجد – على هذا – من مصادر الموضوع: كتاب صلح الحسن ومعاوية، لأحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن السبيعى الهمدانى المتوفى سنة ۳۳۳ هجرى، ولا كتاب صلح الحسن عليه السلام،

(۲۰)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۳)، صلح (يوم) الحديبية (۲)، أحمد بن محمد بن سعيد (۱)، التاريخ الإسلامى (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۰۲۰

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۱

لعبد الرحمن بن كثير الهاشمى (مولاهم)، ولا كتاب قيام الحسن عليه السلام، لهشام بن محمد بن السائب، ولا كتاب قيام الحسن عليه السلام، لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفى المتوفى سنة ۲۸۳ هجرى ولا كتاب عبد العزيز بن يحيى الجلودى البصرى فى امر الحسن عليه السلام، ولا كتاب اخبار الحسن عليه السلام ووفاته، للهيثم بن عدى الثعلبى المتوفى سنة ۲۰۷ هجرى، ولا كتاب اخبار الحسن بن على عليه السلام، لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد الأصفهانى الثقفى (۱)، ولا نظائرها.

اما هذه المصادر التى قدر لنا ان لا نجد غيرها سندا، فيما احتاجت به هذه البحوث إلى سند ما، فقد كان أعجب ما فيها انها تتفق جميعها فى قضية الحسن عليه السلام على ان لا تتفق فى عرض حادثة، أو رواية خطبة، أو نقل تصريح، أو الحكم على احصاء، بل لا يتفق سندان منها – على الأكثر – فى تأريخ وقت الحادث أو الخطبة من تقديم أو تأخير، ولا فى تعيين اسم القائد مثلا، أو ترتيب القيادة بين الاثنين أو الثلاثة، ولا فى رواية طرق النكاية التى أريدت بالحسن (ع) فى ميادينه، أو فى التعبير عن صلحه، أو فى قتله أخيرا، ولا فى كل صغيرة أو كبيرة من اخبار الملحمة، من ألفها إلى يائها.

وللمؤثرات التى تحكمت فى رقبة هذه المصادر، عند نقاطها الحساسة اثرها المحسوس فى الكثير الكثير من عروضها.

وإذا كان من أصعب مراحل هذا التأليف، ارجاع هذه الحقائق إلى تسلسلها الصحيح الذى يجب ان يكون هو واقعها الأول، فقد كان من أيسر

(۱) تجد ذكر هذه المؤلفات ضمن تراجم مؤلفيها فى كتب الرجال، كفهرست ابن النديم والنجاشى وغيرهما. وستجد معها أسماء كتب أخرى تخص موضوع الحسن عليه السلام فى صلحه وفى مقتله، لا نريد الإطالة باستقصائها بعد ان أصبحت أسماء بلا مسميات.

(۲۱)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۷)، إبراهيم بن محمد بن سعيد (۱)، عبد العزيز بن يحيى (۱)، إبراهيم بن محمد (۱)، هشام بن محمد (۱)، سعد بن مسعود (۱)، الثعلبى (۱)، القتل (۲)، الوفاة (۲)، الهلال (۱)، ابن النديم (۱)

صفحه ۰۲۱

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۲

الوسائل إلى تحقيق هذا الغرض، الاستعانة عليه بقرائن الأحوال، وتناسق الاحداث، اللذين لا يتم بدونهما حكم على وضع.

وكان من حسن الصدف، ان لا نخرج فى اختيار النسق المطلوب عن الشاهد الصريح، الذى بعثرته هذه المصادر نفسها، فى اطواء رواياتها الكثيرة المضطربة، فكانت – بمجموعها – وعلى نقص كل منها، أدلتنا الكاملة على ما اخترناه من تنسيق أو تحقيق، وذلك

أروع ما نعتز به من التوفيق.

ووقفنا في فلسفة الموقف - عند مختلف مراحله - وقفاتنا المتأنية المستقرئة الصبور، التي لا تستسلم للنقل أكثر مما تحتكم للعقل.

ورجعنا في كثير مما التمسنا تدقيقه، إلى التصريحات الشخصية التي جاءت أدل على الغرض من روايات كثير من المؤرخين.

* * وهي - بعد - بضاعتي المزجاة التي لا أريد منها الا ان تكون مفتاح بحوث جديدة، من شأنها ان تكشف كثيرا من الغموض الذي دار مع قضية الحسن في التاريخ.

فان هي وفقت إلى ذلك، فقد أوتيت خيرا كثيرا.

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

المؤلف القسم الأول الإمام الحسن "ع"

(۲۲)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (۱)، الإختيار، الخيار (۱)

صفحه ۲۲۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۵

أبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وأمه سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله. صلى الله عليه وعليهم.

ولا أقصر من هذا النسب في التاريخ، ولا أشرف منه في دنيا الأنساب.

مولده:

ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة.

وهو بكر أبويه.

وأخذه النبي صلى الله عليه وآله فور ولادته. فأذن في اذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم عق عنه. وحلق رأسه. وتصدق بزنة شعره فضة فكان وزنه درهما وشيئا. وأمر فطلي رأسه طيبا، وسنت بذلك العقيقة والتصدق بوزن الشعر.

وسماه " حسنا. " ولم يعرف هذا الاسم في الجاهلية.

وكناه " أبا محمد. " ولا كنية له غيرها.

ألقابه:

السبط. السيد. الزكي. المجتبى. التقي.

زوجاته:

تزوج " أم اسحق " بنت طلحة بن عبيد الله. و " حفصة " بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. و " هند " بنت سهيل بن عمرو. و " جعدة" بنت الأشعث بن قيس، وهي التي أغراها معاوية بقتله فقتلته بالسم.

ولا نعهد انه اختص من الزوجات - على التعاقب - بأكثر من ثمان أو عشر.. على اختلاف الروايتين.. بما فيهن أمهات أولاده.

(۲۵)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (۲)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، شهر رمضان المبارك (۱)، طلحة بن عبيد الله (۱)، الزوج، الزواج (۱)، الجهل (۱)، القتل (۱)

صفحه ۰۲۳

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۶

ونسب النـاس الیه زوجـات کثیرات، صـعدوا فی أعـدادهن مـا شاؤوا.. وخفی علیهم ان زواجه الکثیر الـذی أشاروا الیه بهـذه الاعـداد، وأشـار الیه آخرون بـالغمز والانتقـاد، لاـ یعنی الزواج الـذی یختص به الرجـل لمشارکـة حیاته، وانما کانت حوادث اسـتدعتها ظروف شرعیة محضة. من شأنها ان یکثر فیها الزواج والطلاق معا، وذلک هو دلیل سمتها الخاصة.

ولا غضاضة فی کثرة زواج تقتضـیه المناسـبات الشرعیة، بل هو – بالنظر إلی ظروف هذه المناسبات – دلیل قوة الامام فی عقیدة الناس – کما أشـیر الیه –. ولکن المتسـرعین إلی النقـد، جهلوا الحقیقة وجهلوا انهم جاهلون. ولو فطنوا إلی جواب الامام الحسن علیه السـلام لعبد الله بن عامر بن کریز، وقد بنی بزوجته، لکانوا غیرهم إذ ینتقدون.

أولاده:

کان له خمسة عشـر ولدا بین ذکر وأنثی، هم زید والحسن وعمرو والقاسم وعبد الله وعبد الرحمن والحسن الأثرم وطلحة، وأم الحسـن وأم الحسین وفاطمة وأم سلمة ورقیة وأم عبد الله وفاطمة.

وجاء عقبه من ولدیه الحسن وزید، ولا یصح الانتساب الیه من غیرهما.

أوصافه:

"لم یکن أحد أشبه برسول الله صلی الله علیه وآله من الحسن بن علی علیه السلام خلقا وخلقا وهیأة وهدیا وسؤددا."

بهذا وصفه واصفوه. وقالوا:

کان ابیض اللون مشـربا بحمرة، أدعج العینین، سهل الخدین، کث اللحیة، جعد الشعر ذا وفرة، کأن عنقه إبریق فضة، حسن البدن، بعید ما بین المنکبین، عظیم الکرادیس، دقیق المسربة، ربعة لیس بالطویل ولا بالقصیر، ملیحا من أحسن الناس وجها.

(۲۶)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السـلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السـلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صـلی الله علیه وآله (۱)، السـیدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلی الله علیه وآله (۱)، عبد الله بن عامر (۱)، الزوج، الزواج (۴)

صفحه ۰۲۴

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۷

أو کما قال الشاعر:

ما دب فی فطن الأوهام من حسن * * * الا وکان له الحظ الخصوصـی کأن جبهته من تحت طرته * * * بـدر یتوجه اللیل البهیمی قد جل عن طیب أهل الأرض عنبره * * * ومسکه فهو الطیب السماوی وقال ابن سعد ": کان الحسن والحسین یخضبان بالسواد."

وقال واصل بن عطاء ": کان الحسن بن علی علیهما السلام، علیه سیماء الأنبیاء وبهاء الملوک."

عبادته:

حـج خمسـا وعشـرین حجـة ماشـیا، والنجائب لتقاد معه، وإذا ذکر الموت بکی، وإذا ذکر القبر بکی، وإذا ذکر البعث بکی، وإذا ذکر الممر علی الصـراط بکی، وإذا ذکر العرض علی الله تعالی ذکره شـهق شهقة یغشی علیه منها، وإذا ذکر الجنة والنار اضطرب اضطراب السلیم، وسأل الله الجنة وتعوذ بالله من النار.

وكان إذا توضأ، أو إذا صلى ارتعدت فرائصه واصفر لونه.

وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات. وخرج من ماله لله تعالى مرتين. ثم هو لا يمر فى شئ من أحواله الا ذكر الله عز وجل.

قالوا ": وكان أعبد الناس فى زمانه وأزهدهم بالدنيا."

* * * أخلاقه:

كان فى شمائله آية الانسانية الفضلى، ما رآه أحد الا هابه، ولا خالطه انسان الا أحبه، ولا سمعه صديق أو عدو وهو يتحدث أو يخطب فهان عليه ان ينهى حديثه أو يسكت.

(۲۷)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)، الموت (۱)، الحج (۱)، القبر (۱)

صفحه ۲۵

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۸

قال ابن الزبير فيما رواه ابن كثير (ج ۸ ص ۳۷ "): والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن على."

وقال محمد بن اسحق ": ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما بلغ الحسن بن على. كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمر أحد من خلق الله اجلالا له، فإذا علم قام ودخل بيته فيمر الناس."

ونزل عن راحلته فى طريق مكة فمشى، فما من خلق الله أحد الا نزل ومشى حتى سعد بن أبى وقاص، فقد نزل ومشى إلى جنبه.

وقال مدرك بن زياد لابن عباس، وقد امسك للحسن والحسين بالركاب وسوى عليهما ثيابهما ": أنت أسن منهما تمسك لهما بالركاب. "؟ فقال ": يا لكع! وما تدرى من هذان، هذان ابنا رسول الله، أوليس مما أنعم الله على به ان امسك لهما وأسوى عليهما"!

وكان من تواضعه على عظيم مكانته انه مر بفقراء وضعوا كسيرات على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له ": هلم يا ابن رسول الله إلى الغداء "! فنزل وقال ": ان الله لا يحب المتكبرين. " وجعل يأكل معهم. ثم دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم.

وكان من كرمه انه اتاه رجل فى حاجة، فقال له ": اكتب حاجتك فى رقعة وارفعها الينا. " قال: فرفعها اليه فأضعفها له، فقال له بعض جلسائه ": ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله. "! فقال ": بركتها علينا أعظم، حين جعلنا للمعروف أهلا. أما علمت ان المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة، فاما من أعطيته بعد مسألة، فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه. وعسى ان يكون بات ليلته متململا أرقا، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته أبكآبة الرد، أم بسرور النجح، فيأتيك وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق، فان قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه، فان ذلك أعظم مما نال من معروفك."

(۲۸)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، الحسن بن على (۲)، الخوف (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الأكل (۱)، اليأس (۱)

صفحه ۲۶

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۹

وأعطى شاعرا فقال له رجل من جلسائه ": سبحان الله أتعطى شاعرا يعصى الرحمن ويقول البهتان. "! فقال ": يا عبد الله ان خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وان من ابتغاء الخير اتقاء الشر."

وسأله رجل فأعطاه خمسين الف درهم وخمسمائة دينار وقال له ": ائت بحمال يحمل لك. " فأتى بحمال، فأعطاه طيلسانه، وقال":

هذا کری الحمال."

وجاءه بعض الاعراب. فقال ": أعطوه ما فی الخزانة. "! فوجد فیها عشرون الف درهم. فدفعت الیه، فقال الاعرابی ": یا مولای، ألا ترکتنی أبوح بحاجتی، وانشر مدحتی. "؟ فأنشأ الحسن یقول:

نحن أناس نوالنا خضل * * * یرتع فیه الرجاء والأمل تجود قبل السؤال أنفسنا * * * خوفا علی ماء وجه من یسل وروی المدائنی قال: "خرج الحسن والحسین وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم أثقالهم، فجاعوا وعطشوا، فرأوا عجوزا فی خباء فاستسقوها فقالت: هذه الشویهة احلبوها، وامتذقوا لبنها، ففعلوا. واستطعموها، فقالت: لیس الا هذه الشاة فلیذبحها أحدکم. فذبحها أحدهم، وکشطها. ثم شوت لهم من لحمها فأکلوا. وقالوا عندها، فلما نهضوا، قالوا: نحن نفر من قریش نرید هذا الوجه، فإذا عدنا فألمی بنا، فانا صانعون بک خیرا. ثم رحلوا فلما جاء زوجها، أخبرته فقال: ویحک تذبحین شاتی لقوم لا تعرفینهم، ثم تقولین: نفر من قریش. ثم مضت الأیام، فأضرت بها الحال، فرحلت حتی اجتازت بالمدینة، فرآها الحسن (ع) فعرفها، فقال لها: أتعرفیننی؟ قالت: لا. قال: أنا ضیفک یوم کذا وکذا، فأمر لها بألف شاة والف دینار، وبعث بها إلی الحسین (ع) فأعطاها مثل ذلک، ثم بعثها إلی عبد الله بن جعفر فأعطاها مثل ذلک."

وتنازع رجلان، هاشمی وأموی. قال هذا ": قومی اسمح. " وقال

(۲۹)

مفاتیح البحث: الإمام الحسین بن علی سید الشهداء (علیهما السلام) (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، عبد الله بن جعفر الطیار بن أبی طالب علیه السلام (۲)، ماء الوجه (۱)، الزوج، الزواج (۱)

صفحه ۰۲۷

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۰

هذا ": قومی اسمح. " قال ": فسل أنت عشرة من قومک، وانا اسأل عشرة من قومی. " فانطلق صاحب بنی أمیة فسأل عشرة، فأعطاه کل واحد منهم عشرة آلاف درهم. وانطلق صاحب بنی هاشم إلی الحسن بن علی، فأمر له بمائة وخمسین الف درهم، ثم أتی الحسین فقال ": هل بدأت بأحد قبلی. "؟ قال ": بدأت بالحسن " قال ": ما کنت أستطیع أن أزید علی سیدی شیئا " فأعطاه مائة وخمسین الفا من الدراهم. فجاء صاحب بنی أمیة یحمل مائة الف درهم من عشر أنفس، وجاء صاحب بنی هاشم یحمل ثلاثمائة الف درهم من نفسین. فغضب صاحب بنی أمیة، فردها علیهم، فقبلوها. وجاء صاحب بنی هاشم فردها علیهما، فأبیا ان یقبلاها، وقالا ": ما کنا نبالی. أخذتها أم ألقیتها فی الطریق."

ورأی غلاما أسود یأکل من رغیف لقمة، ویطعم کلبا هناک لقمة فقال له ": ما حملک علی هذا "؟ قال ": انی استحی منه ان آکل ولا أطعمه. " فقال له الحسن ": لا تبرح مکانک حتی آتیک. " فذهب إلی سیده، فاشتراه واشتری الحائط (البستان) الذی هو فیه، فأعتقه، وملکه الحائط.

واخبار کرمه کثیرة لسنا بسبیل استقصائها.

وکان من حلمه ما یوازن به الجبال - علی حد تعبیر مروان عنه.

وکان من زهده ما خصص له محمد بن علی بن الحسین بن بابویه المتوفی سنة ۳۸۱ هجری کتابا أسماه (کتاب زهد الحسن علیه السلام). وناهیک بمن زهد بالدنیا کلها فی سبیل الدین.

* * * مناقبه:

انه سید شباب أهل الجنة، وأحد الاثنین اللذین انحصرت ذریة رسول الله صلی الله علیه وآله فیهما، وأحد الأربعة الذین باهل بهم النبی

(۳۰)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، محمد بن على بن الحسين بن بابويه (١)، بنو أمية (٣)، بنو هاشم (٣)، الحسن بن على (١)، الزهد (٢)، الكرم، الكرامة (١)، الأكل (١)، الوفاة (١)

صفحه ۲۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١

نصارى نجران، وأحد الخمسة (أصحاب الكساء)، وأحد الاثنى عشر الذين فرض الله طاعتهم على العباد، وهو أحد المطهرين من الرجس فى الكتاب، وأحد الذين جعل الله مودتهم أجرا للرسالة، وجعلهم رسول الله أحد الثقلين اللذين لا يضل من تمسك بهما. وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبه الذى يحبه ويدعو الله أن يحب من أحبه.

وله من المناقب ما يطول بيانه، ثم لا يحيط به البيان وان طال.

وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عليهما السلام، فقام بالامر - على قصر عهده - أحسن قيام، وصالح معاوية فى الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٤١ - على أصح الروايات - فحفظ الدين، وحقن دماء المؤمنين، وجرى فى ذلك وفق التعاليم الخاصة التى رواها عن أبيه عن جده صلى الله عليهما. فكانت خلافته " الظاهرة " سبعة اشهر وأربعة وعشرين يوما.

ورجع بعد توقيع الصلح إلى المدينة، فأقام فيها، وبيته حرمها الثانى لأهلها ولزائريها.

والحسن من هذين الحرمين، مشرق الهداية، ومعقل العلم وموئل المسلمين. ومن حوله الطوائف التى نفرت من كل فرقة لتتفقه فى الدين ولتنذر قومها إذا رجعت إليهم. فكانوا تلامذته وحملة العلم والرواية عنه. وكان بما أتاح الله له من العلم، وبما مكن له فى قلوب المسلمين من المقام الرفيع، أقدر انسان على توجيه الأمة وقيادتها الروحية، وتصحيح العقيدة، وتوحيد أهل التوحيد.

وكان إذا صلى الغداة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جلس فى مجلسه، يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس اليه من يجلس من سادات الناس يحدثهم. قال ابن الصباغ (الفصول المهمة ص ١٥٩ "): ويجتمع الناس حوله، فيتكلم بما يشفى غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين."

(٣١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (١)، أهل الكساء (١)، شهر جمادى الأولى (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الضلال (١)، السجود (١)، الوفاة (١)

صفحه ۲۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٢

وكان إذا حج وطاف بالبيت، يكاد الناس يحطمونه مما يزدحمون للسلام عليه. (عليه السلام).

* * * وفاته:

وسقى السم مرارا - كما سنأتى على تفصيله عند البحث على الوفاء بشروط الصلح -. وأحس بالخطر فى المرة الأخيرة، فقال لأخيه الحسين عليه السلام ": انى مفارقك ولاحق بربى، وقد سقيت السم، ورميت بكبدى فى الطست، وانى لعارف بمن سقانى السم ومن أين دهيت، وأنا أخاصمه إلى الله عز وجل. " ثم قال ": وادفنى مع رسول الله (ص) فانى أحق به وببيته (١). فان أبوا عليك، فأنشدك الله بالقرابة التى قرب الله عز وجل منك، والرحم الماسة من رسول الله ان لا تهريق فى أمرى محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم اليه، ونخبره بما كان من الناس الينا."

(١) اما كونه أحق به، فلانه ابنه وبضعته، بل هو بعضه، ولا أحق من الابن بالأب، ولا من البعض بالكل.

واما كونه أحق ببيته، فلأنه وارثه الشرعى من أمه الصديقة الطاهرة عليها السلام الوارثة الوحيدة من أبيها (صلى الله عليه وآله). وانها لترثه كما ورث سليمان داود. وما من مخصص لعمومات الميراث..

وكانت صيغة التفضيل هنا تعنى المفضولين أبا بكر وعمر فيما استأثرا به من الدفن فى حجرة رسول الله (ص) بما لابنة كل منهما من الحق فى هذه الحجرة. ودل ذلك على رأيهما فى صحة ارث الزوجة من العقار. والمسألة لا تزال محل الخلاف بين فقهاء الاسلام إلى يوم الناس. وكان لكل من عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر فى حجرة رسول الله التى دفن فيها - بناء على صحة ارثهما كزوجتين - سهم واحد من اثنين وسبعين سهما لأنهما ثنتان من تسع. وللتسع كلهن الثمن يتقاسمنه على هذه النسبة. اما سعة الحجرة المقدسة، فمما لا نعلمه الآن على التحقيق، فلتكن واسعة بحيث تكفى لاثنين وسبعين قبرا، والا فليكن ورثة الصديقة الطاهرة قد أذنوا لأبى بكر وعمر بالدفن فيها. والا فماذا غير ذلك. وعلينا ان نعترف للحسن (ع) بأنه كان الأحق برسول الله وببيته.

(۳۲)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۳)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، الحج (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، عائشة بنت أبى بكر زوجة النبى (ص) (۱)، الوسعة (۲)، الزوجة (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۱)، الدفن (۲)

صفحه ۳۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۳

وأوصى اليه باهله وبولده وتركاته وبما كان أوصى به اليه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام. ودل شيعته على استخلافه للإمامة من بعده.

وتوفى فى اليوم السابع من شهر صفر سنة ۴۹ هجرى.

قال أبو الفرج الأصفهانى ": وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شئ أثقل عليه من أمر الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص فدس اليهما سما فماتا منه."

وللدواهى النكر من هذا النوع، صدماتها التى تهز الشعور وتوقظ الألم، وتجاوبت الأقطار الاسلامية أسى المصيبة الفاجعة، فكان لها فى كل كورة مناحة تنذر بثورة، وفى كل عقد من السنين ثورة تنذر بانقلاب.

والله سبحانه وتعالى يقول ": وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون."

مدفنه:

روى سبط ابن الجوزى بسنده إلى ابن سعد عن الواقدى ": انه لما احتضر الحسن قال: ادفنونى عند أبى - يعنى رسول الله (ص) - فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان واليا على المدينة فمنعوه!!. قال ابن سعد: ومنهم عائشة وقالت: لا يدفن مع رسول الله أحد."

وروى أبو الفرج الأموى الأصفهانى عن يحيى بن الحسن انه قال ": سمعت على بن طاهر بن زيد يقول: لما أرادوا دفنه - يعنى الحسن بن على - ركبت بغلا- واستعونت بنى أمية ومروان ومن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو قول القائل: فيوما على بغل ويوما على جمل."

وذكر المسعودى ركوب عائشة البغلة الشهباء وقيادتها الأمويين ليومها الثانى من أهل البيت عليهم السلام. قال ": فأتاها القاسم بن محمد بن أبى

(۳۳)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، الدولة الأموية (۱)، أبو الفرج الإصبهانى (الإصفهانى) (۱)، مروان بن الحكم (۱)، شهر صفر الظفر (۱)، السبط إبن الجوزى (۱)، يحيى بن الحسن (۱)، بنو أمية (۲)، القاسم بن محمد (۱)، طاهر بن زيد (۱)، الحسن بن على (۲)، الفرج (۱)، الدفن (۱)، الوصية (۲)

صفحه ۰۳۱

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۴

بكر فقال: يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر (۱). أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت."

واجتمع مع الحسين بن على خلق من الناس فقالوا له ": دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا الا كأكلة رأس. " فقال ": ان أخى أوصى ان لا أريق فيه محجمة دم.. ولولا عهد الحسن هذا، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منهم مأخذها. وقد نقضوا العهد بيننا وبينهم، وأبطلوا ما اشترطنا عليهم لأنفسنا. – " يشير بهذا إلى شروط الصلح –.

ومضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

قال فى الإصابة ": قال الواقدى: حدثنا داود بن سنان حدثنا ثعلبة بن أبى مالك: شهدت الحسن يوم مات ودفن بالبقيع، فلقد رأيت البقيع ولو طرحت فيه إبرة ما وقعت الا على رأس انسان."

(۱) وعلى مثل هذا الوتر من التبكيت المؤدب ما رواه البيهقى فى المحاسن والمساوئ (ج ۱ ص ۳۵) قال ": وعن الحسن البصرى ان الأحنف بن قيس قال لعائشة يوم الجمل: يا أم المؤمنين. هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسير؟ قالت: اللهم لا. قال: فهل وجدتيه فى شئ من كتاب الله جل ذكره. قالت: ما نقرأ الا ما تقرأون. قال: فهل رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام استعان بشيء من نسائه إذا كان فى قلة والمشركون فى كثرة. قالت: اللهم لا. قال الأحنف: فإذا ما هو ذنبنا."؟

القسم الثانى: فى الموقف السياسى قبل البيعة

(۳۴)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمه بنت أسد أم أمير المؤمنين عليهما السلام (۱)، مقبرة بقيع الغرقد (۳)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، الحسين بن على (۱)، الموت (۱)، الوصية (۱)، أمهات المؤمنين، ازواج النبى (ص) (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الأحنف بن قيس (۱)، الحسن البصرى (۱)، الصّلاة (۱)

صفحه ۰۳۲

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۷

يكفينا الآن، ونحن بصدد موضوع لا ندرى على التحقيق، مدى تأثره بسوابقه ومقارناته، ان نرجع – – ولو قليلا – إلى استعراض بعض الأوضاع الاجتماعية التى ثاب إليها المسلمون لأول مرة بعد عهد النبوة، بما كان للنبوة من اثر عميق فى النفوس، وسلطان قوى على تكوين المجتمع، ويد صناع فى بناء عناصر الحيوية فى الاتباع.

يكفينا ونحن نستوحى الذكريات لوضع الصورة العابرة هنا، ان نأخذ من كل مناسبة صلتها بموضوعنا، أو نأخذ بالمناسبات ذات الصلة من دون غيرها، لنتعرف – على ضوء هذا الأسلوب – مدى تأثر موضوعنا بماضيه.

* * وكان الحدث الأكبر فى تاريخ الاسلام هو وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانقطاع ذلك الاشعاع السماوى الذى كان يفيض على الدنيا كلها بالخير، فإذا الدنيا كلها مظلمة تستعد للشر. وانقطعت الأرض بموت رسول الله (ص) عن السماء، إذ كان الوحى

هو بريـدها إلى الأرض وأداة صـلتها بهـا. وهـل للأرض غنى عن السـماء، وفى السـماء رزقهـا ومنهـا خيرها وحياتها وحيويتها ونورها ودينها. وما كان أشد من هذه الوحشة على الدنيا، ولا أفدح من هذه الخسارة على المسلمين، لو انه كان – ونعوذ بالله –

(۳۷)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، التاريخ الإسلامى (۱)، الغنى (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۰۳۳

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۸

انقطاعـا باتـا وانفصالاـ نهائيا. ولكن رسول الله (ص) أدرك ما سـيمتحن به المؤمنون بعـده من عظيم الرزيـة بانقطاع الوحى من بينهم، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، فأخبرهم بان حبلا واحدا سـيبقى متصـلا بينهم وبين السـماء. وهل حبل أولى بالتمسك من حبل السماء وقد انقطع الوحى، قال:

"انى تركت فيكم مـا ان تمسـكتم به لن تضـلوا بعـدى كتاب الله حبل ممـدود من السـماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما (" ۱).

* * * ومن حق البحث الـذى بين أيدينا ان يستقرئ فى هذه المناسبة موقف المجتمع من عترة النبى (ص)، أو موقف الجماعات التى كـانت تـدعى لنفسـها حق التمثيـل للمجتمـع، لينظر فيمـا خلفـوا رسـول الله فى عـترته – اسـتغفر الله – بـل لينظر فيمـا يتصـل من ذلك بموضوعنا من هذه المناسبة العابرة. وإذا كانت العترة عشيرة الرجل، فعلى أبرز رجالها بعد رسول الله، وإذا كانت ذريته، فالحسن كبير عترة النبى من بعده. وتجيز اللغة اطلاق العترة على الصنفين – العشيرة والذرية – معا.

نعم انه قدر لهذا المجتمع، ان ينقسم إنقسامته التاريخية التى وقعت فور الفاجعة العظمى بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حين تـأول قوم فانسـاحوا إلى تأولاـتهم، وتعبـد آخرون فثبتوا على الصـريح من قول نـبيهم، وللنـبى تصـريحات كـثيرة فى موضوع الترشـيح للخلافة ليس هنا

(۱) اخرجه الترمـذى وهو الحديث ۸۷۴ من أحـاديث كنز العمال (ص ۴۴ ج ۱) وعلى نسق هـذا الحديث أحاديث كثيرة أخرى روتها الصـحاح والمسانيـد، وجـاء فى بعضـها " انى تـارك فيكم خليفتين كتاب الله ممـدود بين السـماء والأرض أو ما بين السـماء والأرض وعترتى أهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض – (" الامام احمد والطبرانى فى الكبير).

(۳۸)

مفاتيـح البحث: أهل بيت النبى صـلى الله عليه وآله (۱)، الرسول الأكرم محمـد بن عبد الله صـلى الله عليه وآله (۲)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (۱)، الطبرانى (۱)

صفحه ۰۳۴

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۹

مكان استعراضـها. ولسنا الآن بصدد مناقشة المتأولين أو مساجلة المتعبدين، لان كل شئ مما نتفق عليه معهم جميعا، أو مع فريق واحد منهم، أو مما نختلف فيه قد تم فى حينه على صورته. وليس فيما تتناوله بحوثنا الآن ما يستطيع ان يغير الواقع عن واقعه.

ولكنا – ولنلتمس المعاذير للمتأولين – على مخالفتهم لنصوص نبيهم نقول: انهم نظروا إلى هذه النيابة عن الوحى التى جعلها رسول الله (ص) للكتاب وللعترة من بعـده، فى حـديثه هذا وفى نظائره الكثيرة من الأحاديث الأخرى، نظرتهم السياسـية التى لا تعنى الانكار على رسول الله، ولكنهـا تهـدف – قبـل كـل شـئ – إلى " المصـلحة " فيمـا يرون، ورأوا ان وجوب إطاعـة الأوامر النبويـة فى الموضوعات

السیاسیۀ، منوط بذوی التجارب من الشیوخ المتقدمین بالسن. فان صادقوا علی ما أراده النبی فذاک، والا فلیکن ما أرادوا هم.
وهکـذا زویت الخلافـۀ عن العترۀ. وهکـذا صار من الممکن وربما من المسـتحسن لدی فریق عظیم من مسـلمۀ محمد (صـلی الله علیه وآله)، ان یصـبح معاویـۀ أیضـا ممن ینازع علی خلافـۀ الاسـلام ویطلبها لنفسه، ویحتـج علیها بالسن (۱) أیضا، ویصادق علیها الشـیوخ المسـنون أیضا کعمرو بن العاص والمغیرۀ بن شـعبۀ وأبی هریرۀ الدوسـی. ولـم تکن حملـۀ معاویۀ هذه بما فیها من اسـتخفاف بقدسـیۀ الاسلام، الأولی من نوعها، ولکنها کانت تمتد بجذورها إلی عهد أقدم، والی تصالح وتعاون أسبق، ومن طراز أسمی (۲).
ولم یبق مخفیـا ان الحجر الأساسـی لهـذا التـدهور غیر المنتظر، کان هو الـذی بنی هناک فی المدینـۀ المنورۀ، وقامت علیه سـقیفۀ بنی ساعدۀ بما
(۱) یلحظ هنا کتاب معاویۀ إلی الحسن علیه السلام شرح النهج (ج ۴ ص ۱۳).
(۲) ویراجع للتأکد تصـریح معاویۀ نفسه فیما رواه المسعودی (ج ۶ ص ۷۸ – ۷۹ هامش ابن الأثیر). وبنی علی ذلک کثیر من شـعرائنا القدامی قصائدهم العامرۀ. وهو ما عناه مهیار الدیلمی فی لامیته بقوله:
وما الخبیثان ابن هنـد وابنه * * وان طغی خطبهما بعـد وجل بمبـدعین فی الـذی جاءا به * * وانما تقفیا تلک السـبل وهو ما عناه قبله أستاذه الشریف الرضی رحمه الله بقوله:
الا لیس فعل الآخرین وان علا * * علی قبح فعل الأولین بزائد وهو ما عناه قبلهما الکمیت بقوله:
یصیب به الرامون عن قوس غیرهم * * فیا اخرا أسدی له الشر أول إلی أمثال کثیرۀ أخری.
(۳۹)
مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صـلی الله علیه وآله (۲)، أبو هریرۀ العجلی (۱)، المدینۀ المنورۀ (۱)، المغیرۀ بن شعبۀ (۱)، عمرو بن العـاص (۱)، السقیفۀ (۱)، الوجوب (۱)، الإمـام الحسن بن علی المجتبی علیهمـا السـلام (۱)، إبن الأـثیر (۱)، الشریف الرضی، أبو الحسن محمد بن الحسین (۱)

صفحه ۰۳۵

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحۀ ۴۰
ابرم فیهـا من حبـل جدیـد هو غیر الحبـل الممـدود – عمودیـا – من السـماء إلی الأرض الـذی عناه رسول الله (ص) فی حـدیثه الآنف الذکر. ولکنه حبل آخر أرید لیمتد مع التاریخ – أفقیا –.
وتوالت تحت السـقیفۀ أحدا * * ث أثارت کوامنا ومیولا نزعات تفرقت کغصون ال * * –عوسج الغض شائکا مدخولا (۱) * * * ووقف صاحب الحق بالخلافـۀ من اخوانه المتأولین، موقفه المشـرف الذی دل بذاته، وبما حفظ الاسـلام من الانهیار، علی انه وحده کان الوسـیط بین الناس وحبل السـماء. وتلکأ عن بیعتهم بمقدار ما نبه الذهنیۀ الاسلامیۀ إلی الحق المغلوب علی امره، واخذ إلی البیعۀ – بعـد ذلـک – أخـذا (۲). وسـأله بعض أصـحابه ": کیف دفعکم قومکم عن هـذا المقـام وأنتم أحق به "؟ فقـال ": انهـا کـانت أثرۀ، شحت علیها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرین، والحکم لله والمعود الیه القیامۀ. ودع عنک نهبا صیح فی حجراته (۳..")
(۱) لبولس سلامۀ.
(۲) قال معاویۀ فیما کتبه الیه مع أبی امامۀ الباهلی:
"وتلکأت فی بیعته – یعنی بیعۀ أبی بکر – حتی حملت الیه قهرا تساق بخزائم الاقتسار کما یساق الفحل المخشوش "!!. اه.
(۳) نهج البلاغۀ (ج ۱ ص ۲۹۹)، شرح محمد عبده.
(۴۰)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، السقیفة (۱)، کتاب نهج البلاغة (۱)

صفحه ۳۶

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۴۱

لغة تنبئک عما تکظمه فی دخیلتها من غیظ، وعما تحمله فی ظاهرتها من تسلیم.

وعشا عن أنواره مناوئوه، وعلی أبصارهم غشاوة الذحول. فغفلوا عنه غیر منکرین سبقه وجهاده وقرابته وصهره واخوته وعلمه وعبادته، وتصریحات رسول الله صلی الله علیه وآله فی شأنه، التی کانوا یستوعبونها یومئذ أکثر مما نستوعبها نحن. ولکنهم نقموا علیه کثرة فضائله هذه، ونقموا علیه شدته فی احقاق الحق، ونقموا علیه سیفه الذی خلق منهم أعداء موتورین، منذ کان یصنع الاسلام بهذا السیف فی سوح الجهاد المقدس.

ونقموا علیه سنه لأنه کان فی العقد الرابع. ولا عجب إذا رأی ذوو الحنکة المسنون، ان لا یکون الخلیفة بعد رسول الله مباشرة، الا وهو فی العقد السابع مثلا.

وخفی علیهم ان الإمامة فی الاسلام دین کالنبوة نفسها، ویجوز فیها ما یجوز فی النبوة، ولا یجوز علیها ما لا یجوز علی النبوة فی عظمتها. فما شأن الاجتهاد بالسن فی مقابل النص علی التعیین. وما شأن الملاحظات السیاسیة فی مقابل کلمات الله وتصریحات نبیه (ص). وکانت سن علی یوم وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله، سن عیسی بن مریم یوم رفعه الله عز وجل، أفیجوز لعیسی ان ینتهی بقصاری نبوته فی الأرض إلی هذه السن، ولا یجوز لعلی أن یبتدئ خلافته فی ثلاث وثلاثین، وهی السن التی اختارها الله لسکان جنانه یوم القیامة! ولو لم تکن خیر سنی الانسان لما اختارها الله للمصطفین من عباده فی الجنان.

ونقموا علیه قرباه " فکرهوا اجتماع النبوة والخلافة فی بیت واحد " ولا نعرف کیف انقلبت الفضیلة – علی هذا المنطق – سببا لنقمة. ولا نفهم کیف کانت " القرابة " بموجتها القصیرة، وبما هی أقرب إلی النبی صلی الله علیه وآله حائلا دون الخلافة، ثم هی بموجتها الطویلة، وبما هی

(۴۱)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۴)، یوم القیامة (۱)، الجواز (۴)، الوفاة (۱)

صفحه ۳۷

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۴۲

أبعد عن النبی، دلیل الخلافة والحجة الوحیدة فی ما دلفوا به من حجاج خصومهم.

وحسبوا انهم أحسنوا صنعا للاسلام وللمصلحة العامة بفصلهم الخلافة عن بیت النبوة، وبما فسحوا المجال لبیوتات أخری، تتعاون – بدورها – علی غزو المنصب الدینی الأعلی، أبعد ما یکون بطبیعته عن مجالات الغزو والغلبة والاستیلاء بالقوة والعنف.

وخفی علیهم ما کان یحتاط به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لامته ولعترته، حین سجل الخلافة فی بیته.

* * وجاءت الاحداث – بعد ذلک – فنبهت العقول الواعیة إلی أخطاء القوم وصواب رسول الله صلی الله علیه وآله.

فکانت " عملیة الفصل " هذه، هی مثار الخلافات التاریخیة الحمر، بین عشاق الخلافة فی مختلف الأجیال، ومبعث مآس فظیعة فی المسلمین، ومصدر انعکاسات مزریة فی مثالیة الاسلام، کان المسلمون فی غنی عنها لو قدر للخلافة – من یومها الأول – ان تأخذ طریقها اللاحب الذی لا یجوز فیه اجتهاد، ولا تمسه سیاسة، ولا یتصرف فیه أحد غیر الله ورسوله.

"وما کان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضی الله ورسوله أمرا ان یکون لهم الخیرة من امرهم ومن یعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبینا."

وهـل كان التناحر والتطاحن المديـد العمر المتوارث مع الأجيال فيما بين الأسـر البارزة فى المسـلمين، الا نتيجـة فسـح المجال لهـذا أو ذاك فى الطماح إلى غزو المقام الرفيع.
وهل كانت المجازر الفظيعة التى جابهها المسـلمون فى الفترات المختلفة من تاريخ الاسـلام: بين بنى هاشم وبنى أمية: وبين بنى الزبير وبنى أمية: وبين بنى العباس وبنى أمية: وبين بنى على وبنى العباس ... الا النتيجة
(۴۲)
مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، بنو عباس (۲)، التاريخ الإسلامى (۱)، بنو أمية (۳)، بنو هاشم (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)، الغنى (۱)، الجواز (۱)

صفحه ۰۳۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۴۳
المباشـرة لفصم ذلك التقليـد الـدينى الذى احتاط به رسول الله صـلى الله عليه وآله، ليكون حائلا دون أمثال هذه المآسـى والاحداث المؤسفة فى الاسلام.
وهـل كـانت " فجائع العترة " الفريـدة من نوعها - بالقتل والصـلب والسبى والتشـريد - الا اثر الخطأة الأولى، التى خولفت بها سياسـة النبى (ص) فيما اراده لامته ولعترته، وفيما حفظ به أمته وعترته جميعا، لو انهم أطاعوه فيما أراد.
ولكنهم جهلوا مغزى هذه السياسة البعيدة النظر، فكرهوا اجتماع النبوة والخلافة فى بيت واحد، انصهارا بسياسة أخرى.
وكانت هى المعـذرة الظاهرة التى لم يجـدوا غيرها معذرة يبوحون بها للناس. اما معذرتهم الباطنة، فلا يعلم بها الا العالم ببواطن الأمور وهى على الأكثر لا تعـدو الـذكريات الداميـة فى حروب الدعوة الاسـلامية، أو الحسد الذى " يأكل الدين كما تأكل النار الحطب -" كما فى الحديث الشريف -.
وكان حب الرياسة وشهوة الحكم، شر أدواء الناس وبالا على الناس، وأشدها استفحالا فى طباع الأقوياء من زعماء ومتزعمين.
ومـا النبوة ولاـ الإمامـة بما هما - منصب إلهى - من مجالات السـياسة بمعناها المعروف، وكل سـياسة فى النبوة أو فى شـئ من ذيولها الإدارية، فهو دين والى الدين. والمرجع الوحيد فى كل ذلك، هو صاحب الدين نفسه، وكلمته هى الفصل فى الموضوع.
* * ولكى تتفق معى على مسـيس اتصال هـذه المناسـبة بموضوعنا اتصالا وشـيجا، عليك ان تتطلع إلى اللغـة المتظلمـة الناقمة التى ينكشف عنها الحسن بن على عليهما السلام فى هذا الشأن، بما كتبه إلى معاوية، ابان البيعة له فى الكوفة. قال:
(۴۳)
مفاتيـح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السـلام (۱)، الرسول الأكرم محمـد بن عبد الله صـلى الله عليه وآله (۲)، مدينة الكوفة (۱)، القتل (۱)، الأكل (۱)

صفحه ۰۳۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۴۴
"فلما توفى - يعنى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم - تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه، ولا يحل لكم ان تنازعونا سلطان محمـد وحقه. فرأت العرب ان القول ما قالت قريش وان الحجة فى ذلك لهم على من نازعهم فى امر محمد. فأنعمت لهم وسلمت إليهم، ثم حاججنا (۱) نحن قريشا بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصـفنا قريش انصاف العرب لها. انهم أخذوا هذا الامر دون العرب بالانصاف والاحتجاج، فلما صـرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم، باعونا واسـتولوا

بالاجتماع علی ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا. فالموعد الله وهو الولی النصیر.

"ولقد کنا تعجبنا لتوثب المتوثبین علینا فی حقنا، وسلطان بیتنا. وإذ کانوا ذوی فضیلة وسابقة فی الاسلام، أمسکنا عن منازعتهم، مخافة علی الدین ان یجد المنافقون والأحزاب فی ذلک مغمزا یثلمون به، أو یکون لهم بذلک سبب إلی ما أرادوا من افساده.

"فالیوم فلیتعجب المتعجب من توثبک یا معاویة علی أمر لست من أهله، لا بفضل فی الدین معروف، ولا أثر فی الاسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدی قریش لرسول الله صلی الله علیه وآله، ولکتابه. والله حسیبک فسترد علیه وتعلم لمن عقبی الدار ("!! ۲).

وهکذا نجد الحسن علیه السلام، یعطف – بالفاء – عجبه من توثب معاویة علی تعجبه لتوثب الأولین علیهم فی حقهم وسلطان بیتهم. ومن هنا تنبثق مناسبة اتصال قضیته بقضایا الخلائف السابقین، وتنبثق معها مناسبات أخری. بعضها للأخوین. وبعضها للأبوین. وبعضها للحق العام.

(۱) وکان من أفظع النکایات بقضیة أهل البیت علیهم السلام، ان تختفی کل هاتیک المحاجحات فی التاریخ. ثم لا نقف منها الا علی النتف الشاردة التی أغفلتها الرقابة العدوة عن غیر قصد.. وهنا الذکر قول الشاعر المجدد الحاج عبد الحسین الآزری:

اقرأ بعصرک ما الأهواء تکتبه * * ینبئک عما جری فی سالف الحقب (۲) ابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۱۲).

(۴۴)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۲)، أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، الحج (۱)

صفحه ۴۰

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۴۵

وما نحن بالذاکرین شیئا منها هنا، لأنا لا نرید ان نتصل بهذه البحوث، فی سطورنا هذه، الا بمقدار ما تتصل هی بالصمیم من موضوعنا. * * وعلمنا ان الرشاقة السیاسیة البارعة التی ربحت الموقف بعد وفاة رسول الله (ص) فی لحظات، والتی سماها کبیر من أقطابها" بالفلتة "وسماها معاویة " بالابتزاز للحق والمخالفة علی الامر (۱، ") کانت بنجاحها الخاطف دلیلا علی سبق تصمیم فی الجماعات التی ولیت الحل والعقد هناک. فکان من السهل ان نفهم من هذا التصمیم " اتجاها خاصا " نحو العترة من آل محمد (ص) له اثره فی حینه، وله آثاره بعد ذلک.

فکانوا المغلوبین علی امرهم، والمقصین – عن عمد – فی سائر التطورات البارزة التی شهدها التاریخ یومئذ (۲).

فلا الذی عهد بالخلافة قدمهم. ولا الذی حصر الخلیفة فی الثلاثة من الستة أنصفهم. ولولا رجوع الاختیار إلی الشعب نفسه مباشرة، بعد حادثة الدار، لما کان للعترة نصیب من هذا الامر علی مختلف الادوار.

(۱) تجد ذلک صریحا فیما کتبه معاویة لمحمد بن أبی بکر. قال ": کان أبوک وفاروقه أول من ابتزه – یعنی علیا علیه السلام – حقه وخالفه علی امره. علی ذلک اتفقا واتسقا، ثم انهما دعواه إلی بیعتهما فأبطأ عنهما وتلکأ علیهما، فهما به الهموم وأرادوا به العظیم. ثم انه بایع لهما وسلم لهما. وأقاما لا یشرکانه فی أمرهما، ولا یطلعانه علی سرهما حتی قبضهما الله.. – ثم أردف قائلا –: فان یک ما نحن فیه صوابا، فأبوک استبد به ونحن شرکاؤه، ولولا ما فعل أبوک من قبل، ما خالفنا ابن أبی طالب ولسلمنا الیه، ولکنا رأینا أباک فعل ذلک به من قبلنا واخذنا بمثله.. " اه المسعودی علی هامش ابن الأثیر (ج ۶ ص ۷۸ – ۷۹).

(۲) ونجد فی کلمات أمیر المؤمنین (ع) شواهد کثیرة علی ذلک. قال ": فوالله ما زلت مدفوعا عن حقی مستأثرا علی منذ قبض الله نبیه حتی یوم الناس هذا. " وقال: اللهم انی أستعدیک علی قریش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمی وصغروا عظیم منزلتی واجمعوا علی

منازعتی أمرا هو لی..

(۴۵)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، الوفاة (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، إبن الأثیر (۱)، محمد بن أبی بکر (۱)

صفحه ۰۴۱

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۴۶

ثم کان لهذا " الاتجاه الخاص " أثره فی خلق معارضة قویة للعهدین اللذین رجعا بأمرهما إلی العترة من آل محمد صلی الله علیه وآله.

وفی حروب البصرة وصفین فمسکن شواهد کثیرة علی ما نقول.

وفی موقف ابن عمر (۱) وسعد بن أبی وقاص وأسامة بن زید ومحمد بن مسلمة وقدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام وحسان بن ثابت وأبی سعید الخدری وزید بن ثابت والنعمان بن بشیر.. وهم " القعاد " الذین آثروا الحیاد، واستنکفوا من البیعة لعلی ولابنه الحسن علیهما السلام شواهد أخری.

ولهذه المعارضة میادینها المختلفة وألوانها المتعددة. ومنها المواقف السلبیة النابیة التی جوبه بها زعماء العترة علیهم السلام، فی المدینة أولا، وفی الکوفة أخیرا.

والا فما الذی کان یحدو علیا علیه السلام، لیقول من علی منبره فی الکوفة:

"یا أشباه الرجال ولا رجال، ویا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال، أما والله لوددت أن الله أخرجنی من بین أظهرکم، وقبضنی إلی رحمته من بینکم، ووددت أنی لم أرکم ولم أعرفکم، فقد والله ملأتم صدری غیظا. وجرعتمونی الامرین أنفاسا. وأفسدتم علی رأیی بالعصیان والخذلان ".. إلی کثیر مما یشبه هذا القول، مما أثر عنه فی خطبه وکلماته.

ألیست هی المعارضة التی زرعت نوابتها الخبیثة فی کل مکان من حواضر علی علیه السلام، فأخذت علی الناس التقاعس عن نصرته بشتی المعاذیر.

(۱) قال المسعودی (هامش ابن الأثیر ج ۵ ص ۱۷۸ - ۱۷۹ "): ولکن عبد الله بن عمر بایع یزید بعد ذلک وبایع الحجاج لعبد الملک بن مروان "!. ورأی المسعودی ان یسمی هؤلاء " القعاد " بالعثمانیة. ورأی أبو الفدا (ج ۱ ص ۱۷۱) ان یسمیهم " المعتزلة" لاعتزالهم بیعة علی (ع) - أقول: وما هم بالعثمانیة ولا المعتزلة ولکنهم الذین ماتوا ولم یعرفوا امام زمانهم.

(۴۶)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۲)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۲)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، أبو سعید الخدری (۱)، مدینة الکوفة (۲)، عبد الله بن سلام (۱)، أسامة بن زید (۱)، النعمان بن بشیر (۱)، مدینة البصرة (۱)، قدامة بن مظعون (۱)، حسان بن ثابت (۱)، زید بن ثابت (۱)، محمد بن مسلمة (۱)، مدرسة المعتزلة (۲)، إبن الأثیر (۱)، عبد الله بن عمر (۱)

صفحه ۰۴۲

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۴۷

أقول هذا. ولا أرید ان أتناسی - معه - العوامل الأخری التی شارکت " الاتجاه - " الآنف الذکر - فی تکوین هذه المعارضة بموقفیها

- الايجابى المسلح والسلبى الخاذل - تجاه العترة النبوية فى العهد الهاشمى الكريم.

ولا أشك بان العدل الصارم، والمساواة الدقيقة فى التوزيع التى كانت طابع هذا العهد، بل هى - دون ريب - طابع العهود الهاشمية مع القرن الأول، فى نبوتها وفى خلافتها. - هى الأخرى التى تحسس منها الناس أو قسم من الناس، بشىء من الضيق لا يتسع للطاعة المطلقة ولا للاخلاص الحر اللذين لن ينتفع بغيرهما فى ميدان سلم أو ميدان حرب.

والظروف الطارئة بمقتضياتها الزمنية التى طلعت بها على الناس خزائن الممالك المهزومة فى الفتوح، والطعوم الجديدة من الحياة التى لا عهد لهؤلاء الناس بمثلها من قبل - كل ذلك، كان له أثره فى خلق الحس المظلم الذى من شأنه ان يظل دائما فى الجهة المعاكسة للنور.

وفى بحران هذا " الاتجاه الخاص " الذى تعاون على تكوينه ربع قرن من السنين، يتمثل عهد على عليه السلام فى خلافته قبل بيعة الحسن فى الكوفة.

والحسن من على (عليهما السلام) كبير ولده، وولى عهده، وشريك سرائه وضرائه، يحس بحسه ويألم بألمه. وهو - إذ ذاك - على صلة وثيقة بالدنيا التى أحاطت بأبيه من قومه ومن رعيته ومن أعدائه، فهو لا يجهلها ولا يغفل عنها، وكان ينطوى مما يدور حوله على شجى مكتوم، يشاركه فيه أخوه كما يشاركه فى إخوته. وكان هذا الشجى المكتوم، هو الشىء الظاهر مما خلف به هؤلاء المسلمون - يومئذ - نبيهم فى عترته، جوابا على قوله (ص) لهم ": فانظروا كيف تخلفونى فيهما."!!

* * *

(۴۷)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (۱)، مدينة الكوفة (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الظل، التظليل، الظلالة (۱)، الحرب (۱)

صفحه ۰۴۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۴۸

وكان الحسن عليه السلام، إذ ينطوى على هذا الشجى، لا يلبث ان يستروح الامل - أحيانا - بما يجده فى صحابة أبيه البهاليل من النجدة والحيوية والمفاداة وشمائل الاخلاص الذى لا تشوبه شائبة طمع فى دنيا، ولا شائبة هوى فى سياسة.

ومن هؤلاء، القواد العسكريون، والخطباء المفوهون. والفقهاء والقراء والصفوة الباقية من بناة الاسلام. كانوا - بجدارة - العدة التى يستند عليها أمير المؤمنين، فى حربه وسلمه. وكانوا - بحق - دعامة العهد الهاشمى فيما تعرض له هذا العهد، من زلازل وزعازع واخطار.

وكانوا المسلمين الذين وفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله، فيما واثقوه عليه فى ذريته، بأن يمنعوهم بما يمنعون به أنفسهم وذراريهم. فلم لا يستروح الحسن بهم روائح الامل لقضية أبيه، بل لقضية نفسه.

وكانوا المؤمنين الذين آمنوا بكلمات الله فى أهل بيت نبيهم وذوى قرباه وآمنوا بوصى نبيهم، وبمراتبه التى رتبها الله له أو رتبه لها. وفهموا عليا كما يجب أن يفهم. وعلى هو ذلك البطل الذى لم يحلم المسلمون بعد رسول الله (ص) بمثله، اخلاصا فى الحق، وتفاديا فى الاسلام، ونصحا للمسلمين، واستقامة على العدل، واتساعا فى العلم. ولن ينقص عليا فى كبرياء معانيه، جحود الآخرين فضائله ومميزاته، ولهؤلاء الآخرين من مطامعهم وأهوائهم شغل شاغل يملأ فراغ نفوسهم. وما فى ملاكات على عليه السلام متسع للأهواء والمطامع. فليكن هؤلاء - دائما - فى الملاكات البعيدة عن على، وليكونوا فى المعسكر الذى يقوم على المساومة بالمال والولايات..

وليكن مع على زمرته المنخولة تلك، المسلمة اسلامها الصحيح أمثال عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين، وحذيفة بن

الیمان، وعبد الله وعبد الرحمن ابنی بدیل، ومالک بن الحارث الأشتر، وخباب بن الأرت، ومحمد بن أبی بکر، وأبی الهیثم بن التیهان، وهاشم بن عتبة

(۴۸)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۲)، حذیفة بن الیمان (۱)، خباب بن الأرت (۱)، خزیمة بن ثابت (۱)، مالک بن الحارث (۱)، محمد بن أبی بکر (۱)، هاشم بن عتبة (۱)، عمار بن یاسر (۱)، الباطل، الإبطال (۱)

صفحه ۴۴

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۴۹

ابن أبی وقاص (المرقال)، وسهل بن حنیف، وثابت بن قیس الأنصاری، وعقبة بن عمرو، وسعد بن الحارث بن الصمة، وأبی فضالة الأنصاری، وکعب بن عمرو الأنصاری، وقرضة بن کعب الأنصاری، وعوف بن الحارث بن عوف، وکلاب بن الأسکر الکنانی، وأبی لیلی بن بلیل ... واضراب هؤلاء من قادة الحروب وأحلاس المحاریب، الذین أنکروا الظلم، واستعظموا البدع، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنکر، وتسابقوا إلی الموت فی سبیل الله، استباق غیرهم إلی المطامع فی سبیل الدنیا.

ومن الخیر، أن ننبه هنا، إلی ان جمیع هذه الصفوة المختارة کانت قد استشهدت فی میادین علی علیه السلام، وان ثلاثا وستین بدریا استشهد معهم فی صفین (۱) وحدها، وان أضعاف هذه الاعداد کانت خسائر الحروب المتعاقبة مدی ثلاث سنوات.

فما ظنک الآن، بذلک الامل الذی کان یداعب الحسن علیه السلام بوجود الأنصار، وهل بقی للحسن - بعد هذا - الا الشجی المکتوم، مضاعفا علی تضاعیف الأیام.

اما معسکر علی علیه السلام، فقد نکب نکبته الکبری، حین أصحر من خیرة رجالاته، ومراکز الثقل فیه.

واما دنیا علی علیه السلام، فقد عادت لسقیا الغصص وشرب الرنق - علی حد تعبیره هو فیما ندب به أصحابه عند مصارعهم -.

وتلفت علی إلی آفاقه المترامیة التی تخضع لامره، فلم یجد بین جماهیرها المتدافعة، من ینبض بروح أولئک الشهداء، أو یتحلی بمثل مزایاهم، اللهم الا النفر الأقل الذی لا یناط به أمل حرب ولا أمل سلم.

ولولا قوة تأثیره فی خطبه، وعظیم مکانته فی سامعیه، لما تألف له - بعد هؤلاء - جیش، ولا قامت له بعدهم قائمة.

(۱) اسم موضوع علی شاطئ الفرات بین " عانة " و " دیر الشعار. " کان میدان الحروب الطاحنة بین الکوفة والشام.

(۴۹)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۳)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، الحارث بن عوف (۱)، ثابت بن قیس (۱)، سهل بن حنیف (۱)، عقبة بن عمرو (۱)، سبیل الله (۱)، کعب بن عمرو (۱)، الظلم (۱)، الموت (۱)، الحرب (۱)، الشهادة (۲)، الإبداع، البدعة (۱)، مدینة الکوفة (۱)، نهر الفرات (۱)، الشام (۱)

صفحه ۴۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۵۰

وهکذا أسلمته ظروفه لان یکون هدف المقاطعة من بعض، وهدف العداء المسلح من آخرین، وهدف الخذلان الممقوت من الاتباع (فلا اخوان عند النجاء، ولا أحرار عند النداء).

وأی حیاة هذه التی لا تحفل بأمل، ولا ترجی لنجاح عمل. وقد أزمع فیها الترحال عباد الله الأخیار، الذین باعوا قلیلا من الدنیا لا یبقی،

بكثير من الآخرة لا يفنى.

فسمع وهو يقول (اللهم عجل للمرادى شقاءه) وسمع وهو يقول (فما يحبس أشقاها ان يخضبها بدم أعلاها)، وسمع وهو يقول (أما والله لوددت ان الله أخرجنى من بين أظهركم وقبضنى إلى رحمته من بينكم).

وسلام عليه يوم ولد. ويوم سبق الناس إلى الاسلام. ويوم صنع الاسلام بسيفه. ويوم امتحن. ويوم مات. ويوم يبعث حيا.

* * وترك من بعده لولى عهده، ظرفه الزمنى النابى، القائم على اثافيه الثلاث - فقر الأنصار. والعداء المسلح. والمقاطعة الخاذلة.

البيعة

(۵۰)

مفاتيح البحث: الموت (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)

صفحه ۰۴۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۵۲

إذا كان الدين فى الاسلام، هو ما يبلغه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأنه الذى لا ينطق عن الهوى " ان هو الا وحى يوحى، " وإذا كان الخليفة فى الاسلام هو من يعينه النبى للخلافة، لأنه المرجع الأعلى فى الاثبات والنفى، فالحسن بن على، هو الخليفة الشرعى، بايعه الناس أو لم يبايعوه.

ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله باسمه فى سلسلة أسماء خلفائه الاثنى عشر، كما تضافر به الحديث عنه، فيما رواه علماء السنة (۱)، وفيما أجمع على روايته علماء الشيعة، وفيما اتفق عليه الفريقان، من قوله له ولأخيه الحسين ": أنتما الامامان ولأمكما الشفاعة (۲.")

وقوله وهو يشير إلى الحسين ": هذا امام ابن امام أخو امام أبو أئمة تسعة (۳ - ") الحديث -.

وأمره أبوه أمير المؤمنين - منذ اعتل - أن يصلى (۴) بالناس، وأوصى اليه عند وفاته قائلا ": يا بنى أنت ولى الامر وولى الدم، وأشهد على وصيته الحسين ومحمدا وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ودفع اليه الكتاب والسلاح، ثم قال له ": يا بنى أمرنى رسول الله أن أوصى إليك، وأن أدفع إليك كتبى وسلاحى، كما أوصى إلى رسول الله ودفع إلى

(۱) تجد ذلك مفصلا فى ينابيع المودة (ج ۲ ص ۴۴۰) فيما يرويه عن الحموينى فى فرائد السمطين، وعن الموفق بن احمد الخوارزمى فى مسنده. وروى ذلك ابن الخشاب فى تاريخه وابن الصباغ فى " الفصول المهمة، " والحافظ الكنجى فى " البيان. " وأسعد بن إبراهيم بن الحسن بن على الحنبلى فى " أربعينه. " والحافظ البخارى (خاجه بارسا) فى " فصل الخطاب. "

(۲) الاتحاف بحب الاشراف، للشبراوى الشافعى (ص ۱۲۹ ط مصر) ونزهة المجالس. للصفورى الشافعى (ج ۲ ص ۱۸۴).

(۳) ابن تيمية فى منهاجه (ج ۴ ص ۲۱۰).

(۴) المسعودى (هامش ابن الأثير ج ۶ ص ۶۱).

(۵۲)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، الحسن بن على (۱)، الوصية (۲)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (۱)، كتاب فصل الخطاب لسليمان أخ محمد بن عبد الوهاب (۱)، ابراهيم الحموينى الشافعى (۱)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (۱)، كتاب ينابيع المودة (۱)، كتاب فرائد السمطين (۱)، إبن الأثير (۱)، إبراهيم بن الحسن (۱)، ابن تيمية (۱)، الخوارزمى (۱)

صفحه ۰۴۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۵۳

كتبه وسلاحه. وأمرنى أن آمرك، إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين. " ثم أقبل على الحسين فقال ": وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا. " ثم اخذ بيد على بن الحسين وقال ": وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد. فأقرئه من رسول الله ومنى السلام (" ١).

* * صورة تحكيها كل كتب الحديث التى تعرض لهذه المواضيع، وترفعها مسندة بالطرق الصحيحة الموثقة، إلى مراجعها من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم. وهى الصورة التى تناسق الوضع المنتظر لمثل ظرفها. والا فما الذى كان ينبغى غير ذلك؟

وهذه هى طريقة الامامية من الشيعة فى اثبات الإمامة.

- نصوص نبوية متواترة من طرقهم، ومروية بوضوح من طرق غيرهم، تحصر الإمامة فى اثنى عشر إماما كلهم من قريش (٢)، وتذكر - ضمنا - أو فى مناسبة أخرى، أسماءهم إماما إلى آخرهم، وهو المهدى المنتظر الذى يملأ الله به الأرض قسطا وعدلا، بعد أن تكون قد امتلأت ظلما وجورا.

- ونصوص خاصة، من كل امام على خلفه الذى يجب أن يرجع اليه الناس.

ثم يكون من تفوق الامام، فى علمه وعمله ومكارمه وكراماته، أدلة وجدانية أخرى، هى بمثابة تأييد لتلك النصوص بنوعيها.

(١) أصول الكافى (ص ١٥١) وكشف الغمة (ص ١٥٩) وغيرهما.

(٢) ففى صحيح مسلم (ج ٢ ص ١١٩) فى باب " الناس تبع لقريش " عن جابر بن سمرة قال ": سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش. " وروى نحوا منه البخارى (ج ۴ ص ۱۶۴) وأبو داود والترمذى فى جامعه والحميدى فى جمعه بين الصحيحين. ورواه غيرهم. والحديث بحصره العدد فى الاثنى عشر من قريش، وبما يفصله صحيح مسلم من كون هذا العدد هو عدد الخلفاء إلى ان تقوم الساعة، صريح بما يقوله الامامية فى أئمتهم، دون ما وقع فى التاريخ من أعداد الخلفاء ومختلف عناصرهم.

(۵۳)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، على بن الحسين (١)، الموت (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، حديث اثنى عشر خليفة (١)، كتاب أصول الكافى للشيخ الكلينى (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، كتاب صحيح مسلم (٢)، جابر بن سمرة (١)

صفحه ۰۴۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۵۴

اما بيعة الناس فليست شرطا فى امامة الامام. وانما على الناس أن يبايعوا من أرادته النصوص النبوية. ولا تصحح الامامية بيعة غيره. ولا تقع من أحدهم الا اضطرارا.

وقضت الظروف بدوافعها الزمنية، أن لا يبايع الناس من الأئمة المنصوص عليهم، الا الامامين عليا والحسن عليهما السلام.

* * وابتدأ بعد الحسن عهد " الخلافات " الاسمية، التى ترتكز فى نفوذها على السلاح، وتقوم فى بيعتها على شراء الضمائر بالمال. أو كما قال الغزالى " وأفضت الخلافة إلى قوم تولوها بغير استحقاق (١.")

وكان الأولى بالمسلمين، أو بمؤرخة الاسلام على الأخص، ان يغلقوا عهد " الخلافة " بنهاية عهد الحسن عليه السلام، ليشرعوا بعده عهد " الملك " بظواهره وسياسته وارتجالاته ولو فعلوا لحفظوا مثالية الاسلام مجلوة بما ترسمه خلفاؤه المثاليون من سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولصانوا الاسلام عن كثير مما وصمه به هؤلاء الملوك الذين فرضوا على المسلمين خلافاتهم فرضا، ثم جاء

التاریخ فرضی أن یسمیهم " الخلفاء " من دون استحقاق لهذا الاسم، وأساء إلی الاسلام من حیث أراد الاحسان.

تری، أیصح للخلیفة الذی یجب أن یکون أقرب الناس شبها بصاحب الرسالة فی ورعه وعلمه والتزامه بحرفیة الاسلام، أن یصلی " الجمعة " یوم الأربعاء، أو یصلیها مرة أخری فی ضحی النهار، أو یتطلب محرما، أو یبیع الذهب بأکثر منه وزنا، أو یلحق العهار بالنسب، أو یقتل المؤمن صبرا، أو یرد الکافر بالمال لیتجهز علی اخوانه المسلمین بالحرب؟ إلی غیر ذلک والی أنکی من ذلک من ظواهر الملک التی لا یجوز نسبتها إلی الدین. فلم لا یکون صاحبها رئیس دنیا و " ملکا " بدل أن نسمیه رئیس دین و " خلیفة؟."

وناهیک بمن جاء بعد معاویة من خلائف هذه الشجرة المنعوتة فی القرآن – نعتها اللائق بها –. فماذا کان من یزید وماذا کان من

(۱) تراجع " دائرة المعارف " لفرید وجدی مادة " حسن (" ج ۳ ص ۲۳۱).

(۵۴)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۲)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، القرآن الکریم (۱)، البیع (۱)، القتل (۱)، الجواز (۱)

صفحه ۴۹

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۵۵

عبد الملک ومن الولید، ومن آخرین وآخرین.

کل ذلک کان یجب أن یستحث المسلمین إلی الانتصاف للاسلام، فلا یضیفون إلی مراکزه الدینیة العلیا، الا الأکفاء المتوفرین بتربیتهم علی مثالیته والذین هم أقرب الناس شبها بمصدر عظمته الأول (ص).

وعلمنا – مما تقدم – أن الحسن بن علی علیهما السلام، کان أشبه الناس برسول الله صلی الله علیه وآله خلقا وخلقا وهیأة وسؤددا (۱). وانه کان علیه سیماء الأنبیاء وبهاء الملوک. وعلمنا أنه کان سید شباب أهل الجنة فی الآخرة. والسید فی الآخرة هو السید فی الدنیا غیر منازع. و " السید " المطلق لقبه الشخصی الذی لقبه به جده رسول الله (صلی الله علیه وآله).

وعلمنا أنه کان أشرف الناس نسبا، وخیرهم أبا وأما وعما وعمة وخالا وخالة وجدا وجدة. کما وصفه مالک بن العجلان فی مجلس معاویة (۲).

فلم لا یکون – علی هذا – هو المرشح بالتزکیة القطعیة للبیعة العامة. کما کان – إلی ذلک – هو الامام المقطوع علی أمره بالنص. ولم لا یضاف الیه المرکز الدینی الأعلی، وهو من عرفت مقامه وسموه وممیزاته. وإذا تعذر علینا أن نفهم الإمامة والکفاءة للخلافة، من هذه القابلیات الممتازة والمناقب الفضلی، فأی علامة أخری تنوب عنها أو تکفینا فهمها.

* * خرج علیه السلام إلی الناس، غیر ناظر إلی ما یکون من أمرهم معه، ولکنه وقف علی منبر أبیه، لیؤبن أباه بعد الفاجعة الکبری فی مقتله صلوات الله وسلامه علیه.

فقال ": لقد قبض فی هذه اللیلة رجل لم یسبقه الأولون، ولا یدرکه الآخرون. لقد کان یجاهد مع رسول الله فیقیه بنفسه. ولقد کان یوجهه برایته، فیکتنفه جبرئیل عن یمینه، ومیکائیل عن یساره، فلا یرجع حتی یفتح الله علیه. ولقد توفی فی اللیلة التی قبض فیها موسی بن عمران. ورفع بها عیسی بن مریم، وانزل القرآن. وما خلف صفراء ولا بیضاء الا سبعمائة درهم من عطائه، أراد أن یبتاع بها خادما لأهله (۱.")

وتأبین الحسن هذا – بأسلوبه الخطابی – فرید لا عهد لنا بمثله، لأنه – کما تری – لم یعرض إلی ذکر المزایا المعروفة فی الراحل العظیم، کما هی العادة المتبعة فی أمثال هذه المواقف، ولا سیما فی تأبین الرجال الذین احتوشوا الفضائل، فکان لهم أفضل درجاتها، ومرنوا علی المکارم فإذا هم فی القمة من ذرواتها، علما وحلما وفصاحة وشجاعة وسماحة ونسبا وحسبا ونبلا ووفاء واباء، کعلی الذی

حير المادحين مـدح علاه. فلماذا يعزف الحسن عليه السـلام، فيما يؤبنه به عن الطريقة المألوفة فى تأبين العظماء؟. ترى أكانت الصدمة القوية فى مصـيبته به، هى التى سدت عليه – وهو الخطيب المصقع وابن أخطب العرب – أبواب القول فيما ينبغى أن يقول، أم أنه كان قد عمد إلى هذا الأسلوب قاصدا، فكان فى اختيار

(۱) اليعقوبى (ج ۲ ص ۱۹۰) وابن الأثير (ج ۳ ص ۱۶) ومقاتل الطالبيين.

(۵۵)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السـلام (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السـلام (۱)، الرسول الأكرم محمـد بن عبـد الله صـلى الله عليه وآله (۲)، يوم عرفـة (۱)، موسـى بن عمران (۱)، القرآن الكريـم (۱)، الصّلاة (۱)، الإختيار، الخيار (۱)، القتل (۲)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۵۰

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۵۷

الأسلوب الخاص، أبلغ الخطباء وابرعهم إصابة للمناسبات، وأطولهم خطابة على اختصار الكلمات.

نعم انه يؤبنه بما لا يسع أحـدا فى التاريخ أن يؤبن به غيره. وكل تأبين على غير هذا الأسـلوب، كان بالامكان أن يؤبن على غراره غيره وغيره من عظمـاء النـاس. اما الأوصاف الفريـدة التى ذكرها الحسن لأبيه فى هـذا التأبين، فكانت الخصائص العلويـة التى لا تصـح لغير على فى التاريخ، ولا يشاركه فيها أحد من العظماء ولا من الأولياء.

انه ينظر اليه من زاويته الربانيـة – نظر امـام إلى امام – فإذا هو الراحل الـذى لا يشـبهه راحل ولا مقيم، ولا يضاهيه – فى شتى مراحله – ولى ولا زعيم.

رجـل ولكنه الـذى لم يسـبقه الأولون ولا يـدركه الآخرون. وانسان ولكنه بين جبرئيل وميكائيل، وهل هـذا الا الانسان الملائكى. ترفع روحه يوم يرفع عيسـى، ويموت يوم يموت موسـى، وينزل إلى قبره يوم ينزل القرآن إلى الأرض! مراحـل كلها بين ملك مقرب ونبى مرسل وكتاب منزل، ومع رسول الله يقيه بنفسه. فما شأن مكارم الدنيا، إلى جنب هذه المكرمات الكرائم، حتى يعرض إليها فى تأبينه.

ولعلك تتفق معى الآن إلى أن هـذا الأسـلوب الرائع " الفريد " فيما أبن به الحسن أباه عليهما السـلام، كان أبلغ تأبين فى ظرفه، وأليقه بهذا الفقيد.

وهـذه احـدى مواقفه الخطابيـة، التى دلت بموهبتهـا الممتـازة على نسبها القريب، من جـده ومن أبيه (صـلى الله عليهمـا وعلى آلهما). وسيكثر منذ اليوم أمثالها، من الحسن " الخليفة " عليه السلام، بحكم نزوله إلى قبول البيعة من الناس، وبما سيستقبله من طوارئ كثيرة، تستدعيه للكلام وللقول وللخطابة فى مختلف المناسبات.

* * *

(۵۷)

مفاتيح البحث: القرآن الكريم (۱)، الموت (۱)، القبر (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الجنابة (۱)

صفحه ۵۱

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۵۸

ووقف بحـذاء المنبر فى المسـجد الجامع – وقـد غص بالناس – ابن عمه " عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب. " ينتظر هدوء العاصـفة الباكية المرنة، التى اجتاحت الحفل، فى أعقاب تأبين الامام الحسن لأبيه عليهما السلام.

ثم قال – بصوته الجهورى الموروث – الذى يدوى فى الأرض دوى أصوات السماء، وما كان عبيد الله منذ اليوم، الا داعى السماء إلى الأرض:

"معاشر الناس هذا ابن نبيكم، ووصى امامكم فبايعوه " " يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم."

وفى الناس إلى ذلك اليوم، كثير ممن سمع نص رسول الله صلى الله عليه واله، على إمامته بعد أبيه. فقالوا ": ما أحبه الينا وأوجب حقه علينا وأحقه بالخلافة. " وبادروا إلى بيعته راغبين.

وكان ذلك يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان، يوم وفاة أبيه عليه السلام، سنة أربعين للهجرة (۱).

وهكذا وفقت الكوفة لان تضع الثقة الاسلامية فى نصابها المفروض لها، من الله عز وجل ومن العدل الاجتماعى، وبايعته – معها – البصرة والمدائن وبايعه العراق كافة، وبايعه الحجاز واليمن على يد القائد العظيم " جارية بن قدامة، " وفارس على يد عاملها " زياد بن عبيد، " وبايعه – إلى ذلك – من بقى فى هذه الآفاق من فضلاء المهاجرين والأنصار، فلم يكن لشاهد أن يختار ولا لغائب أن يرد، ولم يتخلف عن بيعته – فيما نعلم – الا معاوية ومن اليه، واتبع بقومه غير سبيل المؤمنين، وجرى مع الحسن مجراه مع أبيه بالأمس. وتخلف أفراد آخرون عرفوا بعد ذلك بالقعاد.

(۱) يرجع فيما ذكرناه هنا إلى شرح النهج لابن أبى الحديد (ج ۴ ص ۱۱) وذكر غيره مكان عبيد الله أخاه عبد الله. وسنشير فى فصل " القيادة والنفير " إلى ان عبد الله لم يكن فى الكوفة أيام بيعة الحسن.

(۵۸)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، المهاجرون والأنصار (۱)، دولة العراق (۱)، مدينة الكوفة (۲)، شهر رمضان المبارك (۱)، جارية بن قدامة (۱)، مدينة البصرة (۱)، زياد بن عبيد (۱)، السجود (۱)، الوفاة (۱)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى (۱)

صفحه ۵۲

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۵۹

اما الخلافة الشرعية. فقد تمت " على ظاهرتها العامة " من طريق البيعة الاختيارية، للمرة الثانية فى تاريخ آل محمد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وطلعت على المسلمين من الزاوية المباركة التى طلعت عليهم بالنبوة قبل نصف قرن. فكانت من ناحية صلتها برسول الله صلى الله عليه وآله، امتدادا لمادة النور النبوى، فى المصباح الذى يستضىء به الناس. ومع الخليفة الجديد كل العناصر المادية والمعنوية التى تحملها الوراثة فى كينونته ومثاليته.

فكان على ذلك الأولى بقول الشاعر:

نال الخلافة إذ كانت له قدرا * * * كما أتى ربه موسى على قدر * * ويعود الامام الحسن عليه السلام – بعد أن أخذت البيعة له – فيفتتح عهده الجديد، بخطابه التاريخى البليغ، الذى يستعرض فيه مزايا أهل البيت وحقهم الصريح فى الامر، ثم يصارح الناس فيه بما ينذر به الجو المتلبد بالغيوم من مفاجئات واخطار..

فيقول. (وهو بعض خطابه):

"نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله فى أمته، ثانى كتاب الله الذى فيه تفصيل كل شئ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا فى تفسيره، لأنتظن تأويله بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا

الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول وقال: ولو ردوه إلى الرسول وأولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم."

ثم يمضى فى خطابه، ويردف أخيرا بقوله:

(۵۹)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، حزب الله (۱)، الباطل، الإبطال (۱)، الموت (۱)، الطهارة (۱)

صفحه ۰۵۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۶۰

"وأحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون. فستلقون للرماح وردا، وللسيوف جزرا، وللعمد حطما، وللسهام غرضا. ثم لا ينفع نفسا ايمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا (۱..")

ثم نزل من على منبره، فرتب العمال، وأمر الامراء ونظر فى الأمور (۲).

(۱) روى هذه الخطبة هشام بن حسان. وقال: انها بعض خطبته بعد البيعة له بالامر البحار (ج ۱۰ ص ۹۹) والمسعودى.

(۲) وروى هذا النص أكثر المؤرخين.

* * قبول الخلافة وتحذلق بعض المترفهين بالنقد، فرأى من " التسرع " قبول الحسن للخلافة، فى مثل الظرف الذى بايعه فيه الناس، بما كان يؤذن به هذا الظرف من زعازع ونتائج، بعضها ألم، وبعضها خسران.

ولكى نتبين مبلغ الإصابة فى التسرع إلى هذا النقد. نقول:

اما أولا:

فلما كان الواجب على الناس دينا، الانقياد إلى بيعة الامام المنصوص عليه، كان الواجب على الامام - مع قيام الحجة بوجود الناصر - قبول البيعة من الناس.

اما قيام الحجة - فيما نحن فيه - فقد كان من انثيال الناس طواعية إلى البيعة فى مختلف بلاد الاسلام، ما يكفى - بظاهر الحال - دليلا عليه. ولا مجال للتخلف عن الواجب مع وجود شرطه.

واما ثانيا:

فان مبعث هذا الانعكاس البدائى، عن قضية الحسن عليه السلام هو

(۶۰)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)

صفحه ۰۵۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۶۱

النظر إليها من ناحيتها الدنيوية فحسب. بينما الأنسب بقضية " امام " ان يستنطقها الباحث من ناحيتها الدينية على الأكثر. وكثير هو الفرق بين الدنيا والدين فى نظر امام. والقضية من هذه الناحية ظفر لا خسارة - كما سنأتى على توضيحه فى محله المناسب - وهى وان تكن معرض آلام، ولكنها آلام فى سبيل الاسلام، ومن أولى من الحسن بالاسلام وتحمل آلامه. وانما هو نبت بيته.

واما ثالثا:

فلم یکن الحسن فی رفعة مکانه من زعماء المسلمین، وفی نسبه الممتاز ومرکزه من العلم، بالذی یستطیع الفراغ وان أراده عن عمد، ولا بالذی یترکه الناس وان أراد هو ان یترکهم، وکان لابد للرجات العنیفة فی المجتمع الاسلامی، أن تتدافع الیه، تستدعیه للوثوب احقاقا للحق وانکارا للمنکر – کما وقع لأخیه الحسین علیه السلام فی ظرفه.

وأیضا. فلو ترک الناس وتجافی عن بیعتهم، أو ترکه الناس وأعفوه خلافتهم، فلن یترکه المتغلبون علی الناس. وانهم لینظرون الیه – دائما – کشبح مخیف، بما یدور حوله من الدعوة إلی الاصلاح، أو النقمة الصارخة علی الوضع، التی کان یتطوع لها مختلف الطبقات، من الساخطین والمعارضین والدعاة لله، ولن یجد هؤلاء یومئذ ملجأ یفیئون الیه، خیرا من ابن رسول الله الامام المحبوب. وهل کانت الوفود التی عرضت علیه استعدادها لمناوأة الحکام الأمویین وإعادة الکرة (۱) لاسترجاع الحق المغصوب، الا ظاهرة هذه النقمة الصارخة التی کان یعج بها المجتمع الاسلامی یوم ذاک. وأنی لسلطان المتغلبین أن یستقر ما دام هذا المنار قائما یفیء الیه الناس.

ولنتذکر أنه قتل مسموما. ولماذا یقتلونه وقد صالحهم وترک لهم الدنیا برمتها، لولا أنهم خافوه علی سلطانهم، ورأوا من وجوده حاجزا

(۱) الإمامة والسیاسة (ص ۱۵۱).

(۶۱)

مفاتیح البحث: الإمام الحسین بن علی سید الشهداء (علیهما السلام) (۱)، الدولة الأمویة (۱)، القتل (۱)

صفحه ۵۵

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۶۲

یمنعهم من النفوذ إلی قلوب الناس؟ وهل ذلک الا دلیل انقیاد الناس – فی عقیدتهم – الیه دونهم؟

وهذا کله بعد الصلح، وبعد ظهور جماعات من شیعته وغیر شیعته ینکرون علیه موقفه من الصلح.

تری فکیف کانت قوته فی الناس لو انه أبی الخلافة من أول الامر، وبقی شغف المسلمین إلی بیعته علی حدته، فهل کان من المحتمل، أن یظل محور الامل ومفزع الناقمین والمعارضین، ثم تنام عنه العیون الحذرة علی دنیاها، فلا تعاجله بما ختمت به حیاته المقدسة أخیرا؟ وهل کان الا طعمة الاغتیالات الکافرة فی سنته الأولی بعد أبیه – علی أغلب الظن –؟.

فأی منطق هذا الذی یری من قبول الحسن للخلافة تسرعا!

والخلافة – فی أصلها – مقام أبیه ومیراثه ومیراث أخیه – علی حد تعبیر الامام علی بن موسی بن جعفر علیهم السلام.

واما الزعازع التی لوح بها هذا النقد، فما کانت الا خطط المناوئین فی الکوفة، ولیس شئ منها بالذی یضیر الحسن ابان نشاط الناس معه – کما هو فی ابان بیعته – وأی خلیفة أو زعیم لیس له مناوئون؟

فلم لا یکون قبول البیعة هو الأرجح علی مختلف الوجوه؟.

بل هو الواجب لضرورة الوقت وللمصلحة العامة ولإحقاق الحق.

الکوفة أیام البیعة

(۶۲)

مفاتیح البحث: الإمام موسی بن جعفر الکاظم علیهما السلام (۱)، مدینة الکوفة (۲)، صلح (یوم) الحدیبیة (۲)، الظل، التظلیل، الظلالة (۱)، الظنّ (۱)

صفحه ۵۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۶۴

الكوفة كما يصفها صعصعة بن صوحان العبدى (۱ "): قبة الاسلام وذروة الكلام، ومصان (۲) ذوى الاعلام، الا ان بها أجلافا (۳) تمنع ذوى الامر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة، وتلك أخلاق ذوى الهيئة والقناعة."

مصرها المسلمون فى السنة السابعة عشرة (۴) للهجرة بعد فتح العراق مباشرة.

وكان بناؤها الأول بالقصب، فأصابها حريق، فبنيت باللبن وكانت شوارعها العامة بعرض عشرين ذراعا - بذراع اليد -، وأزقتها الفرعية بعرض سبعة أذرع. وما بين الشوارع أماكن البناء وهى بسعة أربعين ذراعا، والقطايع وهى بسعة ستين ذراعا.

وكان المسجد أول شئ خطوه فيها. فوقف فى وسط الرقعة التى أريدت للمدينة. رجل شديد النزع، رمى إلى كل جهة بسهم، ثم أقيمت المبانى فيما وراء السهام، وترك ما دونها للمسجد وساحته. وبنوا فى مقدمة المسجد رواقا، أقاموه على أساطين من رخام كان الأكاسرة قد جلبوها من خرائب الحيرة، وجعلوا على الصحن خندقا لئلا يقتحمه أحد ببنيان.

وزاد عمران الكوفة زيادة مفاجئة، حين هاجر إليها أمير المؤمنين عليه السلام، فاتخذها مقرا له بعد وقعة الجمل سنة ۳۶ للهجرة وكان دخوله إليها فى الثانى عشر من شهر رجب.

(۱) تجد ترجمته فى " زعماء الشيعة المروعين " فى الكتاب، وروى كلمته هذه المسعودى (هامش ابن الأثير ج ۶ ص ۱۱۸).

(۲) بفتح أوله غلاف القوس.

(۳) الجلف هو الغليظ الجافى.

(۴) البلاذرى فى فتوح البلدان والبراقى فى تاريخ الكوفة، وذكره الحموى فى المعجم ثم ناقض نفسه إذ قال فى مادة " البصرة": " وكان تمصير البصرة فى السنة الرابعة عشرة قبل الكوفة بستة أشهر."!

(۶۴)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، دولة العراق (۱)، مدينة الكوفة (۴)، شهر رجب المرجب (۱)، صعصعة بن صوحان (۱)، السجود (۳)، الجماعة (۱)، إبن الأثير (۱)، مدينة البصرة (۲)

صفحه ۵۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۶۵

وكان من بواعث هذه البادرة - هجرة على إلى الكوفة - ضعف موارد الحجاز، واعتماده فى موارده على غيرها، وما من علة تتعرض لها دولة أضر من اعتمادها فى الموارد على غيرها، وكانت الكوفة وبلاد السواد تكفى نفسها وتفيض. وهذا عدا الأسباب العسكرية التى اضطرته لها الثورات المسلحة التى كانت تتخذ من بلاد الرافدين ميادين لإعمالها العدوانية.

وتقاطر على الكوفة - إذ هى عاصمة الخلافة - كبار المسلمين من مختلف الآفاق. وسكنتها القبائل العربية من اليمن والحجاز، والجاليات الفارسية من المدائن وإيران. وعمرت فيها الأسواق التجارية. وزهت فيها الدراسات العلمية. وأنشئت حولها الحدائق والبساتين والأرباض والقريات. وأغفت على ذراعها أمجاد التاريخ والآداب والعلوم زمنا طويلا.

وغلب على الكوفة تحت ظل الحكم الهاشمى التشيع لعلى وأولاده عليهم السلام، ثم لم يزل طابعها الثابت اللون. ووجد معه بحكم اختلاف العناصر التى يممت المصر الجديد أهواء مناوئه أخرى، كانت بعد قليل من الزمن أداة الفتن فى أكثر ما عصف بالكوفة من الزعازع التاريخية والرجات العنيفة لها وعليها.

* * وجاءت بيعة الحسن عليه السلام يوم بايعته الكوفة، عند ملتقى الآراء من سائر العناصر الموجودة فيها يوم ذاك، على أنها كانت قل ما تلتقى على رأى.

وکـان للحسن من أسلوب حیاته فی هـذه الحاضـرة، مـدی اقامته فیها، ما جعله قبلـهٔ الانظار ومهوی القلوب ومناط الآمال، وملأ أجواء المدینـهٔ الجدیـدهٔ " عاصـمهٔ أبیه " بکرائم المکرمات التی تنتقل فی آل محمد بالإرث: جود ید، وسـجاحهٔ خلق، ونبل شـعور، وظرف شمائل، وسعهٔ حلم، ورجاحهٔ عقل وعلم وزهادهٔ وعبادهٔ. وضحک منبر الخلافهٔ – فی بحران

(۶۵)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، دولهٔ ایران (۱)، مدینهٔ الکوفهٔ (۶)، السلاح (۱)، الجود (۱)

صفحه ۵۸

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحهٔ ۶۶

حزنه علی الامـام الراحـل – بما شاع فی أکنافه من شـیم الأنبیاء الموروثـهٔ فی خلیفته الجدیـد، ولم یکن ثمـهٔ أعمل بالتقوی، ولا أزهد بالـدنیا، ولا أجمع لخصال الخیر کلها منه، لـذلک کان الشخصـیهٔ الفـذهٔ التی تتفق علیها الآراء المختلفـهٔ عن رغبهٔ وعمد، وتجتمع فیها عناصر الزعامهٔ کما یجب فی قائد أمهٔ أو امام قوم.

وانتهت مهرجانات البیعـهٔ فی الکوفـهٔ علی خیر ما کان یرجی لها من القوهٔ والنشاط والتعبئهٔ، لولا ان للقدر أحکاما لا تجری علی أقیسـهٔ العقول، ولاـ تسیر علی رغـائب الأنفس، فکان الجو السیاسی فی الحاضـرهٔ التی تحتفل لأول مرهٔ فی تاریخها بتنصـیب خلیفـهٔ، لا یزال راکـدا متلبـدا مشوبـا بشـیء کثیر من التبلیل المریب، وذلک هو ما ورثته الکوفـهٔ من مخلفات الحروب الطاحنـهٔ التی کانت علی مقربهٔ منها فی البصـرهٔ والنهروان وصـفین. وفی الکوفهٔ یومئذ أنصار کثیرون لشهداء هذه الحروب وضحایاها من الفریقین یشارکونهم الرأی، ویتمنون لو یسر لهم اخذ الثار، ویعملون ما وسعهم العمل لتنفیذ أغراضهم.

ومن هذه الاغراض، الاغراض الصالحهٔ المؤاتیهٔ، ومنها الفاسدهٔ المبرقعهٔ الأهداف التی لا تفتأ تخلق ذرائع الخلاف فی المجموع.

* * * اما الحسن – وهو فی مسـتهل خلافته – فقد کانت القلوب کلها معه لأنه ابن بنت رسول الله صـلی الله علیه وآله، ولان من شرط الایمان مودته، ومن شرط البیعهٔ طاعته.

قال ابن کثیر ": وأحبوه أشد من حبهم لأبیه (۱.")

وکـان لاـ یزال بمنجاهٔ من هؤلاء وهؤلاء، ما دام لم یباشـر عملا ایجابیا یصـطدم بأهـداف البعض، أو یمس الوتر الحساس من عصبیات البعض الآخر. ذلک لان الوسائل التی أصبح یعیش بها الاسلام یومئذ، کانت

(۱) البدایهٔ والنهایهٔ (ج ۸ ص ۴۱).

(۶۶)

مفاتیح البحث: إبن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله (۱)، مدینهٔ الکوفهٔ (۳)، مدینهٔ البصرهٔ (۱)، کتاب البدایهٔ والنهایهٔ (۱)

صفحه ۵۹

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحهٔ ۶۷

تخضع فی أمثال هؤلاء المسلمین للأهداف الشخصیهٔ تارهٔ، وللعصبیات أخری.

وخیل للکثیرین من أولئک الـذین تتحکم فیهم الأنانیهٔ والنفعیهٔ حتی تتجاوز بهم حدود العقیدهٔ، أنهم إذ یبایعون الحسن بالخلافهٔ، انما یتسورون بهـذه البیعهٔ إلی اسـناد قضایاهم، وارضاء مطامعهم، عن طریق الخلق الثری الواسع، الذی ألفوه فی الحسن بن علی منذ عرفوه بین ظهرانیهم، والـذی کان یـذکرهم – دائما – بخلق جـده الأعظم صـلی الله علیه وآله وسـلم، وکانوا یحفظون من صـحابهٔ الرسول أن الحسن أشبه آله به خلقا وخلقا.

والواقع انهم فهموا هذا الخلق العظيم على غير حقيقته.

وتسابق على مثل هـذا الظن كثير من ذوى المبادئ التى لا تتفق والحسن فى رأى ولا عقيدة، فبايعوه راغبين، كما بايعه المخلصون من المؤمنين. ثم كـان هؤلاء - بعـد قليـل من الزمن - أسـرع النـاس إلى الهزيمـة من ميادينه لا يلوون على شـئ، ذلك لأنهم حين عركوا مواطن طمعهم من ليونة الحسن عليه السلام، وجدوها بعد تسلمه الحكم واضطلاعه بالمسؤولية، أعنف من زبر الحديد، حتى ان كلا من أخيه وابن عمه وهما أقرب الناس اليه وأحظاهم منزلة عنده عجز ان يعدل به عن رأى أراده، ثم مضى معتصما برأيه فى غير تكلف ولا اكتراث.

ولهـذا، فلم يكن عجيبا أن تدب روح المعارضة وئيدة فى الجماعات القلقة من هؤلاء الرؤساء والمترئسين فى الكوفة، ولم يكن عجيبا ان يعودوا متـدرجين إلى سابق سيرتهم مع الامام الراحل الـذى " ملأوا قلبه غيظا وجرعوه نغب التهمام إنفاسا، " وهكـذا تنشأت - فى هـذا الوسـط الموبوء - الحزبيـة الناقمـة التى لاـ تعـدم لهـا نصيرا قويا فى الخارج. وهكـذا انبثقت مع هـذه الحزبيـة المشاكل الـداخلية بمختلف ألوانها.

واستغل هذه المرحلة الدقيقة فئات من النفعيين، تمكنوا ان يخلقوا من

(۶۷)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، مدينة الكوفة (۱)، الحسن بن على (۱)، الوسعة (۱)، الظنّ (۱)

صفحه ۶۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۶۸

أنفسـهم همزة وصل بين الكوفة والشام، بما فى ذلك من تمرد على الواجب. وخروج على الخلق، وخيانة للعهد الذى فرضته البيعة فى أعناقهم.

وقـديما مرن هذا النمط من " أشـباه الرجال " على الشـغب والقطيعة والنفور، منذ انتقلت الخلافة الاسـلامية إلى الحاضـرة الجديدة فى العراق بمـا تحمله معهـا من الصـراحة فى الحكم والصـرامة فى العـدل. وكـان قلق هؤلاء وتبرمهم ونفورهم، نتيجـة اليأس من دنيا هـذه الخلافـة، لأنها لم تكن خلافـة دنيا ولكن خلافـة دين. وعلموا أنها لن تقرهم على ما هم عليه من سـماحة التصـرفات فى الشؤون العامة والاستئثار بالدنيا، وأنها ستأخذ عليهم الطريق دون آمالهم واعمالهم ومختلف تصرفاتهم.

ووجـد هؤلاـء من نشوء الخلافـة الجديـدة فى الكوفـة، ومن اسـتمرار معاويـة على الخلاـف لهـا فى الشـام، ظرفـا مناسـبا لبعث النشـاط واستئناف أعمال الشـغب واسـتغلال الممكن من المنافع العاجلة، ولو من طريق اللعب على الجانبين، فاما أن يحتلوا من الامارة الجديدة أمكنتهم التى ترضـى طموحهم، واما أن يعملوا على الهـدم ويتعـاونوا على الفسـاد. وكـانت خزائن الشـام لاـ تفتأ تلوح بالمغريات من الأموال والمواعيد، وكانت الأموال والمواعيد أمضى أسلحة الشام فى مواقفها من الكوفة على طول الخط.

وهكذا فت فى أعضاد كوفة الحسن تقلب الهوى وتوزع الرأى وتداعى الخلق وتوقح الخصومة فى الكثير من أهلها.

وكان على هذه الشاكلة من عناصر الكوفة ابان بيعة الحسن عليه السلام أقسام من الناس.

لنا ان نصنفهم كما يلى:

الحزب الأموى:

وأكبر المنتسبين اليه عمرو بن حريث، وعمـارة بن الوليـد بن عقبـة، وحجر بن عمرو، وعمر بن سـعد بن أبى وقـاص، وأبو بردة بن أبى موسى الأشعرى، وإسماعيل واسحق ابنا طلحة بن عبيد الله، واضرابهم.

(۶۸)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، دولة العراق (۱)، مدينة الكوفة (۵)، طلحة بن عبيد الله (۱)، الوليد بن عقبة (۱)، عمرو بن حريث (۱)، الشام (۴)، اليأس (۱)

صفحه ۰۶۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۶۹

وفى هذا الحزب عناصر قوية من ذوى الاتباع والنفوذ، كان لها أثرها فيما نكبت به قضية الحسن من دعاوات ومؤامرات وشقاق.

"فكتبوا إلى معاوية بالسمع والطاعة فى السر، واستحثوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن اليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به (۱.")

وفيما يحدثنا المسعودى فى تاريخه (۲ "): أن أكثرهم اخذوا يكاتبونه - يعنى معاوية - سرا، ويتبرعون له بالمواعيد، ويتخذون عنده الايادى."

"ودس معاوية إلى عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعى دسيسة، وآثر كل واحد منهم بعين من عيونه، انك إذا قتلت الحسن، فلك مائة الف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتى. فبلغ الحسن عليه السلام ذلك فاستلام (لبس اللامة) ولبس درعا وكفرها، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم الا كذلك، فرماه أحدهم فى الصلاة بسهم، فلم يثبت فيه لما عليه من اللامة (۳.")

ومثل واحد من هذه النصوص يغنى عن أمثال كثيرة.

وهكذا كان يعمل هؤلاء عامدين، شر ما يعمله خائن يتحين الفرص، وكانت محاولاتهم اللئيمة، لا تكاد تختفى تحت غمائم الدجل والنفاق، حتى

(۱) المفيد فى الارشاد (ص ۱۷۰) - والطبرسى فى اعلام الورى.

(۲) هامش ابن الأثير (ج ۶ ص ۴۲). أقول: وما يدرينا أن يكون كثير من أهل الشام كاتبوا الحسن يومئذ، بمثل ما كاتب به الكوفيون معاوية. وقد علمنا ان الفريقين - أهل الشام وأهل الكوفة - كانوا سواء فى إفلاسهم الخلقى الذى ينزع إلى الخيانة كلما أغرتهم المظاهر. وعليك ان ترجع إلى البيهقى فى المحاسن والمساوى (ج ۲ ص ۲۰۰) لتشهد مكاتبة أصحاب معاوية عليا عليه السلام، وترجع إلى اليعقوبى (ج ۳ ص ۱۲) لتشهد مكاتبة عامة أصحاب عبد الملك بن مروان لمصعب بن الزبير وطلبهم الأمان والجوائز منه. فلعل مكاتبة الشاميين للحسن انما خفيت علينا لان الحسن كان آمن من صاحبه على السر فلم يبح بما وصله منهم، أو لان المؤرخين شاءوا اغفالها ككثير من أمثالها.

(۳) علل الشرائع (ص ۸۴).

(۶۹)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، حجار بن أبجر (۱)، شبث بن ربعى اليربوعى (۱)، عمرو بن حريث (۱)، الشام (۳)، الصّلاة (۲)، النفاق (۱)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۱)، كتاب علل الشرايع للصدوق (۱)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (۱)، مدينة الكوفة (۱)، إبن الأثير (۱)، الإخفاء (۱)، الشهادة (۲)

صفحه ۰۶۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۷۰

تبدو عارية سافرة فى ساعة نداء الواجب.

وهكذا كانوا – على طول الخط – قادهٔ السخط، وأعوان الثورهٔ، وأصابع العدو فى البلد.

ومالأهم " الخوارج " على حياكهٔ المؤامرات الخطرهٔ، بحكم ازدواج خطهٔ الفئتين، على مناهضهٔ الخلافهٔ الهاشمیهٔ فی عهدیها الكريمين. ودل على ذلك اشتراك كل من الأشعث بن قيس وشبث بن ربعى فيما يرويه النص الأخير من هذه الأمثلهٔ الثلاث، وكان هذان من رؤوس الخوارج فى الكوفهٔ.

۲ – الخوارج:

وهم أعداء على عليه السلام منذ حادثهٔ التحكيم، كما هم أعداء معاويهٔ.

وأقطاب هؤلاء فى الكوفهٔ: عبد الله بن وهب الراسبى، وشبث بن ربعى، وعبد الله بن الكواء، والأشعث بن قيس، وشمر بن ذى الجوشن.

وكان الخوارج أكثر أهل الكوفهٔ لجاجهٔ على الحرب، منذ يوم البيعهٔ، وهم الذين شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب الحالين الضالين – أهل الشام –، فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط، وأرادها (على السمع والطاعهٔ وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم)، فأتوا الحسين أخاه، وقالوا له ": ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناه، وعلى حرب الحالين الضالين أهل الشام. " فقال الحسين ": معاذ الله أن أبايعكم ما دام الحسن حيا. " فانصرفوا إلى الحسن ولم يجدوا بدا من بيعته على شرطه (۱.")

أقول: وما من ظاهرهٔ عداء للحسن عليه السلام، فيما اقترحه هؤلاء

(۱) يراجع كتاب الإمامهٔ والسياسهٔ (ص ۱۵۰).

(۷۰)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، مدينهٔ الكوفهٔ (۳)، عبد الله بن وهب الراسبى (۱)، شبث بن ربعى اليربوعى (۲)، شمر بن ذى الجوشن لعنه الله (۱)، الشام (۲)، الخوارج (۴)، الحرب (۳)

صفحه ۶۳۰

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحهٔ ۷۱

الخوارج لبيعتهم إياه، ولا فى اصرارهم على الحرب، وقد كان فى شيعهٔ الحسن من يشاطرهم الالحاح على الحرب، ولكنك سترى فيما تستعرضه من مراحل قضيهٔ الحسن عليه السلام، أن الخوارج كانوا أداهٔ الكارثهٔ فى أحرج ظروفها. ورأيت فيما مر عليك – قريبا – أن زعيمين من زعمائهم ساهما فى أفظع مؤامرهٔ أمويهٔ فى الكوفهٔ.

وللخوارج فى دعواتهم إلى " الخروج " أساليبهم المؤثرهٔ المخيفهٔ، التى كانت تزعزع ايمان كثير من الناس بالشكوك. وكان هذا هو سر انتشارهم بعد نكبتهم الحاسمهٔ على شواطئ النهروان.

وكان زياد بن أبيه يصف دعوهٔ الخوارج بقوله ": لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع (۱. ") وكان المغيرهٔ بن شعبهٔ يقول فيهم ": انهم لم يقيموا ببلد يومين الا أفسدوا كل من خالطهم (" ۲).

والخارجى يقول الزور ويعتقده الحق، ويفعل المنكر ويظنه المعروف، ويعتمد على الله ولا يتصل اليه بسبب مشروع.

وسنعود إلى ذكرهم فى مناسبهٔ أخرى عند الكلام على " عناصر الجيش."

۳ – الشكاكون:

ورأينا ذكر هؤلاء فيما عرضه المفيد (رحمه الله) من عناصر جيش الحسن عليه السلام. والذى يغلب على الظن، أن تسميتهم بالشكاكين ترجع إلى تأثرهم بدعوهٔ الخوارج من دون أن يكونوا منهم، فهم المذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ورأيت المرتضى فى أماليه (ج ٣ ص ٩٣) يذكر " الشكاك " استطرادا ويلوح بكفرهم، وكأنه فهم عنهم التشكيك بأصل الدين.

(١) اليراع: القصب.

(٢) الطبرى (ج ۶ ص ١٠٩).

(٧١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٢)، مدينة الكوفة (١)، المغيرة بن شعبة (١)، الخوارج (۵)، الظنّ (١)، الحرب (٢)

صفحه ۶۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٢

وكانوا طائفة من سكان الكوفة ومن رعاعها المهزومين، الذين لا نية لهم فى خير ولا قدرة لهم على شر، ولكن وجودهم لنفسه كان شرا مستطيرا وعونا على الفساد وآلة " مسخرة " فى أيدى المفسدين.

۴ - الحمراء:

وهم عشرون الفا من مسلحة الكوفة (كما يحصيهم الطبرى فى تاريخه). كانوا عند تقسيم الكوفة فى السبع الذى وضع فيه أحلافهم من بنى عبد القيس، وليسوا منهم، بل ليسوا عربا، وانما هم المهجنون من موال وعبيد، ولعل أكثرهم من أبناء السبايا الفارسيات اللائى أخذن فى " عين التمر " و " جلولاء " من سنة ١٢ - ١٧ فهم حملة السلاح سنة ۴١ وسنة ۶١ فى أزمات الحسن والحسين (عليهما السلام) فى الكوفة (فتأمل).

والحمراء شرطة زياد الذين فعلوا الأفاعيل بالشيعة سنة ۵١ وحواليها، وكانوا من أولئك الذين يحسنون الخدمة حين يغريهم السوم، فهم على الأكثر أجناد المتغلبين وسيوف الجبابرة المنتصرين.

وقويت شوكتهم بما استجابوا له من وقايع وفتن فى مختلف الميادين التى مر عليها تاريخ الكوفة مع القرن الأول. وبلغ من استفحال امرهم فى الكوفة أن نسبوها إليهم فقالوا " كوفة الحمراء."

وكان فى البصرة مثل ما فى الكوفة من هؤلاء المهجنين الحمر. وخشى زياد (وكان والى البصرة إذ ذاك) قوتهم فحاول استئصالهم، ولكن الأحنف بن قيس منعه عما أراد.

ووهم بعض كتاب العصر، إذ نسب هؤلاء إلى التشيع، أبعد ما يكونون عنه آثارا ونكالا بالشيعيين وأئمتهم. ولا ننكر ان يكون فيهم أفراد رأوا التشيع، ولكن القليل لا يقاس عليه.

* * *

(٧٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، مدينة الكوفة (٨)، مدينة البصرة (٢)، الأحنف بن قيس (١)، التمر (١)، العصر (بعد الظهر) (١)

صفحه ۶۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٧٣

وكان إلى جنب هذه العناصر العدوة فى الكوفة " شيعة الحسن " وهم الأكثر عددا فى عاصمة على عليه السلام، وفى هؤلاء جمهرة من بقايا المهاجرين والأنصار، لحقوا عليا إلى الكوفة، وكان لهم من صحبتهم الرسول صلى الله عليه وآله ما يفرض لهم المكانة الرفيعة

فی الناس.

وبرهن رجالات الشیعهٔ فی الکوفهٔ علی اخلاصهم لأهل البیت علیهم السلام، منذ نودی بالحسن للخلافهٔ، ومنذ نادی – بعد خلافته – بالجهاد، وفی سائر ما استقبله من مراحل. ولو قدر لهؤلاء الشیعهٔ أن یکونوا – یومئذ – بمنجاهٔ من دسائس المواطنین الآخرین، لکانوا العدهٔ الکافیهٔ لدرء الاخطار التی تعرضت لها الکوفهٔ من الشام، وکان فی هذه المجموعهٔ المبارکهٔ من الحیویهٔ والقابلیهٔ ما لا یستطیع أحد نکرانه، ونعنی بالحیویهٔ القابلیات التی تهضم المشاکل وتفهمها، وتعطیها الأهمیهٔ المطلوبهٔ فی حلولها.

وما ظنک بقیس بن سعد بن عبادهٔ الأنصاری وحجر بن عدی الکندی، وعمرو بن الحمق الخزاعی، وسعید بن قیس الهمدانی، وحبیب بن مظاهر الأسدی، وعدی بن حاتم الطائی، والمسیب بن نجیهٔ، وزیاد بن صعصعهٔ، وآخرین من هذا الطراز.

اما الطوارئ المستعجلهٔ المعاکسهٔ، والأصابع المأجورهٔ الهدامهٔ، فقد کانت تعمل دائما، لتغلب هذه القابلیات، ولتغیر من هذا التقدیر.

* * ولم یخف علی الحسن علیه السلام ما کانت تتمخض عن لیالیه الحبالی فی الجو المسحور بشتی النزعات، والمتکهرب بشواجر الفتن وألوان الدعوات. وکان لا بد له – وهو فی مطلع خلافته – أن یعالن الناس بخطته وأن یصارحهم عن موقفه، وأن یستملی خطته من صمیم ظروفه وملابساتها فی الداخل والخارج معا.

وکان معاویهٔ هو العدو " الخارج " الذی یشغل بال الکوفهٔ بما یکیده

(۷۳)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، المهاجرون والأنصار (۱)، کتاب الکافئهٔ للشیخ المفید (۱)، مدینهٔ الکوفهٔ (۵)، حبیب بن مظاهر الأسدی رضوان الله علیه (۱)، حجر بن عدی الکندی (۱)، عدی بن حاتم (۱)، عمرو بن الحمق (۱)، سعد بن عبادهٔ (۱)، سعید بن قیس (۱)، الشام (۱)، الجنابهٔ (۱)

صفحه ۶۶

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحهٔ ۷۴

لها من أنواع الکید، وبما یتمتع به من وسائل القوهٔ والاستقرار فی رقعته من بلاد الشام. وما کان معاویهٔ بالعدو الرخیص الذی یجوز للحسن علیه السلام، أن یتغاضی عن أمره، ولا بالذی یأمن غوائله لو تغاضی عنه، وکان الحسن – فی حقیقهٔ الواقع – أحرص بشر علی سحق معاویهٔ والکیل له بما یستحق، لو أنه وجد إلی ذلک سبیلا من ظروفه.

واما فی " الداخل " فقد کان أشد ما یسترعی اهتمام الامام علیه السلام موقف المعارضهٔ المرکزهٔ، القریبهٔ منه مکانا، والبعیدهٔ عنه روحا ومعنی وأهدافا.

ولقد عز علیه أن یکون بین ظهرانی عاصمته، ناس من هؤلاء الناس، الذین استأسدت فیهم الغرائز، وأسرفت علیهم المطامع، وتفرقت بهم المذاهب، وأصبحوا لا یعرفون للوفاء معنی، ولا للدین ذمهٔ، ولا للجوار حقا. نشزوا بأخلاقهم، فإذا بهم آلهٔ مسخرهٔ للانتقاض والغدر والفساد، ینعقون مع کل ناعق ویهیمون فی کل واد. ولا یکاد یلتئم معهم میدان سیاسهٔ ولا میدان حرب. وحسبک من هذا مثار قلق ومظنهٔ شغب وباعث مخاوف مختلفات.

وهکذا کان للعراق – منذ القدیم – قابلیهٔ غیر عادیهٔ لهضم المبادئ المختلفهٔ والانتفاضات الثوریهٔ العاتیهٔ باختلاف المناسبات.

وللحسن فی موقفه الممتحن من هذه الظروف، عبقریاته التی کانت علی الدوام بشائر ظفر لامع، لولا ما فوجئ به من نکسات مروعات کانت تنزل علی موقفه کما ینزل القضاء من السماء.

وتنبأ لکثیر من الحوادث قبل وقوعها، وکان یمنعه الاحتیاط للوضع، من الاصحار بنبوءته، فیلمح إلیها الماحا. وعلی هذا النسق جاءت

كلمته اللبقة الغامضة، التى اقتبسـها من الآى الكريم، والتى قصد لها الغموض عن إرادة وعمد، وهى قوله فى خطبته الأولى – يوم البيعة "-: انى أرى ما لا ترون."

(۷۴)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، دولة العراق (۱)، الشام (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الحرب (۱)، الجواز (۱)

صفحه ۰۶۷

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۷۵

ترى، هل كان بين يديه يومئذ، الا المهرجانات النشيطة التى دلت قبل كل شئ، على عظيم اخلاص المجتمع لخليفته الجديد؟ فما بال الخليفة الجديد لا يرى منهم الا دون ما يرون؟.

انها النظرة البعيدة التى كانت من خصائص الحسن فى سلمه وفى حربه وفى صلحه وفى سائر خطواته مع أعدائه ومع أصدقائه.

* * وعلى أن الموسوعات التاريخيـة لم تعن بذكر الأمثلة الكثيرة التى يصح اقتباسـها كعرض تاريخى عن سـياسة الحسن، ولا سـيما فى الـدور الأول من عهده القصـير، وهو الدور الذى سـبق اعلانه الجهاد فى الكوفة، فقد كان لنا من النتف الشوارد التى تسـقطناها من سيرته، ما زادنا وثوقا ببراعته السياسـية التى لا مجال للريب فيها. فقد اقتاد الوضع المترنح الذى صحب عهده من أوله إلى آخره، قيادته الحكيمة التى لا يمكن أن تفضلها قيادة أخرى لمثل هذا الوضع.

وليكن من أمثلة سياسته فى قيادة ظروفه قبل الحرب ما يلى:

۱ – أنه وضع لبيعته صيغة خاصة، وقبض يده عما أريد معها من قيود، وأرادها هو على السمع والطاعة والحرب لمن حارب والسلم لمن سـالم. فكـان عنـد ظن المعجبين ببلاغته الإداريـة، بما ذكر الحرب ولوح بالسـلم فأرضـى الفريقين من أحزاب الكوفـة – دعاة الحرب، والمعارضين -. وكان لديه من الوضع العام (فى كوفته) ما يكفيه نذيرا لاتخاذ مثل هذه الحيطة الحكيمة لوقت ما.

۲ – أنه زاد المقاتلة مائة مائة، وكان ذلك أول شئ أحدثه حين الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده عليه (۱).

(۱) شرح النهج لابن أبى الحديد (ج ۴: ص ۱۲).

(۷۵)

مفاتيـح البحث: مدينة الكوفة (۲)، القتل (۱)، الحرب (۳)، الظنّ (۱)، البول (۱)، كتاب شـرح نهـج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى (۱)

صفحه ۰۶۸

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۷۶

وللإنعاش فى ترفيع مخصصات الجيش سلطانه المحبب على النفوس، وله أثره فى تأليف العدد الأكبر من الناس للخدمة فى الجهاد.

وكـانت ظـاهرة تحتمل الاسـتعداد للحرب، ولكنها – مع ذلك – غير صـريحة بالتصـميم عليه، ما دامت ظاهرة إنعاش فى عهـد جديـد. وهى على هذا الأسـلوب، من التصـرفات التى تجمع الكلمة ولا تثير خلافا، فى حين أنها استعداد حكيم للمستقبل الذى قد يضطره إلى حرب قريبة.

۳ – أنه امر بقتل رجلين كانا يتجسـسان لعـدوه عليه. وهـدد بتنفيـذ هـذا الحكم روح الشـغب التى كان يسـتجيب لها عناصـر كثيرة فى المصرين (الكوفة والبصرة).

قال المفيد رحمه الله ": فلما بلغ معاوية وفاه أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دس رجلا من حمير إلى الكوفة، ورجلا من بنى القين إلى البصرة، ليكتبا اليه بالاخبار، ويفسدا على الحسن الأمور. فعرف بذلك الحسن، فأمر باستخراج الحميرى من عند لحام بالكوفة، فأخرج، وأمر بضرب عنقه. وكتب إلى البصرة باستخراج القينى من بنى سليم، فأخرج وضربت عنقه (۱.")

وروى أبو الفرج الأصفهانى نحوا مما ذكره المفيد، ثم قال ": وكتب الحسن إلى معاوية: أما بعد فأنت دسست إلى الرجال، كأنك تحب اللقاء، لا أشك فى ذلك، فتوقعه ان شاء الله، وبلغنى انك شمت بما لم يشمت به ذوو الحجى (يشير إلى ما تظاهر به معاوية من الفرح بوفاة أمير المؤمنين عليه السلام)، وانما مثلك فى ذلك كما قال الأول:

فأنا ومن قد مات منا لكالذى * * * يروح ويمسى فى المبيت ليغتدى فقل للذى يبغى الخلاف الذى مضى * * * تجهز لأخرى مثلها فكأن قد ۴ - تمهله عن الحرب رغم الحاح الأكثرين ممن حوله على البدار إليها،

(۱) الارشاد (ص ۱۶۸) والبحار وكشف الغمة.

(۷۶)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، أبو الفرج الإصبهانى (الإصفهانى) (۱)، مدينة الكوفة (۳)، مدينة البصرة (۲)، القتل (۱)، الموت (۱)، الحرب (۲)، كتاب كشف الغمة للإربلى (۱)

صفحه ۰۶۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۷۷

منذ تسنمه الحكم فى الكوفة.

وسنأتى فى " الفصل ۵ " الذى ستقرؤه قريبا، على تحليل الموقف السياسى يوم ذاك، وسنرى هناك، أن هذا التمهل المقصود كان هو التدبير الوحيد فى ظرفه.

۵ - استدراجه معاوية من طريق التبادل بالرسائل، إلى نسيان موقفه المتأرجح الذى لم تقو على دعمه الدعاوى الفارغة الكثيرة، فإذا باضمامة من الغلطات هى أجوبة معاوية للحسن وهى التى كشفت للناس معاوية المجهول، ومهدت للحسن معذرته تجاه الرأى العام فى حربه لمعاوية، وإذا بمعاوية الفريق المغلوب فى منطق العقلاء، وان يكن الغالب بعد ذلك فى منطق القوة.

ومثل واحد من هذه التدابير اللبقة التى أملى فيها الحسن خطته السياسية فى العهد القصير، بين وفاة أبيه عليه السلام وبين تصميمه على الحرب، كاف عن كثير.

التصميم على الحرب

(۷۷)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، الحرب (۲)، النسيان (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۰۷۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۸۰

ودل التتبع فى مختلف الفترات التاريخية، على أن لانتصار الدين فى المجتمع شأنا كبيرا فى تدرج الاخلاق. ذلك لان الشعوب تنطبع على غرار قادتها، وتكيف بأهداف قوانينها. ولو لم يكن للدين الا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتنزيه النفس عن الطمع بالمادة، لكفى.

أما هذا النفر من بقايا الجاهلية، فقد كانوا - كغيرهم من دعاة الطبقية - مطبوعين على المحافظة والتمسك بعادات الآباء والجدود

والنظم البالية والأوضاع الظالمة. وكانوا من الدين الجديد خصومه الألداء فى ابان دعوته، ثم نظروا اليه كوسيلة إلى الدنيا، ابان اعتناقهم له.

وضاعت تحت ظل هذه النوازع أهداف الدين، وخسر المجتمع تدرجه إلى الصلاح المنشود، فإذا بالناس عند مطامع الدنيا " والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون."

* * ولآل محمد (صلى الله عليه وآله) رسالتهم التى لا يتراجعون عنها، لانقاذ الناس لا لنفع أنفسهم، ولإقامة حامية الدين لا إقامة عروشهم، وصيانة المعنويات لا صيانة ذاتياتهم.

فإذا كان معاوية لا يزال يعاند هذه الأهداف ويحارب المنادين بها، ثم يظل منفردا عن المسلمين ببغيه وعدوانه، مأخوذا بشهوة الحكم مأسورا بحب الاستئثار فى مشاعره ومذاهبه، فليسر الحسن اليه بالمسلمين، وليحاكمه إلى الله، وكفى بالله حكما.

قال أبو الفرج الأصفهانى ": وكان أول شئ أحدثه الحسن عليه السلام أنه زاد المقاتلة مائة مائة. وقد كان على عليه السلام فعل ذلك يوم

(۸۰)

مفاتيح البحث: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (۱)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، أبو الفرج الإصبهانى (الإصفهانى) (۱)، الظل، التظليل، الظلالة (۱)، الهدف (۱)، الجهل (۱)، القتل (۱)

صفحه ۰۷۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۸۱

الجمل. وفعله الحسن حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده فى ذلك " قال ": وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدى: من الحسن بن على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان. سلام عليك فانى أحمد إليك الله الذى لا اله الا هو. أما بعد، فان الله جل جلاله بعث محمدا رحمة للعالمين ومنة للمؤمنين، وكافة للناس أجمعين، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. فبلغ رسالات الله، وقام بأمر الله، حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان، وبعد أن اظهر الله به الحق، ومحق به الشرك.

وخص به قريشا خاصة، فقال له: وانه لذكر لك ولقومك. فلما توفى، تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه. فرأت العرب أن القول ما قالت قريش، وأن الحجة فى ذلك لهم، على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم وسلمت إليهم.

ثم حاججنا نحن قريشا، بمثل ما حاججت به العرب، فلم تتصفنا قريش انصاف العرب لها. انهم أخذوا هذا الامر دون العرب بالانصاف والاحتجاج، فلما صرنا - أهل بيت محمد وأولياءه - إلى محاجتهم وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا. فالموعد الله، وهو الولى النصير.

ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان بيتنا. وإذ كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الاسلام، أمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب فى ذلك مغمزا يثلمون به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من افساده.

فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل فى الدين معروف، ولا اثر فى الاسلام محمود. وأنت ابن حزب من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتابه.

(۸۱)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، معاوية بن

أبی سفیان لعنهما الله (۱)، الحسن بن علی (۱)، الحرب (۱)، النفاق (۱)

صفحه ۰۷۲

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۸۲

والله حسیبک فسترد علیه وتعلم لمن عقبی الدار. وبالله لتلقین عن قلیل ربک، ثم لیجزینک بما قدمت یداک. وما الله بظلام للعبید.

"ان علیا لما مضـی لسبیله رحمة الله علیه یوم قبض ویوم من الله علیه بالاسـلام ویوم یبعث حیا، ولانی المسلمون الامر من بعده. فأسأل الله ان لا یؤتینا فی الدنیا الزائلة شـیئا ینقصـنا به فی الآخرة مما عنده من کرامة. وانما حملنی علی الکتابة إلیک، الاعذار فیما بینی وبین الله عز وجل فی امرک، ولک فی ذلک ان فعلته الحظ الجسیم والصلاح للمسلمین.

"فـدع التمـادی فی الباطـل، وادخـل فیمـا دخـل فیه الناس من بیعتی، فإنک تعلم أنی أحق بهـذا الامر منک عنـد الله وعنـد کل أواب حفیـظ، ومن له قلب منیب، واتق الله، ودع البغی، واحقن دمـاء المسـلمین، فوالله مالـک خیر فی أن تلقی الله من دمائهم بأکثر مما أنت لاقیه به. وادخل فی السـلم والطاعـة، ولا تنازع الامر أهله ومن هو أحق به منک، لیطفئ الله النائرة بـذلک ویجمع الکلمة ویصـلح ذات البین.

"وان أنت أبیت الا التمادی فی غیک سرت إلیک بالمسلمین فحاکمتک حتی یحکم الله بیننا وهو خیر الحاکمین (۱.")

* * ولقـد تری مـا ینکشف عنه کتـاب الحسن علیه السـلام فی خواتیمه، من التهدیـد الصـریح بـالحرب. وکان لا مناص للحسن من اتباع هذه الطریقة فیما یفضی به إلی معاویة، حین یطلب الیه " أن یدع التمادی فی الباطل، وأن یدخل فیما دخل فیه الناس من بیعته" وهی الطریقـة السیاسـیة الحکیمة التی یقصد بها اضـعاف الخصم عن المقاومة باضـعاف عزمه. ثم هو لا یقول له ذلک الا بعد أن یقیم علیه الحجة بما سبق من حجاجهم لقریش.

فدعاه مرشدا، وتوعده مهددا، ثم أنذره الحرب صریحا.

(۱) ابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۱۲).

(۸۲)

مفاتیـح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السـلام (۱)، الخصومة (۱)، الباطل، الإبطال (۲)، البعث، الإنبعاث (۱)، الحرب (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)

صفحه ۰۷۳

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۸۳

واتبع خطـة أبیه معه. ومـا کـان الحسن فی مـا أحیط به من ظروف، وفی ما منی به من أعـداء، الا ممثل أبیه حقا، حتی لکأن قطعـة من الزمن کانت من عهد أمیر المؤمنین علیه السلام، تأخرت عن حیاته فإذا هی عهد ابنه الحسن فی الکوفة. وکما کانت الحرب ضرورة لا مفر منها، فی عهد الأب الراحل علیه السلام، کانت کذلک ضرورة لا یغنی عنها شئ فی عهد الابن القائم علی الامر.

وکان مما یزین الخلافـة الجدیـدة، أن تزهو فی فتوتها بما تملکه من قوة وسـلطان، ولن یتم ذلک الا بأن تضـرب علی أیـدی العابثین، لتبعث الهیبـة فی النفوس، وتشق طریقهـا إلی الاسـتقرار لتقبض علی نواصـی الأمور. فلا عجب إذا جاء کتاب الحسن هـذا صـریحا فی تهدیـده، شدیـدا فی وعظه، قویا فی لغته الآمرة الناهیـة " واتق الله ودع البغی واحقن دماء المسـلمین، فوالله ما لک خیر فی أن تلقی الله من دمائهم بأکثر مما أنت لاقیه به، وادخل فی السلم والطاعة ولا تنازع الامر أهله ومن هو أحق به منک."..

* * أما الشـعار الأموی فی الشام، فقد ظل مغاضـبا للخلافة الهاشمیة فی الکوفة، متنمرا علی بیعة الحسن تنمره علی بیعة أبیه من قبل.

ولم تجد معه الرسائل المناصحة المصارحة، ولا کبحت من جموحه أسالیبها الحکیمة وحججها الواضحة.
ونحن إذا تصفحنا ما وصل الینا من رسائل الحسن علیه السلام إلی معاویة، لم نجد فیها کلمة تستغرب من مثله، أو تتجاوز حد الحجة التی تنهض بحقه فیما فرضه الله من مودة أهل البیت علیهم السلام، وفیما سجله " الکتاب " من الحکم بطهارتهم من الرجس، أو لوح الیه من ولایتهم علی الناس، وبما صح عن رسول الله صلی الله علیه واله فی نصوص الإمامة وتعیین الامام، وبالدعوة – أخیرا – إلی الطاعة وحقن الدماء واطفاء النائرة واصلاح ذات البین.

(۸۳)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، مدینة الکوفة (۲)، الشام (۱)، الحرب (۱)

صفحه ۰۷۴

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۸۴

اما رسائل معاویة إلی الحسن، فقد رأیناها تأخذ – علی الغالب – بأعراض الموضوع دون جوهریاته، وتفزع فی الکثیر من مضامینها إلی نبش الدفائن وتأریث النعرات الخطرة بین الاخوان المسلمین.
ومن الحق ان نعترف لمعاویة بسبقه استفزاز " الشعور الطائفی " لأول مرة فی تاریخ الاسلام. بما کان یقصد الیه من طریق نبش هذه الدفائن، وتأریث هذه النعرات. فکان بذلک أول داع إلی فصم الوحدة التی بنی علیها دین التوحید، والتی هی – بحق – جوهر اصلاحه وسر نجاحه بین الأدیان.
وکأن معاویة حین عجز عن اصطیاد المغفلین من الناس، عن طریق نفسه أو عن طریق أبیه " أبی سفیان بن حرب – " ولهذین الطریقین سوابقهما المعروفة لدی المسلمین بأرقامها وتواریخها – رفع عقیرته فی رسائله إلی الحسن، باسم أبی بکر وعمر وأبی عبیدة ولوح فیها بخلاف أهل البیت (علیهم السلام) علی بیعة أبی بکر..
وکانت [رسائل معاویة] بجملتها لا ینقصها فی الموضوع الذی ابردت لأجله الا الحجة لاثبات الحق الشرعی – عبر العرش المقدس –. وحتی الشبهة المتخاذلة التی کان یصطنعها لمقارعة علی علیه السلام، فی حروبه الطویلة الأمد، باسم الثأر لعثمان، قد طویت صفحتها بموت الامام الأول، وها هو ذا تجاه الامام الثانی، الذی کان قد جثم بنفسه علی باب دار عثمان یوم مقتله، یدافع الناس عنه، حتی لقد "خضب بالدماء " کما یحدثنا به عامة المؤرخین، ویقول الطقطقی فی تاریخه (۱ "): ان الحسن قاتل عن عثمان قتالا شدیدا، حتی کان یستکتفه وهو یقاتل عنه، ویبذل نفسه دونه."..
کل ذلک وعثمان بالموقف الدقیق الذی کان لا یفتأ یؤلب علیه فیه الآخرون، ویخذله الأقربون (۲).

(۱) الفخری (ص ۷۴).

(۲) لعل من الخیر لمن أراد شرح هذا الاجمال، أن یرجع إلی ما صوره الأستاذ عبد الله العلایلی حفظه الله، من أحوال المجتمع علی عهد عثمان، فی

(۸۴)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، التاریخ الإسلامی (۱)، القتل (۳)، الحرب (۱)

صفحه ۰۷۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۸۵

کتابه " أیام الحسن (" من صفحة ۱۱۲ إلی ۱۲۸) ولعل من الأفضل أن نختزل هنا الخطوط الرئیسة من تلک الصورة المفصلة، اتماما للفائدة قال:

"وهؤلاء الأمویون لم یکتفوا بأن یفرضوا أنفسهم ووجودهم الخالی من الحیاة والجهد، بل تجاوزوا هذا، إلی تعبئة المجتمع فی طبقات.. وإذا بالثروات الفاحشة تصیر وتجتمع فی أیدی الأمویین وأنصارهم، وإذا بمروان یستبد بالمقدرات العلیا علی هواه، وإذا بأکثر الأقالیم تذهب إقطاعات بین فلان وفلان.. فیعلی بن أمیة یملک ما قیمته مائة الف دینار، عدا عقاراته الکثیرة. وعبد الرحمن بن عوف یملک ما قیمته خمسمائة الف دینار. وزید بن ثابت یملک من الذهب والفضة ما کان یکسر بالفؤوس.. فلا بدع ان استنکرت الکثرة خطة هذا الجدید، ولا بدع ان تحدوا أنصاره واتهموهم بالمروق، ولا بدع ان دخلوا معهم فی صراع بدأ خفیا ثم امتد حمیا.

"ولقد باتت الحالة العامة تجیء فی کلمتین: حکومة تتآمر بالشعب وشعب یتآمر بالحکومة. ولکن للشعب الکلمة الأخیرة والعلیا دائما.. ومن الانصاف والخیر ان نذکر ان الجمهور مع ذلک لم یکن أرعن فی ثورته، فقد اتصل بأولیاء الأمور والسلطة، وطالب بواسطة ممثلیه مرارا وتکرارا ولکن مطالیبه فی کل مرة کانت تبوء بالفشل وکان فشلا ذریعا متواصلا، ومن النوع المثیر.

"وکان عمرو بن العاص فی هذه الأثناء یحرض الناس علی عثمان ویجبه سیاسته علانیة ویتجسس علیه ویفضح الأحادیث التی تجری داخل داره، ولا یلقی أحدا الا أدخل فی روعه کراهیته.. ویقابله حینما خطب عثمان علی ملأ من الصاخبین المتمردین بقوله ": یا أمیر المؤمنین انک قد رکبت نهابیر ورکبناها معک فتب نتب. " وهذه عائشة تجترئ وهو یخطب فتقول وقد نشرت قمیص النبی ": هذا قمیص النبی لم یبل وقد أبلیت سنته. " وهذا طلحة والزبیر یعینان الثائرین بالمال.. ولکن علیا مع کل ما هو عاتب وواجد.. بادر إلی تقدیم ولدیه لاعتباراتهما التقدیریة وموالیه لکی ینهوا عوادی الاحداث..

"وحین بلغه أن الناس حصروا داره ومنعوه الماء بعث الیه بثلاث قرب وقال للحسن والحسین اذهبا بسیفکما حتی تقوما علی بابه ولا تدعا أحدا یصل الیه بمکروه. وکان أن خضب الحسن بالدماء وشج قنبر مولاه.

"هذا ما عرف التاریخ عن علی وبنیه إزاء المصرع، بینما عرف من ناحیة ثانیة، أن عثمان وهو محاصر کتب إلی معاویة وهو بالشام": أن أهل المدینة قد کفروا وأخلفوا الطاعة ونکثوا البیعة، فابعث إلی من قبلک من مقاتلة أهل الشام علی کل صعب وذلول. " فإذا بمعاویة حینما جاءه کتابه یتربص به، فقد کره - علی حد دعواه - مخالفة أصحاب الرسول، وقد علم اجتماعهم علی ذلک. ومن تهکمات القدر أن یحرض عمرو بن العاص علی قتل عثمان ونجبه عائشة علانیة ویتخلی معاویة عن نجدته ویعین علیه طلحة والزبیر کلاهما، ثم ینفر هؤلاء أنفسهم هنا وهناک یطالبون بدمه علی بن أبی طالب الذی أخلص له النصیحة وحذره من هذا المصیر وکان مجنه دون رواکض الخطوب.. اه."

(۸۵)

مفاتیح البحث: الدولة الأمویة (۲)، عبد الرحمن بن عوف (۱)، علی بن أبی طالب (۱)، یعلی بن أمیة (۱)، عمرو بن العاص (۲)، زید بن ثابت (۱)، الشام (۲)، التعبأة، العبء (۱)، القتل (۱)

صفحه ۷۶

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۸۶

نعم کانت حجة معاویة الوحیدة فی رسائله إلی الحسن، ادعاؤه " انی أطول منک ولایة واقدم منک بهذا الامر تجربة وأکبر منک سنا! (۱ ") ولا شئ غیر ذلک.

ولو کان لدی معاویة من وراء هذه الجمل المتعاطفة، حجة حریة بالقول أو عسیة بالقبول، لأفضی بها، ولترک النزوع إلی نبش الدفائن

وتأريث النعرات.

وليت شعرى، أى تجاربک تعنى أبا يزيد؟!..

أيوم ضجت الشام منک إلى عمر حتى قام لشکاويها وقعد، واستقدمک – مع البريد – وکنت أخوف منه من غلامه " يرفأ.؟ " أم يوم ضربک بالدرة على رأسک حين دخلت عليه معجبا بملابسک الخضر؟

أم يوم کنت تقتطع الأمور من دون عثمان، ثم تقول ": هذا أمر عثمان " کذبا حتى لقد کنت أحد أسباب نکبته؟

أم يوم سعيت برجلک وجيشک تحارب امام زمانک بالسلاح باغيا – غير متحرج ولا متأثم –؟

وهل فى هذا القديم " من تجاربک " ما يشعر بالحجة على استحقاقک الولاية أو الاستمرار على مثلها؟. فأين إذا استحقاق الخلافة يا ترى؟..

وهل فى ولاية تتقادم على مثل هذا النسق المجلوب عليه، والقائم على الکذب والبهتان وإراقة الدماء، ما يدل على أهلية المقام الدينى الرفيع؟.

(۱) شرح النهج (۴ – ۱۳).

(۸۶)

مفاتيح البحث: الشام (۱)، الکذب، التکذيب (۱)، الحج (۲)

صفحه ۰۷۷

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۸۷

جمل تتعاطف کما تتعاطف الحجج النواصع، ثم هى لا ترجع فى خلاصتها الا إلى معنى واحد، هو التماس الحجة (بطول المدة!).

ولا نعرف فى منطق الحق مقياسا يثبت الخلافة بطول المدة أو بکبر السن!!

وقد يکون الرجل أبصر الرجال فى شراء ضمائر الناس، أو فى تأريث الفتن فى الناس، ولکن ذلک لا يعنى استحقاق هذا الرجل لنيابة النبوة فى الاسلام.

وقد يکون الرجل أقوم الرجال فى ضبط أعصابه وفى کبت عواطفه، حتى ليعده الناس من کبار الحلماء، ولکن ذلک ليس دليل الإمامة الدينية فى الناس، لان الحلم العظيم کما يکون فى الامام، يکون فى المتزعمين المنافقين.

وقد يکون الرجل فى حنکته أقدر الناس على ترتيب العقائد وتوجيه الرأى العام إلى الاخذ برأيه الخاص – سواء کان رأيه من رأى الله أو من رأى العاطفة – ولکن ذلک لا يعدو بهذا الرجل ان يکون المبتدع فى الدين، لا الخليفة على المسلمين. لان الخليفة لا رأى له الا رأى القرآن، ولا سند له الا من الحديث، ولا مرجع له الا إلى الله عز وجل.

إذا، فليس الرجل الصالح لملکوت الخلافة الاسلامية، والنيابة عن النبوة فى الدين، الا مخلوق من نوادر الخلق، يختاره الله من عباده ويصطفيه من جميع خلقه، لمزايا ينفرد بها عن العباد، وفضائل يتميز بها عن الخلق. والله سبحانه الذى برأ العباد أعرف بذلک العبد الصالح الذى انفرد بهذه المزايا، وانماز بهاتيک الفضائل. وهو الذى يوحى باسمه إلى نبيه فيختاره من دون غيره. وليس لاحد – بعد ذلک – أن يختار.

اما معاوية فلم يکن له من سوابقه وسوابق أبيه، ولا من کيفية اسلامه واسلام أبيه، ولا من مواقفه مع عمر وعثمان ومع على عليه السلام ما يزعه عن التطاول إلى ادعاء أعظم المراتب فى الاسلام، حتى جاء يقول

(۸۷)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، القرآن الکريم (۱)، النفاق (۱)

صفحه ۰۷۸

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۸۸

للحسن ابن رسول الله (ص) وقد بايعه المسلمون فى آفاق الأرض بما فيهم صحابة الرسول وأهل بيته وخاصته وجميع المعنيين باسلاميتهم ": انى أكبر منك سنا واقدم منك وأطول منك."..!!

وهل تجد فى دنيا الحجاج، أبلغ من هذا المنطق فى اعلان العجز عن الحجة؟.

وكاتبة ثانية، ولكنه حاول فى هذه المرة، التهديد بالاغتيال والاغراء بالأقوال، وكأنه عرف الحسن على غير حقيقته، فأسف إلى مثل هذا الأسلوب المبتذل الذى لا يخاطب به مثله، قال:

"اما بعد، فان الله يفعل فى عباده ما يشاء. لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، فاحذر ان تكون منيتك على أيدى رعاع من الناس، وايأس من أن تجد فينا غميزة!! ثم الخلافة لك من بعدى، فأنت أولى الناس بها والسلام (۱.")

وكان جوابه الأخير الذى جبه رسولى الحسن اليه، وهما جندب بن عبد الله الأزدى والحرث بن سويد التيمى أنه قال لهما ": ارجعا فليس بينى وبينكم الا السيف! (۲.")

* * وهكذا ابتدأ معاوية العدوان، وخرج عامدا على طاعة الخليفة المفروضة طاعته عليه، الخليفة الذى لم يخالف على بيعته أحد من المسلمين غيره وغير جماعته من جند الشام الذين صقل قرائحهم على الخلاف، ورباهم على رأيه، وحبسهم عن الاختلاط بغيرهم، فكانوا حقا، كما وصفهم صعصعة بن صوحان العبدى حين سأله معاوية عنهم فقال ": أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار وحلفة الأشرار (۳.")

(۱) و (۲) شرح النهج (ج ۴ ص ۱۳ و ۱۰).

(۳) المسعودى هامش ابن الأثير (ج ۶ ص ۱۱۹).

(۸۸)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، جندب بن عبد الله الأزدى (۱)، صعصعة بن صوحان (۱)، الشام (۱)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۰۷۹

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۸۹

ودارت الكوفة دورتها، وهى تستمع إلى تهديد معاوية وتتلقف الاخبار عن زحفه إلى العراق. وارتجزت للحرب على لسان شيعتها البهاليل.

وهكذا جد الجد ولا مندوحة لولى الامر على الاستجابة للظرف المفاجئ والنزول على حكم الامر الواقع.

وكان حرب البغاة واجبه الذى يستمده من عقيدته ويستمليه من أعماق مبدئه، ولا استقرار للخلافة دون القضاء على هذا الانقسام الذى يفرضه معاوية على صفوف المسلمين، بثوراته المسلحة فى وجه الخلافة الاسلامية قرابة ثلاث سنوات متتاليات، أحوج ما يكون المسلمون فيها إلى الاستقرار والاستعداد.

وكانت حروب الشام منذ تجند لها معاوية، أشأم الحروب على الاسلام، وأكثرها دما مهراقا، وحقا مضاعا، واجتراء على الحقايق، وانتصارا للنزق الطائش، والأهواء الدنيوية الرخيصة.

وان الاسلام بمبادئه الانسانية السامية لم يشرع الحرب الا فى سبيل الله وإبتغاء الخير الناس وذيادا عن حياضه، اما نهب الثغور وإخافة

الآمنين، ومحاربة الشعوب المؤمنة بالله وبرسوله (لأنه يريد أن يتأمر عليهم) فذلك ما لا تعرفه المبادئ الاسلامية، ولا تعترف بمثله الا الجاهلية الهوجاء. وذلك هو مصدر الصدمات التى مزقت الكلمة وفرقت الدين، وفرضت العداوات بين فئات المسلمين.

واستجاب لمعاوية فى هذه الحروب " سفهاء طغام " على حد تعبير شبث بن ربعى التميمى حين واجهه فى أحدث سنة ۳۶، فاستغل تفسخ أخلاقهم، وأتجر بفساد أذواقهم، وقذف بهم فى لهوات الموت، وكلهم راض مطيع.

* * وكانت الشنشنة الموروثة فى هاشم، أنهم لا يبدأون أحدا قط بقتال. وتجد فيما عهد به الحسن إلى قائده " عبيد الله بن عباس " تأييدا صريحا

(۸۹)

مفاتيح البحث: دولة العراق (۱)، مدينة الكوفة (۱)، شبث بن ربعى اليربوعى (۱)، سبيل الله (۱)، الشام (۱)، القتل (۱)، السلاح (۱)، الموت (۱)، الجهل (۱)، الحرب (۲)

صفحه ۰۸۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۹۰

لهذا الخلق الهاشمى الأفضل. وكان للحسن على الخصوص، مواريث شخصية كثيرة من وصايا ودساتير، آثره بها سيد العرب أبوه أمير المؤمنين عليه السلام. وكان أبوه كما يحدثنا التاريخ شديد العناية بابنه الحسن " وكان يكرمه اكراما زائدا ويعظمه ويبجله (۱.")

وكانت هذه الوصايا، المثل التى لا يقربها الباطل ولا تزيغ عن الصواب على اختلاف موضوعاتها فى الدين والدنيا وفى التربية والاخلاق. وكان فيما أوصى به على الحسن قوله ": لا تدعون إلى مبارزة، فان دعيت إليها فأجب، فان الداعى إليها باغ. والباغى مصروع."

لذلك كنا نرى الحسن فى ابان بيعته، وفى قوة اندفاع أصحابه للهتاف بالحرب، لا يجيب إليها صريحا، ولا يعمل لها جادا، لأنه كان ينظر إلى الحرب نظرته إلى ضرورة بغيضة، يلجأ إليها حين لا حيلة له فى اجتنابها، وكان ينتظر تنظيم حرب يضمن لها القوة، أو قوة تضمن له الحرب، وقد حالت الظروف المتأزمة - يومئذ - والذاهبة صعدا فى أزماتها بينه وبين ما يريد.

وقد أتينا فى الفصل السابق على استكشاف الأوكار التى كان ينتمى إليها المتحزبون المتحمسون فى الكوفة، من أموية، ومحكمة، وشكاكين، وحمراء. وأشرنا هناك إلى ما كانت تعج به هذه المجتمعات من روح الهدم والتخريب، والوقوف فى وجه السياسة القائمة بشتى الأساليب.

وكان كل ذلك - وبعضه كاف - سبب التمهل فى الحرب، الامر الذى عورض به الحسن عليه السلام من قبل فئات من أصحابه المناصحين له. وكان للنشاط المؤقت المحدود، الذى غمر الكوفة فى أيام البيعة، أثره فى اغراء هذه الفئات من الأصحاب، ليظنوا كل شئ ميسرا لخليفتهم الجديد. ولكنها كانت النظرة القصيرة التى لا تمتد إلى ما وراء الستار. ولا تزن فى حسابها ما تهدفه هاتيك " الأوكار."

(۱) ابن كثير (ج ۸ ص ۳۶ - ۳۷).

(۹۰)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، مدينة الكوفة (۲)، الباطل، الإبطال (۱)، الحرب (۴)، الوقوف (۱)، الوصية (۱)

صفحه ۰۸۱

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۹۱

اما الحسن فقـد کان ینظر بالبصـیرة الواعیة إلی أبعد مما ینظرون، ویعرف بالعقل الیقظان من مشاکلهم أکثر مما یعرفون، ویغار - بدینه - علی الصالح العام أعنف مما یحسبون.

انه یـدرک جیـدا دقـة الموقف، بمـا یسـیطر علیه من میوعـة الاخلاق، فی قسم عظیم ممن معه فی جیشه، وممن حوله فی کوفته وکان ینتظر لهذا التفسخ الأخلاقی الذی باع الدنیا بالدین، أثره السـیئ فی ظروف الحرب، لو أنه اسـتبق إلی الحرب قبل أن یضـطره الموقف إلیها.

ورأی أن فی تحمل قلیل من مفاسد هؤلاء کثیرا من الصلاح لسیاسته الحاضرة مع ظرفه الخاص.

ورأی ان یعالـج الموقف من وجهه الثانی، فترفق بالناس، ولم یتنکر لاحـد من رعیته ولم یبـد له أمرا، وأخـذ بسـیاسة التهدئـة وإسـدال الستار، لئلا یتسع الفتق وتعم الفتنة، وأرجأ التصفیة إلی وقتها المناسب لها، لیضع الندی فی موضعه والسیف علی أهله.

* * وهنا یسـبق إلی الذهن اسـتفهام لا یجوز للباحث أن یتجاوزه من دون أن یقف علی سره. انه کان الأولی برئیس الدولة إذ جوبه من ظروفه بمثل هذا الجو المتلبد بالغیوم، أن یعمد إلی الحزم فی استئصال الشغب، فیستعمل الشدة ویکشف المؤامرات وینکل بالخونة ویکیل لهم الجزاء الذی یستحقون. فما الذی حدا بالحسن علیه السلام، إلی العزوف عن طریقة الشدة إلی الرفق أحوج ما یکون موقفه إلی الأول منهما تعجیلا للاستقرار واستعدادا لمستقبله المهدد بالحروب؟.

وللجواب علی هـذا الاسـتفهام، وجوهه الثلاـث التی سـتقرؤها فی خاتمـة الفصـل الثامن. ونقول هنا: ان الحسن لو أراد الاخـذ بسیاسـة الشـدة - وکانت من أوضـح الأسالیب التی تتخـذ لمثل هـذه الظروف - لتعجل الفتنة عن عمد، ولفتح میدانه للثورات الداخلیة التی لن تکون أقل خطرا علی

(۹۱)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، الحرب (۲)، الجواز (۱)

صفحه ۰۸۲

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۹۲

مقدراته من حروب الشام. وکان معاویة العدو الذی لا یفتأ یمد فکرة الثورة فی الکوفة بکل ما أوتی من ثراء أو دهاء.

لذلک کان ما اختاره الحسن هو الأحسن لموقفه الدقیق.

ونقول فی الجواب علی مقترح بعض نصـحائه من أصـحابه فی تعجیل الحرب حین طلب الیه " بأن یبدأ معاویة بالمسیر حتی یقاتله فی أرضه وبلاـده وعمله (۱: ") انه لو فعـل ذلـک لفتـح للمعارضـین من زعمـاء الأحزاب فی الکوفـة وللمتفیهقین من القراء و (أهل الهیأة والقناعة) فیها، منفذا للخلاف علیه لا یعدم الحجة، إذا أرید الاحتجاج به من ناحیة " الابتداء بالعدوان " وهی الحجة التی لا یجد کثیر من النـاس أو من بسـطاء الناس الجواب علیها، والتی قـد یؤول بها النقاش إلی مجاهرة هـذه الجماعات بنکث البیعـة علنا، والتخلی عن الحسن جهارا، ومعنی ذلک التعرض إلی أفظع انشقاق داخلی، له عواقبه ومخاوفه.

ولهذا وذاک آثر الحسن التهدئة متمهلا بالحرب بادئ ذی بدء.

ثم ارتجل الامر بالجهاد.

ومـا کـان إذ أمر بالجهـاد الاـ مستجیبا للظرف الطـارئ الـذی لم یکن یحتمـل - فی نظر الجمیع - الاـ الامر بالجهاد، وذلک حین بادر معاویة إلی العدوان مبتدئا، وتحلبت أشداقه بالمطامع الإقلیمیة ولکن فی صـمیم بلاد الاسـلام!، فزحف إلی " جسر منبج (۲ ") باتجاه العراق، وذلک بعد وفاة أمیر المؤمنین علیه السلام، بقلیل من الزمن اختصره الیعقوبی (۳) کثیرا

(۱) ابن أبی الحدید (ج ۴: ص ۱۳).

(۲ ") منبج " بلد قدیم کبیر، بینه وبین جسره علی الفرات ثلاثة فراسخ، وبینه وبین " حلب " عشرة فراسخ، وفی المعجم ": بینهما یومان، " قال ": ومنها إلی (ملطیة) أربعة أیام والی الفرات یوم واحد، وخرج منها جماعة منهم البحتری وأبو فراس الحمدانی."..

(۳) (ج ۲: ص ۱۹۱).

(۹۲)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، دولة العراق (۱)، مدینة الکوفة (۲)، الشام (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، الوفاة (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، ابو فراس الحمدانی (۱)، نهر الفرات (۲)

صفحه ۰۸۳

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۹۳

فحدده بثمانیة عشر یوما.

ومن هناک حیث بلغ أعالی الفرات، رفع صوته " بالعواء " الذی حاول أن یجعل منه زئیرا وجلجلة، لیخیف الثغور الآمنة المطمئنة، ولینبه مرابض الأسود فی کوفة الجند فیستدرجها إلی النزال.

ونظر معاویة إلی مصرع علی (علیه السلام)، کأحسن فرصة للاجراءات الحاسمة بین الکوفة والشام. وکان ذلک هو القرار الأخیر الذی تم علیه الاتفاق بینه وبین مشاوریه، الذین کانوا یتحلقون حوله لیل نهار، وینظمون معه حرکة المعارضة للخلافة الهاشمیة، بحنکة تشبه الدهاء، أمثال المغیرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحکم، والولید بن عتبة، ویزین بن الحر العبسی، ومسلم بن عقبة، والضحاک بن قیس الفهری.

ونجح معاویة فی اختیار الظرف المناسب.

ونجح فی خلق الشغب المزعج فی کوفة الحسن، بما أولاه من عنایة بالغة بشراء الضمائر الرخیصة فیها، وبما بثه من جواسیس یتأبطون فی رواحهم ألوان الأکاذیب، ویتزودون فی غدوهم الاخبار والمعلومات، عما یجد فی الکوفة من تصامیم، وعما یوجد لدیها من امکانیات. وکان سلاح معاویة من هذا النوع، أقوی من سلاحه بالرجال والحدید وأشد منهما مضاء وأبعد أثرا.

"واستنفر عشائره وجیوشه، فکتب إلی عماله علی النواحی التابعة له، بنسخة واحدة، یقول فیها ": فاقبلوا إلی حین یأتیکم کتابی هذا بجدکم وجهدکم وحسن عدتکم (۱.")..

* * ومضی الحسن (علیه السلام) – بدوره – علی تصمیمه فی الاستعداد

(۱) ابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۱۳).

(۹۳)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، مدینة الکوفة (۴)، نهر الفرات (۱)، مروان بن الحکم (۱)، مسلم بن عقبة المری (۱)، المغیرة بن شعبة (۱)، الضحاک بن قیس (۱)، عمرو بن العاص (۱)، الشام (۱)، الإختیار، الخیار (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)

صفحه ۰۸۴

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۹۴

للجواب علی هذا العدوان. فدعا إلی الجهاد، وتألب معه المخلصون من حملة القرآن وقادة الحروب وزهاد الاسلام، أمثال حجر بن

عدی الکندی وأبی أیوب الأنصاری، وعمرو بن قرضهٔ الأنصاری، ویزید بن قیس الأرحبی، وعدی بن حاتم الطائی، وحبیب بن مظاهر الأسدی، وضرار بن الخطاب، ومعقل بن سنان الأشجعی، ووائل بن حجر الحضرمی [سید الأقیال]، وهانئ بن عروهٔ المرادی، ورشید الهجری، ومیثم التمار، وبریر بن خضیر الهمدانی، وحبهٔ العرنی، وحذیفهٔ بن أسید، وسهل بن سعد، والأصبغ بن نباتهٔ، وصعصعهٔ بن صوحان، وأبی حجهٔ عمرو بن محصن، وهانئ بن أوس، وقیس بن سعد بن عبادهٔ، وسعید بن قیس، وعابس بن شبیب، وعبد الله بن یحیی الحضرمی، وإبراهیم بن مالک الأشتر النخعی، ومسلم بن عوسجهٔ، وعمرو بن الحمق الخزاعی، وبشیر الهمدانی، والمسیب بن نجیهٔ، وعامر بن واثلهٔ الکنانی، وجویریهٔ بن مشهر، وعبد الله بن مسمع الهمدانی، وقیس بن مسهر الصیداوی، وعبد الرحمن بن عبد الله بن شداد الأرحبی، وعمارهٔ بن عبد الله السلولی، وهانئ بن هانئ السبیعی، وسعید بن عبد الله الحنفی، وکثیر بن شهاب، وعبد الرحمن بن جندب الأزدی، وعبد الله بن عزیز الکندی، وأبی ثمامهٔ الصائدی، وعباس بن جعدهٔ الجدلی، وعبد الرحمن بن شریح الشیبانی، والقعقاع بن عمر، وقیس بن ورقاء، وجندب بن عبد الله الأزدی، والحرث بن سوید التیمی، وزیاد بن صعصعهٔ التیمی، وعبد الله بن وال، ومعقل بن قیس الریاحی.

وهؤلاء هم الجناح القوی فی جبههٔ الحسن علیه السلام. وهم السادهٔ الذین وصفهم الحسن فیما عهد به إلی " عبید الله بن عباس " بأن الرجل منهم یزید الکتیبهٔ، ووصفهم معاویهٔ فی حروب صفین بأن قلوبهم جمیعا کقلب رجل واحد، وقال عنهم ": انهم لا یقتلون حتی یقتلوا أعدادهم. " وهم الذین عناهم یومئذ بقوله ": ما ذکرت عیوبهم تحت المغافر بصفین الا لبس علی عقلی. " وشهادهٔ العدو وأصدق

(۹۴)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، میثم بن یحیی التمار النهروانی (۱)، أبو أیوب الأنصاری (۱)، قیس بن مسهر الصیداوی سفیر الحسین (ع) (۱)، إبراهیم بن مالک الأشتر النخعی (۱)، عبد الله بن یحیی الحضرمی (۱)، هانی بن هانی السبیعی (۱)، عبد الله بن شداد الأرحبی (۱)، جندب بن عبد الله الأزدی (۱)، حبیب بن مظاهر الأسدی رضوان الله علیه (۱)، هانی بن عروهٔ (۱)، یزید بن قیس الأرحبی (۱)، حجر بن عدی الکندی (۱)، الأصبغ بن نباتهٔ (۱)، عبد الله بن وال (۱)، سعید بن عبد الله (۱)، حذیفهٔ بن أسید (۱)، عامر بن واثلهٔ (۱)، صعصعهٔ بن صوحان (۱)، کثیر بن شهاب (۱)، القعقاع بن عمر (۱)، عدی بن حاتم (۱)، قیس بن ورقاء (۱)، رشید الهجری (۱)، وایل بن حجر (۱)، عمرو بن الحمق (۱)، سعد بن عبادهٔ (۱)، عابس بن شبیب (۱)، مسلم بن عوسجهٔ (۱)، سعید بن قیس (۱)، عمرو بن محصن (۱)، معقل بن قیس (۱)، سهل بن سعد (۱)، القرآن الکریم (۱)، القتل (۱)، الحج (۱)، الشهادهٔ (۱)

صفحه ۸۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحهٔ ۹۵

الشهادات مجدا.

وهز أعصاب الکوفهٔ فی فورهٔ الدعوهٔ إلی الجهاد، تفاؤل عنیف غلب الناس علی منازعها، فإذا بالناس یتسابقون إلی صفوفهم بما فیهم العناصر المختلفهٔ التی لا یعهد منها النشاط للدعاوات الخیرهٔ والاعمال الصالحهٔ والمساعی الخالصهٔ لله عز وجل.

فجمع المعسکر إلی جنب أولئک المخلصین من أنصار الحسن سوادا من الناس غیر معروفین، وجماعهٔ من أبناء البیوت المرائین، وجمهورا من مدخولی النیهٔ الذین لا یتفقون معه فی رأی، وربما لا یکونون الا عین عدوه علیه وعلی أصحابه، وآخرین من الضعفاء الرعادید الذین إذا أکرهوا علی القتال اتقوه بالفرار، وربما لم یکن لهم من الامل الا أمل الغنائم " ولیس أحد منهم یوافق أحدا فی رأی ولا هوی، مختلفون لا نیهٔ لهم فی خیر ولا شر (۱. - ") وفیهم إلی ذلک، المشاجرات الحزبیهٔ التی ستکون فی غدها القریب

شجرة الشوک فی طریق التجهیزات التی تستدعیها ظروف الحرب.

* * وتخوف الحسن – منذ الیوم الأول – نتائج هذا التلون المؤسف الذی انتشر فی صفوفه، والذی لا یؤمن فی عواقبه من الخذلان، وهو ما تشیر الیه بعض المصادر (۲) صریحا.

فکان ینظر إلی الجماهیر المرتجزة بین یدیه للحرب، غیر واثق بثباتهم معه، ولا مؤمن باخلاصهم لأهدافه.

وتراءت له من وراء هؤلاء (فی الکوفة)، الرؤوس ذوات الوجهین التی یئس من اصلاحها الهدی، أمثال الأشعث بن قیس، وعمرو بن حریث

(۱) کلمة الحسن نفسه فیما وصف به أهل الکوفة کما یرویها ابن الأثیر (ج ۳: ص ۶۲).

(۲) یراجع شرح النهج (ج ۴: ص ۱۴).

(۹۵)

مفاتیح البحث: مدینة الکوفة (۳)، عمرو بن حریث (۱)، الشهادة (۱)، الغلّ (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، الغنیمة (۱)، الجنابة (۱)، الجماعة (۱)، إبن الأثیر (۱)

صفحه ۰۸۶

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۹۶

ومعاویة بن خدیج، وأبی بردة الأشعری، والمنذر بن الزبیر، واسحق بن طلحة، وحجر بن عمرو، ویزید بن الحارث بن رویم، وشبث بن ربعی، وعمارة بن الولید، وحبیب بن مسلمة، وعمر بن سعد، ویزید بن عمیر، وحجار بن أبجر، وعروة بن قیس، ومحمد بن عمیر، وعبد الله بن مسلم بن سعید، وأسماء بن خارجة، والقعقاع بن الشور الذهلی، وشمر بن ذی الجوشن الضبابی.

وعلم أن له من هؤلاء لیوما.

وهؤلاء هم الکوفیون الناشزون، الذین کانوا یشرعون الاخلاق لأنفسهم وللناس الذین یماثلونهم – رغم ادعائهم الاسلام!. وکان الاسلام الذی عمر الاخلاق فی النفوس وزخر به النعیم علی المسلمین، قد هزمته المادة بین أوساط هذا المجتمع المأفون، فتباعدت بینهم وبینه القربی، وعجزوا عن مسایرته بتعالیمه وتربیته وتثقیفه، فما بایعوا الحسن علی السمع والطاعة حتی کانوا عملاء أعدائه علی الشغب والعصیان، یرقبون الحوادث، ویتربصون الدوائر، وینتهزون الفرص، ویتآمرون علی أخطر الموبقات غیر حافلین بعواقبها ولا عارها ولا نارها.

وکان الخطر المتوقع من انخراط هؤلاء فی الجیش، أکبر من الخطر المنتظر من أعدائه الذین یصارحونه العداء وجها لوجه.

فلم لا یتخوف عاهل الکوفة من الخذلان، ولم لا یتمهل بالحرب ما وسعه التمهل، وللنتائج الغامضة حکمها الذی یفرض الأناة ویذکر بالصبر، ویلوح بالخسران.

ولکنه – وقد دعی الآن إلی المبارزة – خلیق أن یرجع إلی المیراث النفیس الذی یشیع فی نفسه من ملکات أبیه العظیم (وکان لا بد للشبل أن ینتهی إلی طبیعة الأسد).

فلیرجع إلی وصیة أبیه له، وکان مما أوصاه به أبوه ": لا تدعون

(۹۶)

مفاتیح البحث: عمر بن سعد لعنه الله (۱)، مدینة الکوفة (۱)، عروة بن قیس (۱)، حجار بن أبجر (۱)، شبث بن ربعی الیربوعی (۱)، شمر بن ذی الجوشن لعنه الله (۱)، مسلم بن سعید (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۱)، الوصیة (۱)

صفحه ۰۸۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۹۷

إلى مبارزة، فان دعيت لها فأجب، فان الداعى لها باغ."..

وليرجع إلى واجبه الشرعى بما له من ولاية أمر المسلمين، وليس للامام الذى قلده الناس بيعتهم، أن يغضى على الجهر بالمنكر والبغى على الاسلام ما وجد إلى ذلك سبيلا.

والله تعالى شأنه يقول ": فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله."

ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول ": من دعا إلى نفسه، أو إلى أحد، وعلى الناس امام، فعليه لعنة الله فاقتلوه."

* * * اما السبيل إلى ذلك، ولا نعنى به الا القوة على انكار المنكر، فقد كان للكوفة من القوى العسكرية فى مختلف الثغور الخاضعة لها، ما يؤكد الظن بوجود الكفاية للحرب، رغم الأوضاع الشاذة التى نزع إليها كثير من خونة الكوفيين المواطنين.

وكان للدولة الاسلامية فى أواسط القرن الأول، أعظم جيش تحتفل بمثله تلك القطعة من الزمن، لولا أن الالتزام بقاعدة " المرابطة" التى تفرضها حماية الثغور والتى كان من لوازمها توزيع القسم الأكثر من الجيوش الاسلامية على مختلف المواقع البعيدة عن المركز، كان يحول دائما دون استقدام العدد الكثير من تلك الوحدات للاستعانة به فى الحروب القريبة من المركز، ولا سيما مع صعوبة العمليات السوقية بنظامها السابق ووسائطها القديمة المعروفة.

وكان الجيش المقدر على الكوفة وحدها. تسعين الفا أو مائة الف - على اختلاف الروايتين (۱) -. وكان الجيش المقدر على البصرة ثمانين الفا (۲). وهؤلاء هم أهل العطاء فى المصرين، أعنى الجنود الذين يتقاضون

(۱) يرجع إلى اليعقوبى (ج ۲: ص ۹۴)، والى الإمامة والسياسة (ص ۱۵۱).

(۲) حضارة الاسلام فى دار السلام لجميل مدور.

(۹۷)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الجهر والإخفات (۱)، مدينة الكوفة (۲)، مدينة البصرة (۱)، القتل (۱)، الظنّ (۱)

صفحه ۰۸۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۹۸

الرواتب من خزينة الدولة. وفى المصرين العسكريين - الكوفة والبصرة - مثل هؤلاء عددا من اتباعهم ومواليهم ومن متطوعة الجهاد غالبا.

فهذه زهاء ثلاثمائة وخمسين الفا، هى مقاتلة العراق، فيما يحسب على العراق من القدرة العسكرية، عدا جيوش فارس واليمن والحجاز والمعسكرات الأخرى.

وكان من تحمس الشيعة للحرب (يوم الحسن)، ومن الحاح الخوارج على حرب الحالين الضالين أهل الشام - على حد تعبيرهم -، ومن انسياح الناس إلى صفوفهم يوم نجحت دعاوة الدعاة إلى الجهاد فى الكوفة. ما يكفى وحده رصيدا للظن بوجود الكفاية بل اليقين بوجودها، لو انهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يوم التقت الفئتان وحميت الصدور واحمرت الحدق.

النفير والقيادة

(۹۸)

مفاتيح البحث: دولة العراق (٢)، مدينة الكوفة (٢)، الشام (١)، الخوارج (١)، الحرب (١)

صفحه ۰۸۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠٠

ونادى منادى الكوفة - الصلاة جامعة -، واجتمع الناس فخرج الحسن عليه السلام، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

"أما بعد، فان الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها، ثم قال لأهل الجهاد: اصبروا ان الله مع الصابرين. فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون الا ـ بالصبر على ما تكرهون. انه بلغنى أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير اليه فتحرك. لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم فى النخيلة (١) حتى ننظر وتنظرون، ونرى وترون."

قال مؤرخو الحادثة ": وسكت الناس فلم يتكلم أحد منهم ولا أجابه بحرف."

- ورأى ذلك " عدى بن حاتم " وكان سيد طىء والزعيم المرموق بسوابقه المجيدة فى صحبته للنبى والوصى معا (صلى الله عليهما) فانتفض انتفاضته المؤمنة الغضبى، ودوى بصوته الرزين الذى هز الجمع، فاستدارت اليه الوجوه تستوعب مقالته وتعنى بشأنه - وفى الناس كثير ممن عرف لابن حاتم الطائى، تاريخه وسؤدده وثباته على القول الحق - واندفع الزعيم محموم اللهجة قاسى التقريع، يستنكر على الناس سكوتهم، ويستهجن عليهم ظاهرة التخاذل البغيض.

وقال:

"أنا عدى بن حاتم، ما أقبح هذا المقام!. ألا تجيبون امامكم وابن

(١) تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة على سمت الشام، أقول: ويوجد اليوم على سمت كربلاء بناية تعرف بخان النخيلة، بينها وبين الكوفة اثنا عشر ميلا.

(١٠٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٣)، عدى بن حاتم (٢)، الصبر (١)، الصّلاة (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، الشام (١)

صفحه ۰۹۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٠١

بنت نبيكم؟. أين خطباء المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعة، فإذا جد الجد، راوغوا كالثعالب؟. أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها."؟

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال:

"أصاب الله بك المراشد، وجنبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدره. وقد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا لك، وأطعنا فيما قلت ورأيت."

قال ": وهذا وجهى إلى معسكرنا، فمن أحب أن يوافى فليواف."

ثم خرج من المسجد، ودابته بالباب، فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه. وكان المثل الأول للمجاهد المطيع، وهو إذ ذاك أول الناس عسكرا (١). وفى طىء الف مقاتل لا يعصون لعدى أمرا (٢).

ونشط - بعده - خطباء آخرون، فكلموا الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم، فقال لهم الحسن عليه السلام ": رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء، والمودة. فجزاكم الله خيرا."

واستخلف الحسن على الكوفة - ابن عمه - المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس للشخوص اليه فى النخيلة.

وخرج هو بمن معه، وكان خروجه لأول يوم من اعلانه الجهاد أبلغ حجة على الناس فى سبيل استنفارهم.

وانتظمت كتائب النخيلة خيار الأصحاب من شيعته وشيعة أبيه وآخرين من غيرهم. ونشط المغيرة بن نوفل لاستحثاث الناس إلى الجهاد وكان من المنتظر للعهد الجديد - الذى قوبل بالمهرجانات القوية فى أسبوع البيعة، أن لا يتأخر أحد بالكوفة عن النشاط المتحمس لإجابة دعوة الامام. ولكن شيئا من ذلك لم يقع!. وحتى السرايا الجاهزة التى كان أمير المؤمنين

(۱) شرح النهج (ج ۴ ص ۱۴).

(۲) اليعقوبى (ج ۲ ص ۱۷۱).

(۱۰۱)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، مدينة الكوفة (۲)، المغيرة بن نوفل (۲)، عدى بن حاتم (۱)، الحج (۱)، القتل (۱)، السجود (۱)، الإختيار، الخيار (۱)

صفحه ۹۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۰۲

(عليه السلام) قد أعدها للكرة على جنود الشام قبيل وفاته - وكانت تعد أربعين الف مقاتل - قد انفرط عقدها وتمرد أكثرها، وتثاقل معها أكثر حملة السلاح فى الكوفة عن الانصياع للامر.

وكان المذبذبون من رؤساء الكوفة، أشدهم نشاطا فى اللحظة الدقيقة التى أزفت فيها ساعة الجد.

قالت النصوص التاريخية فيما ترفعه إلى الحارث الهمدانى كشاهد عيان ": وركب معه - أى مع الحسن - من أراد الخروج وتخلف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوا وبما وعدوا، وغروه كما غروا أمير المؤمنين من قبله.. وعسكر فى النخيلة عشرة أيام فلم يحضره الا أربعة آلاف. فرجع إلى الكوفة، ليستنفر الناس، وخطب خطبته التى يقول فيها: قد غررتمونى كما غررتم من كان قبلى.. (۱.")

أقول: ثم لا ندرى على التحقيق عدد من انضوى اليه - بعد ذلك - ولكنا علمنا أنه " سار من الكوفة فى عسكر عظيم " على حد تعبير ابن أبى الحديد فى شرح النهج.

وسنأتى فى فصل " عدد الجيش " على غربلة أقوال المؤرخين لاختيار القول الفصل فى عدد جنود الحسن عليه السلام.

وغادر النخيلة وبلغ " دير عبد الرحمن " فأقام ثلاثا، والتحق به عند هذا الموضع مجاهدون آخرون لا نعلم عددهم.

وكان دير عبد الرحمن هذا مفرق الطريق بين معسكرى الامام فى المدائن (۲).

(۱) الخرايج والجرايح (ص ۲۲۸ - طبع إيران).

(۲) وهى العاصمة الساسانية التى بلغت من العمر الف سنة. وكانت وريثة بابل فى عظمتها ولم يبق من آثارها اليوم الا طاق كسرى، ومرقد الصحابى العظيم (سلمان الفارسى) رضى الله تعالى عنه. وكانت سبع مدن متقاربة تتقابل على ضفاف دجلة. فتحها المسلمون سنة ۱۵ هجرى وكانت إذ ذاك عاصمة الشرق الفارسى كله، ففى الجانب الغربى سلوقية، ودرزجان وبهرسير، وجند يسابور "كوكه" فى ناحية (مظلم ساباط) المتصلة بنهر الملك. وفى الجانب الشرقى اسفانبر، وروميه، وطيشفون (وهى أم الطاق).

وكان لابد من مرور أكثر من مائة عام قبل ان تندثر المدائن نتيجة لانشاء بغداد سنة ۱۵۰ هجرى. وفى خلال تلك الفترة كانت تغذى الكوفة بصناعاتها وكنوزها ومحصولاتها، وذلك بارسالها الموالى من الفرس إليها وقد صاروا مسلمين.

وكانت المدائن منذ العهد الذى وليها فيه سلمان الفارسى تتشيع لآل محمد (ص) وكانت لا تزال فى القرن السابع الهجرى قرية لا

يسكنها الا شيعة متحمسون.

وذكرها المسعودى عند ذكره العراق فقال ": ومدنه: المدائن وما والاها ولأهلها أعدل الألوان وأنقى الروائح وأفضل الأمزجة وأطوع القرائح وفيهم جوامع الفضائل وفرائد المبرات."..

(۱۰۲)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، إبن أبى الحديد المعتزلى (۱)، مدينة الكوفة (۵)، الحارث الهمدانى (۱)، الشام (۱)، القتل (۱)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (۱)، دولة ايران (۱)، دولة العراق (۱)، سلمان المحمدى (الفارسى) رضوان الله عليه (۲)، مدينة بغداد (۱)، بابل (۱)

صفحه ۰۹۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۰۳

ومسكن (۱).

وللامام الحسن خطته من هذين المعسكرين.

- اما " المدائن " فكانت رأس الجسر صوب فارس والبلاد المتاخمة لها. وهى بموقعها الجغرافى، النقطة الوحيدة التى تحمى الخطوط الثلاث التى تصل كلا من الكوفة والبصرة وفارس، بالأخرى. وتقف بقيمتها العسكرية درءا فى وجه الاحداث التى تنذر بها ظروف الحرب. وكانت

(۱) بفتح أوله وكسر ثالثه، اسم الطسوج الذى منه " أوانا " على نهر دجيل - القرية الكثيرة البساتين والشجر - التى عناها أبو الفرج السوادى (من شعراء القرن السادس) بقوله.

واجتلوها بكرا نشت " بأوانا * * * " حجبت عن خطابها بالأوانى كان بينها وبين بغداد عشرة فراسخ.

وفى " مسكن " هذه، كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة ۷۲ هجرى وفيها قتل مصعب، وقتل معه إبراهيم بن مالك " الأشتر " النخعى، ودفنا حيث قتلا. ولا يزال القبران ظاهرين وعليهما قبة متواضعة تعرف عند أعراب سميكة " بقبر الشيخ إبراهيم " وبينه وبين بغداد نحو من ستين كيلو مترا. وبينه وبين دجلة عشرة كيلو مترات، فمسكن هى المنطقة التى تترامى حوالى هذا القبر بما فى ذلك نهر دجيل وهنالك كانت " أوانا " أيضا.

(۱۰۳)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، الحرب (۱)، إبراهيم بن مالك الأشتر النخعى (۱)، مدينة بغداد (۲)، الفرج (۱)، القتل (۲)، القبر (۱)

صفحه ۰۹۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۰۴

فارس معرض الانتفاضات الخطرة على الدولة. وكان عليها من قبل الامام " زياد بن عبيد " ولما يطبع - بعد - على صفحته المقلوبة التى غيرت منه كل شئ.

واما " مسكن " فقد كانت النقطة الحساسة فى تاريخ جهاد الحسن (ع) لأنها الميدان الذى قدر له ان يقابل العدو وجها لوجه. وهى إذ ذاك أقصى الحدود الشمالية للعراق الهاشمى، أو المناطق الخاضعة لحكومة الكوفة من هذه الجهة. وكان فى أراضى مسكن مواطن معمورة بالمزارع والسكان وقرى كثيرة مشهورة - منها " أوانا " و " عكبرا " ومنها " العلث " وهى آخر (۱) قراها الشمالية، وكان بإزائها قرية " الجنوبية " وهى التى انحدر إليها معاوية بجيوشه منذ غادر " جسر منبج. " والتقى عندها الجمعان.

والمفهوم ان موقع مسکن الیوم لا یعدو هذه السهول الواسعة الواقعة بین قریة " سمیکة " وقریة " بلد " دون سامراء.
ولمسکن طبیعتها الغنیة بخیراتها الکثیرة ومشارعها القریبة وسهولها الواسعة، فکانت - علی هذا - الموقع المفضل للنزال والحروب، وکانت لأول مرة فی تاریخها میدان الحسن ومعاویة فی زحفهما هذا، ثم تبودلت فیها بعد ذلک وقائع کثیرة بین العراق والشام.
* * * ورأی الحسن علیه السلام أن یتخذ من المدائن - بما لموقعها من الأهمیة العسکریة - مقرا لقیادته العلیا. لیستقبل عندها نجدات جیوشه من الأقطار الثلاث القریبة منه، ثم لیکون من وراء میدانه الذی ینازل به معاویة وأهل الشام فی " مسکن. " ولیس بین المعسکرین الهاشمیین فی - المدائن ومسکن - أکثر من خمسة عشر فرسخا.
(۱) قال الماوردی فی الاحکام السلطانیة - علی روایة الحموی " -: والعلث هو أول العراق من هذه الجهة. " أقول: ویقع العلث بین عکبرا وسامراء. وعکبرا قریة من نواحی دجیل قرب " أوانا."
(۱۰۴)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۲)، دولة العراق (۳)، مدینة سامراء المقدسة (۲)، مدینة الکوفة (۱)، زیاد بن عبید (۱)، الشام (۲)، الوسعة (۲)

صفحه ۰۹۴

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۱۰۵
وکانت الخطة المثلی التی لا بدل عنها للوضع الحربی الراهن. وهکذا انکشف الحسن فی رسم خططه الحربیة، عن القائد الملهم الذی یحسن فنون الحرب کما کان یصطلح علیها عصره أفضل احسان. ودلت خطواته المتدرجة فی سبیل مقاومته لعدوه سواء فی اختیار الوقت أو فی اختیار المواقع أو فی تسییر الجیوش، علی مواهب عسکریة ممتازة، کانت کفاء ما رزق من مواهب فی سیاسته وفی اخلاصه وفی تضحیته.
* * * ونظر عن یمینه وعن شماله، وتصفح - ملیا - الوجوه التی کانت تدور حوله من زعماء شیعته ومن سراة أهل بیته، لیختار منهم قائد " مقدمته " التی صمم علی ارسالها إلی مسکن، فلم یر فی بقیة السیوف من کرام العشیرة وخلاصة الأنصار، أکثر اندفاعا للنصرة ولا اشد تظاهرا بالاخلاص للموقف من ابن عمه (عبید الله (۱) بن عباس بن عبد المطلب) و (قیس بن سعد بن عبادة الأنصاری) و (سعید بن قیس الهمدانی) - رئیس
(۱) الارشاد للشیخ المفید (ص ۱۷۰)، وابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۱۴) والیعقوبی (ج ۲ ص ۱۹۱).
وذکر مؤرخ آخر انه (عبد الله بن عباس اخوه) ولا یصح ذلک، لان عبد الله لم یکن فی الکوفة أیام خلافة الحسن، وانما کان فی مکة، وکتب إلی الحسن کتابه الذی یشیر فیه بالحرب وتجد صورته فی شرح النهج (ج ۴ ص ۸ - ۹) ولم یکن عبد الله بالذی یختفی ذکره فی احداث هذا العهد لو أنه کان موجودا فی الکوفة. قال الطبری فی تاریخه (ج ۶ ص ۸۱ "): وفیها - یعنی فی سنة ۴۰ - خرج عبد الله بن العباس من البصرة ولحق بمکة فی قول عامة أهل السیر. وقد انکر بعضهم وزعم انه لم یزل فی البصرة عاملا علیها من قبل أمیر المؤمنین علی علیه السلام حتی قتل وبعد مقتل علی حتی صالح الحسن ثم خرج حینئذ إلی مکة. " أقول: ولا فی البصرة والا لما تأخر جیش البصرة عن الحسن أحوج ما کان الیه فی المدائن. وأید ابن الأثیر (ج ۳: ص ۱۶۶) ان عبد الله بن عباس فارق علیا فی حیاته.
والمظنون ان اتحاد الأخوین أبا وتشابه اسمیهما کتابة هو الذی اثار الخطأ فی نسبة القیادة لعبد الله. ووهم آخر فذکر قیادة المقدمة لقیس بن سعد. وکان قیس علی الطلائع من هذه المقدمة، کما نص علیه ابن الأثیر، ولعل ذلک هو سبب هذا الوهم فلاحظ.
(۱۰۵)

مفاتیح البحث: سعد بن عبادة (۱)، سعید بن قیس (۱)، الکرم، الکرامة (۱)، الإختیار، الخیار (۲)، الحرب (۲)، الإمام أمیر المؤمنین

على بن ابى طالب عليهما السـلام (۱)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۱)، إبن أبى الحديد المعتزلى (۱)، عبد الله بن عباس (۳)، مدينة مكة المكرمة (۳)، مدينة الكوفة (۲)، إبن الأثير (۲)، مدينة البصرة (۴)، قيس بن سعد (۱)، القتل (۲)

صفحه ۹۵

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۱۰۶

اليمانية فى الكوفة –. فعهد إلى هؤلاء الثلاثة بالقيادة مرتبين.

وكان عبيـد الله بن عباس أحـد أولئك المرتجزين للحرب، المسـتهترين بالحياة، تحفزه الغيرة الدينيـة، وتلهبه العنعنات القبليـة، فإذا هو الفولاذ المصـهور فى تعصبه للعرش الهاشـمى، وهل هو الا أحد سراة الهاشميين، وقديما قيل ": ليست الثكلى كالمستأجرة. " وهو فى سوابقه أمير الحج سنة ۳۶ (على رواية الإصابة) أو سـنة ۳۹ (على روايـة الطبرى) أو هو أمير الحج فى السـنتين معا، وهو والى البحرين، وعامل اليمن (۱) وتوابعها على عهـد أمير المؤمنين عليه السـلام، والجواد المطعام الذى شـهد له الحجيج فى مكة، ثم هو أسـبق الناس دعوة إلى بيعة الحسن يوم بايعه الناس.

فكان – على ذلك – حريا بهذه الثقة الغالية التى وضعها فيه ابن عمه الامام عليه السلام (۲).

(۱) وحاول بعضـهم الارتياب فى سوابق عبيـد الله هذا، بحادثة خروجه من اليمن. ومن الحق ان نعترف بضـعف حامية اليمن – يومئذ – عن الصـمود لحملة بسـر بن أرطأة، وكان من انشقاق بعض اليمانيين على الحكم الهاشمى ومكاتبتهم معاوية واخراجهم أميرهم (سعيد بن نمران) من الجند وموافقتهم عاملهم (عبيد الله) ما يشـهد لعبيد الله بالبراءة من موجبات الريب. ولو أن عبيد الله كان قد حاول مواقفة بسر لكان له من عثمانية اليمن من يكفى بسرا أمره، على ان الرجل لم يفعل بخروجه من اليمن أكثر مما فعله نظراؤه فى مكة والمدينة، حيث فر عاملاهـا من وجه بسـر، وأغـار عامل معاويـة على العواصم الثلاث فقتل فيهن زهاء ثلاثين الفا من الآمنين. وعلمنا ان عبيـد الله قصـد فى خروجه من اليمن إلى الكوفـة، ولو كان مريبا لما قصـد الكوفـة وعلمنا ان سـعيد بن نمران اعتذر لأمير المؤمنين عليه السـلام بقوله ": انى دعوت النـاس – يعنى أهـل اليمن – للحرب وأجـابنى منهم عصابـة فقـاتلت قتالاـ ضـعيفا وتفرق الناس عنى وانصـرفت. " أقول: أفلاـ تكون تجربـة ابن نمران تصـحيحا لمعـذرة ابن عبـاس، فالرجـل – فى سوابقه – لاـ غمز فيه، ولاـ غرو إذا رضـيه الحسن ثقة بسوابقه.

(۲) يراجع عما ذكرناه من القيادة والحركات السوقيـة ابن أبى الحديد (ج ۴ ص ۱۴) والارشاد (ص ۱۶۸ – ۱۶۹) واليعقوبى (ج ۲ ص ۱۹۱).

وانفرد اليعقوبى عنهما بعـدم ذكر القائـد الثالث من قواد المقدمة، ثم قال ": وأمر الحسن عبيد الله بان يعمل بأمر قيس بن سـعد ورأيه، فسـار إلى ناحيـة الجزيرة – يعنى بين النهرين – واقبـل معاويـة لمـا انتهى اليه الخبر بقتل على (ع) فسار إلى " الموصل " بعـد قتل على بثمانية عشر يوما والتقى العسكران. – ".. أقول: والموصل هذه قرية من قرى " مسكن " دفن بالقرب منها سيدنا (محمد ابن الامام على الهـادى) كمـا أشـار اليه الحموى فى معجمه وهى غير مدينـة الموصـل المعروفـة. ولا تنافى بين ما رواه اليعقوبى وما رواه الآخرون من تعيين الموقع الذى نزل فيه جيش معاوية فى حربه للحسن عليه السـلام، فالموصل والحيوضة والجنوبية كلها من قرى " مسكن " يومئذ ولعل الجيش أشـغل هذه القرى كلها فوردت أسـماؤها فى مختلف الروايات واقتصرت بعضها على اسم دون اسم كما ترى. ونحن انما اخترنا ذكر " الجنوبية " دون غيرها نزولا على تصريح قيس بن سعد فيما كتب به إلى الحسن كما سيأتى فى محله.

(۱۰۶)

مفاتيـح البحث: الإمـام أمير المؤمنين على بن ابى طـالب عليهما السـلام (۳)، مدينـة مكة المكرمة (۲)، مدينـة الكوفة (۳)، الحج (۲)، الشهادة (۲)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السـلام (۱)، إبن أبى الحديد المعتزلى (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، قيس بن سعد

(۲)، القتل (۳)، الدفن (۱)

صفحه ۰۹۶

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۱۰۷

ودعاه، فعهد الیه عهده الذی لم یرو لنا بتمامه، وانما حملت بعض المصادر صورة مختزلة منه. قال فیه:

"یـا ابن عم! انی باعث معک اثنی عشـر الفا من فرسان العرب وقراء المصـر، الرجل منهم یزیـد الکتیبـة، فسـر بهم، وألن لهم جانبک، وابسـط لهم وجهـک، وافرش لهم جناحـک، وأدنهم من مجلسـک، فـإنهم بقیـة ثقـات أمیر المؤمنین. وسـر بهم علی شـط الفرات، ثم امض، حتی تسـتقبل بهم معاویة، فان أنت لقیته، فاحتبسه حتی آتیک، فانی علی أثرک وشـیکا. ولیکن خبرک عندی کل یوم، وشاور هـذین – یعنی قیس بن سـعد وسـعید بن قیس –. وإذا لقیت معاویـة فلاـ تقاتله حتی یقاتلک، فان فعل، فقاتله. وإن أصـبت، فقیس بن سعد علی الناس، فان أصیب فسعید بن قیس علی الناس."

ولقد تری أن الامام الحسن علیه السـلام، لم یعن فی عهده إلی عبید الله بشـیء، عنایته بأصـحابه، فمدحهم، وأطری بسالتهم، وأضافهم إلی أبیه أمیر المؤمنین علیه السـلام. وأراد بکل ذلک تغذیة معنویاتهم والهاب حماسـتهم والتأثیر علی عواطفهم. ثم أمر قائده بأن یلین لهـم جـانبه ویبسـط لهم وجهه ویفرش لهم جنـاحه ویـدنیهم من مجلسه. وحرصت هـذه التعـالیم علی ایثـار الثقـة المتبادلـة بین القـائد والجیش. وأحر بهذه الثقة – فی حرب

(۱۰۷)

مفاتیـح البحث: الإمـام أمیر المؤمنین علی بن ابی طـالب علیهما السـلام (۱)، الإمـام الحسن بن علی المجتبی علیهمـا السـلام (۱)، نهر الفرات (۱)، سعید بن قیس (۲)، قیس بن سعد (۲)، الحرب (۱)

صفحه ۰۹۷

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۱۰۸

تعوزها النظم العسکریة التی نعرفها الیوم – أن تکون أهم عناصر القوة المرجوة للأیام السود. وجاءت جملا متعاطفة أربعا یؤکد بعضها بعضـا، ثم هی لاـ تعنی الاـ معنی واحـدا. تری فهـل لنا أن نسـتفید، من هـذا القصـد العامـد إلی التأکیـد، أنها کانت تحاول بتکرارها" المؤکـد، " استئصـال خلق خـاص فی عبیـد الله [القائـد الجدیـد]؟. وفی الجیش – معـه – أعلاـم من سـراة النـاس، ومن ذوی السـوابق والـذکریات المجیـدة، الـذین لاـ یهضـمون الخلق المزهو ولا الخشونـة الآمرة الناهیـة فی الفتی الهاشـمی الـذی لا یزیـدهم کفاءة، ولا یسبقهم جهادا، ولا یفضلهم تقوی، ولا یکبرهم سنا (۱).

وقوله له – بعـد ذلک " –: وشاور هـذین " دلیل آخر علی القصد علی تذلیل خلق صـعب، ربما کان یعهده الامام فی ابن عمه، وربما کان یخافه کعائق عن النجاح.

أقول: ولیس من وجود الخلق المخشوشن فی عبیـد الله – إذا صـدق الظن – ما یعیقه عن اسـتحقاق القیادة، وقـد اسـتدعته إلیها ظروف کثیرة أخری، علی أن بین الخشونة والحیاة العسکریة أواصر رحم متینة الحلقات فی القدیم والحدیث.

* * وفی هذه المناسبة ما یفسح المجال للتساؤل عن الحیثیات التی آثر بها الامام الحسن علیه السلام عبید الله بن عباس للقیادة علی مقـدمته، وفی الجیش مثـل (قیس بن سـعد بن عبـادة الأنصـاری) الرجل المعترف بکفاءاته العسـکریة وبإخلاصه الصـحیح لأهل البیت علیهم السلام وبأمانته.

وللجواب علی هذا السؤال، وجوه:

أولهـا: أن الحسن حين أراد عبيـد الله للقيادة على " المقدمـة " فرض عليه اسـتشارة كل من قيس بن سـعد وسـعيد بن قيس – كما هو صريح عهده

(۱) كان عبيد الله بن عباس يوم قيادته لهذا الجيش فى التاسعة والثلاثين من عمره.

(۱۰۸)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، سعد بن عبادة (۱)، سعيد بن قيس (۱)، قيس بن سعد (۱)، التصديق (۱)، الظنّ (۱)

صفحه ۹۸

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۱۰۹

اليه – فخرج بـذلك من الايثار الـذى يؤخـذ عليه، إذا كان فى هذا الايثار تبعة يخاف منها على مصـلحة الموقف. وأصـبحت القيادة – على هـذا الأسـلوب – شورى بين ثلاثـة، هم أليق رجـاله لهـا. اما تقـديم قيس على صاحبيه وعلى غيرهما من صـحابة وزعماء، وايثاره بالقيـادة وحـده فقـد كـان – فى حينه – مظنـة لتنـافس الأكفـاء الآخرين الـذين كان يلفهم جناح هـذا الجيش. وفى هؤلاء الشخصـيات المعروفـة فى قيادتها الميادين وفى اخلاصـها وجهادها وسوابقها، أمثال أبى أيوب الأنصارى وحجر بن عـدى الكندى وعدى بن حاتم الطائى وأضرابهم، ممن مر ذكرهم.

لـذلك كـان تقـديم ابن عم الامـام، بل ابن عم النبى صـلى الله عليه وآله، وتعيينه " اسـما " ثم الاسـتفادة من رأى قيس وصاحبه على الأسلوب الذى ذكرنا، تخلصا لبقا، لا ينبغى الخلاف فيه، ولا التنافس عليه.

وثانيها: انه كان من الاحتياطات الرائعة للوضع العام يوم ذاك، أن لا يكون القائد فى جبهة الحسن الا هاشميا.

وتفسير ذلـك، أن سورة التخـاذل التى دارت مع قضـية الحسن فى الكوفـة، كـانت لا تزال نـذيرة تشاؤم كثير فى حساب الحسن (ع)، وكان عليه أن يتخذ من التدابير الممكنة كل ما يدفع عنه – فى حاضـره وفى مستقبله – لوم الناس وتخطئتهم ونقدهم. ومن السهل على الناس أن يتسـرعوا إلى التخطئة والنقد متى وجدوا موضـعا للضـعف أو منفذا إلى الفشل والحرمان. وكان من المنتظر ان يقولوا فيما لو فشـلت قضية الحسن فى مسكن أنه لو كان القائد من أهله لكان أولى من غيره بالصبر على المكاره وتحمل العظائم، ولما آل الامر إلى هذا المآل.

فكان الاستعداد لغوائل الوضع الراهن بتعيين القائد الهاشمى، تدبيرا دقيق الملاحظة.

(۱۰۹)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، أبو أيوب الأنصارى (۱)، مدينة الكوفة (۱)، حجر بن عدى الكندى (۱)، عدى بن حاتم (۱)، الخوف (۱)

صفحه ۹۹

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۱۱۰

وثالثها: أنه لن يكون انسان آخر غير عبيـد الله بن عباس – لا قيس ولا ابن قيس ولا غيرهما – أشد حنقا ولا أعنف تألبا على معاوية منه كأب قتل ولداه (الصبيان) صبرا، فيما أملته فاجعة بسر بن أرطأة يوم غارته على اليمن [والقضية من مشهورات التاريخ].

فكان من الاستغلال المناسب جدا، اختيار هذا القائد الحانق لقتال قاتل ولديه.

ورابعها: أن جيش " المقدمـة " الـذى ولى قيادته عبيـد الله هذا، كان أكثره من بقايا الجيش الذى أعده أمير المؤمنين عليه السـلام فى

الكوفـة لحرب أجناد الشام، ثم توفی عنه. وكان قيس بن سـعد بن عبادة هو قائد (۱) ذلـك الجيش فی زمن أمير المؤمنين (ع) والقائم علی مـداراته. ولهـذه السوابق أثرها فی توثيق الروابط الشخصـية بين القائـد والمقود. وكان من السـهل علی القائد النافذ فی جنوده، أن يجنح - متی شاء - إلی حرية التصـرف التی لا تعبر عن اتصال ايجابی بالمركز الاعلی، وهو ما كان يجب التحفظ منه، كأهم عنصر فی الموقف.

وعلی أننا نحترم سيدنا قيسا كما يجب له الاحترام، ولكننا لا ننكر قابلياته الشخصية التی تجوز عليه هذا اللون من حرية التصرف.

ولاـ ننسـی أنـه وقـف بين صـفوفه - يـوم رجعت له قيـادة هـذا الجيش فی مسـكن - يخيرهـم بين الالتحـاق بالامـام علی الصـلح، وبين الاستمرار علی حرب معاوية بلا امام!!..

فأی احتياط كان أحسن من جعل القيادة فی غير هـذا الرجل وجعله - مع ذلك - المسـتشار العسـكری للاسـتفادة من كفاءاته ودهائه، وهو ما فعله الامام الحسن تنفيذا لافضل الرأيين.

أقول: ولا يضير هذه السياسة، تعيين قيس للخلافة علی القيادة بعد

(۱) تاريخ ابن كثير (ج ۸ ص ۱۴) وغيره.

(۱۱۰)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علی بن ابی طالب عليهما السـلام (۲)، مدينة الكوفة (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، سعد بن عبادة (۱)، الشام (۱)، القتل (۳)، الإختيار، الخيار (۱)، الحرب (۱)، الجواز (۱)

صفحه ۱۰۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۱۱

عبيـد الله بن عباس، لأنه لن يكون بعد مقتل سـلفه فی ميادين مسـكن - كما كان هو المفروض فی نصوص العهد - الا رهن التصـميم الـذی سار عليه سـلفه، والـذی لا تسـمح بتغييره ظروف الحرب القائمـة بين الفريقين، ولعله لن يكون - يومئـذ - الا رهن توجيه الامام (القائد الاعلی) مباشرة، وقد علمنا - مما سبق - أن الامام وعد مقدمته بالالتحاق بها وشيكا.

وأی محذور - بعد هذا - من تعيينه للخلافة علی القيادة ما دام مقيدا بتصميم خاص، أو مرتهنا بتسيير الامام واشرافه المباشر.

عدد الجيش

(۱۱۱)

مفاتيح البحث: الحرب (۱)، القتل (۱)

صفحه ۱۰۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۱۴

كـان فی الكوفـة من الجيش العامـل فی أواسـط القرن الأـول أربعون الفـا، يغزو كـل عـام منهم عشـرة آلاف (وهو ما تنص علی ذكره المصادر الموثوقة).

وعلمنا ان أمير المؤمنين عليا عليه السـلام كان قد أعد للكرة علی جنود الشام أربعين الفا أو خمسين الفا - علی اختلاف الروايتين - ثم توفی قبـل الزحف بها. والمظنون أن الحصـة المـدورة من الجيش العامل، كانت بعض هـذه العـدة التی كان أمير المؤمنين قـد أعـدها لحرب معاوية.

ثم انقطع بنـا العلم عن موقف هـذا الجيش أو ذاك من الحسن بن علی عليهمـا السـلام، ابـان دعوته إلی الجهـاد. وعلمنـا من أكثر من

مصـدر أن المقدمـة التى بعث بها الحسن إلى لقاء معاويـة فى " مسـكن " كانت تعد اثنى عشـر الفا، والمرجح أنها فلول الجيش الذى مات عنه أمير المؤمنين (ع)، فأجاب الحسن منهم من أجاب وتخلف الباقى.

ثم علمنا من مصدر آخر أن الكوفة جاشت فى صميم تثاقلها يوم الحسن فجندت أربعة آلاف (۱) أخرى.

فهذه ستة عشر الفا، قام على اثباتها النص الذى لا يقبل النقاش.

وهناک أرقام أخرى لعدد الجيش، مر عليها المؤرخون وتضـمنتها بعض التصـريحات ذات الشأن. ولكنها خاضـعة فى ثبوتها للتمحيص والمناقشة.

وفيما يلى نصوص المصادر التى تشير إلى تلك الأرقام على اختلافها نعرضها أولا بحرفها، ثم نعود أخيرا إلى تدقيقها كما يجب.

(۱) الخرايج والجرايح للراوندى (ص ۲۲۸).

(۱۱۴)

مفاتيـح البحث: الإمـام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السـلام (۲)، مدينة الكوفة (۲)، الشام (۱)، الموت (۱)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (۱)

صفحه ۱۰۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۱۵

قال فى البحار (ج ۱۰ ص ۱۱۰):

"ثم وجه (يعنى الحسن) اليه (يعنى إلى معاوية) قائدا فى أربعة آلاف، وكان من كندة، وأمره أن يعسـكر بالأنبار (۱)، ولا يحدث شيئا حتى يـأتيه أمره. فلما توجه إلى الأنبار، ونزل بها، وعلم معاويـة بـذلک، بعث اليه رسـلا، وكتب اليه معهم: انک ان أقبلت إلى، أوليک بعض كور الشام والجزيرة، غير منفس عليک. وأرسل اليه بخمسـمائة الف درهم. فقبض الكندى المال، وقلب على الحسن، وصار إلى معاوية فى مائتى رجل من خاصـته وأهل بيته. فبلغ ذلک الحسن فقام خطيبا وقال: هذا الكندى توجه إلى معاوية، وغدر بى وبكم، وقد أخبرتكم مرة بعـد مرة، انـه لا ـ وفـاء لكـم، أنتم عبيـد الـدنيا، وأنـا مـوجه رجلا ـ آخر مكـانه، وانى أعلم انه سـيفعل بى وبكم، مـا فعل صاحبكم، ولا يراقب الله فى ولا فيكم. فبعث اليه رجلا من مراد فى أربعة آلاف. وتقدم اليه بمشـهد من الناس وتوكد عليه، وأخبره أنه سيغدر كما غدر الكندى. فحلف له بالايمان التى لا تقوم لها الجبال انه لا يفعل. فقال الحسن: انه سـيغدر. فلما توجه إلى الأنبار، ارسل اليه معاويـة رسـلا وكتب اليه بمثـل ما كتب إلى صاحبه وبعث اليه بخمسـة آلاف (ولعله يريـد خمسـمائة الف) درهم، ومناه أى ولاية أحب من كور الشام والجزيرة، فقلب على الحسن، وأخذ طريقه إلى معاوية، ولم يحفظ ما اخذ عليه من عهود."..

ثم ذكر بعد هذا العرض، اتخاذ الحسن النخيلة معسكرا له، ثم خروجه إليها.

* * *

(۱) مدينة كانت على الفرات (غربى بغداد) تبعد عنها عشـرة فراسخ سميت بذلک لأنها كانت تجمع بها أنابير الحنطة والشعير منذ أيام الفرس، وأقام بها أبو العباس السفاح العباسى إلى أن مات، وجدد بها قصورا وأبنية، ثم اندثرت عمارتها.

(۱۱۵)

مفاتيح البحث: الشام (۲)، نهر الفرات (۱)، مدينة بغداد (۱)، الموت (۱)، القمح، الحنطة (۱)، الشعير (۱)

صفحه ۱۰۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۱۶

۲ – قال ابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۱۴):

"وخرج الناس، فعسکروا ونشطوا للخروج، وخرج الحسن إلی المعسکر، واستخلف علی الکوفة المغیرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وأمره باستحثاث الناس واشخاصهم الیه. فجعل یستحثهم ویخرجهم حتی یلتئم المعسکر. وسار الحسن فی عسکر عظیم وعدة حسنة، حتی نزل دیر عبد الرحمن، فأقام به ثلاثا حتی اجتمع الناس. ثم دعا عبید الله بن العباس بن عبد المطلب، فقال له: یا ابن عم انی باعث معک اثنی عشر الفا من فرسان العرب وقراء المصر."..

۳ – روی الزهری فیما ینقله عنه ابن جریر الطبری (ج ۶ ص ۹۴) قال:

"فخلص معاویة حین فرغ من عبید الله بن عباس والحسن علیه السلام إلی مکایدة رجل هو أهم الناس عنده مکایدة، ومعه أربعون الفا. وقد نزل معاویة بهم وعمرو وأهل الشام."

۴ – وجاء فی کلام المسیب بن نجیة فیما عاتب به الامام الحسن علی صلحه مع معاویة (علی روایة غیر واحد من المؤرخین) – والنص للمدائنی (۱) کما یحدثنا عنه فی شرح النهج (ج ۴ ص ۶) – قال:

"فقال المسیب بن نجیة للحسن علیه السلام: ما ینقضی عجبی منک صالحت معاویة ومعک أربعون الفا!. أو قال ": بایعت " علی اختلاف النقول.

(۱) هو أبو الحسن بن محمد بن عبد الله بن أبی سیف البصری الأصل. سکن المدائن ثم انتقل إلی بغداد وتوفی بها سنة ۲۱۵ وهو الذی یکثر ابن أبی الحدید النقل عنه فی شرح النهج. وله ما یقرب من مائتی کتاب فی مختلف الموضوعات رحمه الله.

(۱۱۶)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۲)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۲)، نوفل بن الحرث بن عبد المطلب (۱)، مدینة الکوفة (۱)، عبید الله بن العباس (۱)، الشام (۱)، الحسن بن محمد بن عبد الله (۱)، مدینة بغداد (۱)

صفحه ۱۰۴

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۱۱۷

۵ – قال ابن الأثیر فی کامله (ج ۳ ص ۶۱):

"کان أمیر المؤمنین علی قد بایعه أربعون الفا من عسکره علی الموت، لما ظهر ما کان یخبرهم به عن أهل السام. فبینما هو یتجهز للمسیر قتل علیه السلام وإذا أراد الله أمرا فلا مرد له. فلما قتل وبایع الناس ولده الحسن بلغه مسیر معاویة فی أهل الشام الیه، فتجهز هو والجیش الذین کانوا بایعوا علیا، وسار عن الکوفة إلی لقاء معاویة – وکان قد نزل مسکن – فوصل الحسن إلی المدائن، وجعل قیس بن عبادة الأنصاری علی مقدمته فی اثنی عشر الفا، وقیل بل کان الحسن قد جعل علی مقدمته عبد الله (۱) بن عباس، فجعل عبد الله بن عباس علی مقدمته فی الطلائع قیس بن سعد بن عبادة."..

أقول: وجری علی مثل هذا الحدیث " ابن کثیر " والظاهر انه اخذه من الکامل حرفیا.

۶ – کلمة الحسن علیه السلام فیما یرویه عنه المدائنی (۲) فی جواب الرجل الذی قال له ": لقد کنت علی النصف فما فعلت، "؟ فقال:

"أجل ولکنی خشیت أن تأتی یوم القیامة سبعون الفا أو ثمانون الفا تشخب أوداجهم، کلهم یستعدی الله، فیم هریق دمه."

۷ – ما رواه ابن قتیبة الدینوری فی الإمامة والسیاسة (ص ۱۵۱) قال:

وذکروا انه لما تمت البیعة لمعاویة، وانصرف راجعا إلی الشام أتاه

(۱) هو عبید الله لا عبد الله ولا قیس کما ذکرنا آنفا ونبهنا علی بواعث الخطأ فی ذکر کل منهما.

(۲) شرح النهج (ج ۴ ص ۷)، وابن کثیر (ج ۸ ص ۴۲).

(۱۱۷)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، يوم القيامة (۱)، مدينة الكوفة (۱)، إبن الأثير (۱)، قيس بن عبادة (۱)، سعد بن عبادة (۱)، الشام (۲)، القتل (۲)، الموت (۲)

صفحه ۱۰۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۱۸

- يعنى أتى الحسن - سليمان بن صرد، وكان غائبا عن الكوفة، وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال الحسن: وعليك السلام، اجلس لله أبوك. قال: فجلس سليمان وقال: أما بعد فان تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاوية، ومعك مائة الف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز."!!

أقول: وروى كل من المرتضى فى " تنزيه الأنبياء، " وابن شهرآشوب فى " مناقبه " والمجلسى فى " البحار " النص الكامل لما دار بين سليمان بن صرد ورفاقه، وبين الحسن عليه السلام. ولم يرو أحد منهم عن سليمان أو أصحابه فيما عرضوا له من عدد الجيش، أكثر من أربعين الفا.

فابن قتيبة ينفرد برواية المائة الف عن سليمان، كما ينفرد بالتعبير عن الصلح بلفظ " البيعة!."

۸ - التصريح الذى فاه به زياد ابن أبيه، يوم كان لا يزال عاملا للحسن بن على على فارس، وذلك فيما أجاب به على تهديد معاوية إياه، قال:

"ان ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، وبقية الأحزاب، كتب يتوعدنى ويتهددنى، وبينى وبينه، ابنا رسول الله فى تسعين الفا (وعلى رواية فى سبعين الفا) واضعى قبائع سيوفهم تحت أذقانهم، لا يلتفت أحدهم حتى يموت. أما والله لئن وصل إلى ليجدنى أحمز ضرابا بالسيف (۱.")

المناقشة:

وهكذا توفرت هذه النصوص بمختلف صيغها، على أرقام فرضتها فى

(۱) اليعقوبى (ج ۲ ص ۱۹۴)، وابن الأثير (ج ۳ ص ۱۶۶). ورواه الأول بتسعين الفا، والثانى بسبعين الفا.

(۱۱۸)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۲)، دولة العراق (۲)، سليمان بن صرد الخزاعى (۲)، مدينة الكوفة (۱)، العلامة المجلسى (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، مدينة البصرة (۱)، ابن شهرآشوب (۱)، الموت (۱)، القتل (۱)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۱۰۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۱۹

موضوع عدد الجيش، وتدرج العدد الكبير فيها من أربعين الفا إلى ثمانين الفا فمائة الف.

والواقع أن المراتب الثلاث بجملتها، معرضة للشك وخاضعة للتمحيص، وحتى أدناها. واليك البيان:

اما أولا: فالعدد الاعلى (وهو مائة الف أو أكثر، أو تسعون الفا) فيما يشير اليه زياد ابن أبيه (على رواية اليعقوبى)، أو فيما ينسب إلى سليمان بن صرد (برواية ينفرد بها الدينورى خلافا لمؤرخين كثيرين) مشكوك فيه من جهات:

أهمها أن كلا من هذين الزعيمين – سليمان وزياد – كانا غائبين عن بيعة الحسن وجهاد الحسن وكوفة الحسن، طيلة خلافته فى الكوفة وكانا قد غادرا مواطنهما فى العراق منذ سنتين (۱). وأى قيمة لتصريح غائب لم يشهد الوضع السائد فى الكوفة، بما كان يجتاح هذه الحاضرة من تحزب قوى وتثاقل لئيم فيما واجهت به امامها وصاحب بيعتها.

وان زيادا وسليمان إذ يفرضان هذه الاعداد من الجيش فإنما يقيسان حاضر الكوفة على ماضيها، ويظنان أنها جندت مع الحسن ما كانت تجنده مع أبيه أمير المؤمنين سنة ۳۷ و ۳۸ يوم كان كل منهما لا يزال فى الكوفة يساهم بنصيبه من تلك الصفوف. هذا أولا.

واما ثانيا، فقد كان من موقف الرجلين كليهما فى اللحظة العاطفية التى إندفعا بها إلى هذا التصريح، ما يبرر لهما الجنوح إلى أسلوب المبالغات، وكانت المبالغة فى عدد الجيش تهويلا قريب التناول من جموح العاطفة الناقمة فى سليمان، وهو ينكر على

(۱) صرح بغياب سليمان بن صرد عن الكوفة كل من ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة، والمرتضى فى تنزيه الأنبياء ونص فيه على غيبته سنتين. واما زياد فكان والى فارس من سنة ۳۹ بعثه إليها عبد الله بن عباس وهو إذ ذاك والى البصرة. وكان زياد قبل سنة ۳۹ فى البصرة كما صرح به الطبرى فى حوادث ۳۹.

(۱۱۹)

مفاتيح البحث: دولة العراق (۱)، سليمان بن صرد الخزاعى (۲)، مدينة الكوفة (۶)، الشهادة (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، مدينة البصرة (۲)، البعث، الإنبعاث (۱)

صفحه ۱۰۷

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۱۲۰

الامام الحسن عليه السلام الرضا بالصلح، وقريب التناول – كذلك – من سياق التهديد والوعيد فى زياد وهو يرد فى خطابه على تهديد معاوية.

وبعد هذا كله، فليس فى هذين التصريحين ما يصح الركون اليه من احصاء أو تعيين أعداد.

وعلمنا ان سليمان هذا، كان صديق المسيب بن نجبة وصاحبه الذى تربطه به وشائج أخرى هى أبعد أثرا من الصداقات الشخصية. وقد مر عليك فى النص [رقم ۴] قول المسيب للحسن فى معرض العتاب على الصلح ": ومعك أربعون الفا. " ومن المقطوع عليه أن مثل هذين الصديقين لا يختلفان فى قضايا أهل البيت (ع) اختلافهما فى هذا التقدير.

أذا، فما من سبب لشذوذ كلمة ابن صرد، الا كون راويها الدينورى الذى انفرد فى قضية الحسن بعدة روايات لم يهضمها التمحيص الصحيح!.

وشاءت المقادير أن لا يفارق الزعيمان الصديقان الدنيا، حتى يأخذا جوابهما – عمليا – عن عتابهما الطائش الذى قابلا به امامهما أبا محمد عليه السلام، فيما أنكرا عليه من الصلح.

فبايعهما على الاخذ بثأر الحسين عليه السلام سنة ۶۵ هجرى ثمانية عشر الفا من أهل الكوفة، ثم لم يكن معهما حين جد الجد فى ساحة " عين الوردة " غير ثلاثة آلاف ومائة. ومنيا من خذلان الناس بما ذكرهما بالصميم من قضايا أهل البيت عليهم السلام.

ثم استشهد سليمان والمسيب وهما زعيما حركة التوابين فى عين الوردة، واستشهد معهما – يوم ذاك – أكثر من كان قد انضوى إليها.

واما ثانيا: فالعدد ثمانون الفا أو سبعون الفا، وهو ما تضمنه كلام الحسن فى جواب الرجل الذى قال له ": لقد كنت على النصف فما فعلت."؟

وكلام الحسن – فى حقيقته – لا يدل على أكثر من عشرين الفا على

(۱۲۰)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، الشهادة (١)

صفحه ۱۰۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢١

أكبر تقدير، وذلك لان الحسن حين يذكر الذين " تشخب أوداجهم يوم القيامة " ثم يتردد فى تعيين عددهم بين السبعين والثمانين الفا، لا يعنى جنوده خاصة، وانما يشير بذلك إلى الجيشين المتحاربين جميعا. وعلمنا ان عدد أهل الشام فى زحفهم على الحسن، كان ستين الفا، فيكون الباقى عدد جيشه الخاص.

وكان تردده فى تعيين العدد صريحا بما أفدناه، لأنه لو عنى جيشه دون غيره، لذكره برقمه الذى لا تردد فيه، وهو أعلم الناس بعدده.

واما ثالثا: فالعدد أربعون الفا، وهو الذى سبق إلى ذكره غير واحد من المؤرخين، وذكره المسيب بن نجية، فيما رويناه عنه فى النص الرابع من النصوص الثمانية. ولا كلام لنا على هذا العدد الا من وجهين.

(أحدهما) أنه لا يتفق وكلمة الحسن نفسه التى أشار بها إلى عدد الجيش، وقد عرفت أن كلمته لم تعن أكثر من عشرين الفا على أكبر تقدير، ولا يتفق وكلمته الأخرى التى وصف بها موقف الناس منه [بالنكول عن القتال (١)]. ومن كان معه أربعون الفا لم ينكل الناس معه عن القتال، فالعدد إذا لا يزال معرضا للشك.

(وثانيهما) أنه عدد أملاه الظن على القائلين به، فرأوا ان أمير المؤمنين (ع) كان قد جهز لحملته الأخيرة على الشام أربعين الفا، ثم اخترمت حياته الكريمة ولما يزحف بهذا الجيش، فظنوا - اجتهادا - أن جنود الأب انضافت إلى الابن، وفاتهم أن يقدروا حيال هذا الظن قيمة التخاذل الذى جوبه به الخليفة الجديد فى الكوفة.

وبعد، فأى قيمة للاحصاء مبتنيا على هذه الأخطاء.

وكانت أغرب روايات الموضوع، رواية الزهرى التى تشير إلى وجود

(١) وذلك فيما أجاب به بشير الهمدانى وهو أحد وجوه شيعته فى الكوفة، البحار (ج ١٠ ص ١١٣).

(١٢١)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، يوم القيامة (١)، مدينة الكوفة (٢)، يوم عرفة (١)، الشام (٢)، الكرم، الكرامة (١)، الظنّ (٢)، القتل (٢)

صفحه ۱۰۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٢٢

أربعين الفا من جيش الحسن، مع قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، بعد أن رجعت اليه قيادة المقدمة فى " مسكن " بفرار عبيد الله ومن معه. ومعنى ذلك ان مقدمة الحسن وحدها كانت قبل حوادث الفرار ثمانية وأربعين الف مقاتل!!

وهذا ما لا يصح فى التاريخ.

فلم تكن المقدمة الا اثنى عشر الفا، منذ كان عليها عبيد الله بن عباس كما هو صريح الفقرة التى تخص العدد فيما عهد به الحسن إلى قائده، حين سرحه على رأس هذه المقدمة، وصريح نصوص كثيرة للمؤرخين لا يتخللها شك.

وروايات الزهرى فى قضايا أهل البيت أضعف الروايات، وأشدها إرباكا لموضوعاتها. وسمه صاحب " دراسات فى الاسلام (" ص ١٦) بأنه كان " عاملا مأجورا للأمويين " وكفى.

على اننا إذا حاولنا التصرف في رواية الزهري هذه وأردنا علاج إرباكها المقصود، فأرجعنا الضمير في قوله " وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشام " إلى جيش معاوية دون جيش قيس، يكون المعدود حينئذ جنود معاوية التي نزل بها على قيس، وليكن المقصود منهم " أهل العطاء خاصة " وليكن المقصود من " أهل الشام " المتطوعين غير أهل العطاء، ليتم بذلك التوفيق بين روايته هذه، والروايات الأخرى التي تعد مقدمة الحسن، والتي تعد جنود معاوية.

واما رابعا: فالعسكر العظيم، وهو تصريح ابن أبي الحديد فيما وصف به مسير الحسن من النخيلة صوب دير عبد الرحمن في طريقه إلى معسكراته. والكلمة كما ترى، مجملة لا تأبى الانطباق على العدد الذي ذكرناه آنفا، فان ستة عشر الفا " عسكر عظيم، " وان أبيت فعشرين الفا.

واما خامسا: فرواية البحار، وهي أولى النصوص التي أوردناها في سبيل استيعاب

(۱۲۲)

مفاتيح البحث: إبن أبي الحديد المعتزلي (۱)، سعد بن عبادة (۱)، الشام (۲)، القتل (۱)

صفحه ۱۱۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۲۳

ما روي في الموضوع، وان لهذه الرواية من التناسق في حوادثها المتكررة ما يفرض الشك بها فرضا.

وهي تغفل عند عرضها الحوادث المتشابهة تسمية كل من القائدين - الكندي والمرادي - اللذين تفرض أنهما سبقا عبيد الله بن عباس إلى لقاء معاوية وسبقاه إلى الخيانة أيضا. ولا يعهد في تاريخ قضية من هذا الوزن، اغفال تسمية قائدين في حادثتين من أبشع حوادث الانسان في التاريخ.

ولعل الأغرب من ذلك، ان رواية البحار هذه تشير إلى اصرار الامام على اتهام القائدين قبل بعثهما، ثم تصر على ان الامام بعثهما - مع ذلك - إلى لقاء معاوية عالما بما سيصيران اليه من غدر!!.

وبعض هذا يكفينا عن الاستمرار في نقاش هذه الرواية التي يجب أن نتركها لتعلن هي عن نفسها.

* * * أقول:

ولم نحصل - بعد هذا كله - على محصل في الموضوع الذي أردناه تحت عنوان " عدد الجيش " ولتكن هذه النصوص - على كثرتها - أحد أمثلتنا التي نقدمها للقارئ عما نكبت به قضية الحسن في التاريخ، من اختلاف كثير واختلاق صريح، ولا بدع في تقرير هذه الحقيقة وتكرارها وتعظيم خطرها وانكارها والتنبيه إلى تبعاتها. فهذه ثمانية نصوص، ليس فيها ما يصبر على النقاش، ولا ما يصح الاعتماد عليه كسند تاريخي.

ولم يبق لدينا الا عدد جيش المقدمة، وهو اثنا عشر الفا، وعدد المتطوعين بعد ذلك في الكوفة، وهو أربعة آلاف، ثم الفصائل التي تواردت على الحسن في دير عبد الرحمن حين أقام بإزائه ثلاثا - كما أشير اليه آنفا - فهذه قرابة عشرين الفا، هي جيش الحسن عند زحفه إلى معسكريه في مسكن والمدائن.

اما مقاتلة المدائن نفسها، فقد عرفنا انها لم تتخلف - فيما سبق - عن

(۱۲۳)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، الصبر (۱)

صفحه ۱۱۱

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۱۲۴
میادین علی علیه السلام، ومن البعید جدا ان یعسکر ابنه الحسن بین ظهرانیهم ثم لا یلتحق به القادرون منهم علی حمل السلاح.
وهذا ما یؤکد الظن ببلوغ عدد الجیش فی کلا المعسکرین العشرین الفا أو یزید قلیلا.
وهو " العسکر العظیم " الذی عناه ابن أبی الحدید، وهو - أیضا - العدد الذی یلتقی بتصریح الحسن علیه السلام - الانف الذکر - ولا أحسن من تصریح الحسن دلیلا فیما یخص قضایاه.
ثم لا نعلم ان الحسن علیه السلام، تلقی بعد وجوده فی المدائن أی نجدة من أی جهة.
عناصر الجیش
(۱۲۴)
مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۲)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، الظنّ (۱)

صفحه ۱۱۲

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۱۲۶
قال المفید فی الارشاد (۱۶۹ "): وبعث الحسن حجر بن عدی فأمر العمال - یعنی امراء الأطراف - بالمسیر، واستنفر الناس للجهاد، فتثاقلوا عنه، ثم خفوا، وخف معه أخلاط من الناس، بعضهم شیعة له ولأبیه، وبعضهم محکمة یؤثرون قتال معاویة بکل حیلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع بالغنائم، وبعضهم شکاک، وبعضهم أصحاب عصبیة اتبعوا رؤساء قبائلهم لا یرجعون إلی دین.. (۱.")
أقول: علمنا مما سبق قریبا ان جیش الحسن تألف من زهاء عشرین الفا، أو یزید قلیلا، ولکنا لم نعلم بالتفصیل الطریقة التی اتخذت لتألیف هذا الجیش. والمعتقد انها کانت الطریقة البدائیة التی لم تدخلها التحسینات المکتسبة بعد ذلک. وهی - إذ ذاک - الطریقة المتبعة فی التجمعات الاسلامیة مع القرون الأولی فی الاسلام، وهی الطریقة التی لا ـ تشترط لقبول الجندی أو لقبول المجاهد أی قابلیات شخصیة، ولا سنا خاصة، ولا تنزع فی مناهج تجنیدها إلی الاجبار بمعناه المعروف الیوم. وللمسلم القادر علی حمل السلاح وازعه الدینی حین یسمع داعی الله بالجهاد فاما ان یبعث فیه هذا الوازع، الشعور بالواجب فیتطوع بدمه فی سبیل الله. واما ان یکون المغلوب علی أمره بدوافع الدنیا، فیخمد فی نفسه هذا الشعور، ویحرم نصیبه من الاجر ومن الغنیمة إذا قدر لهذه الحرب الظفر والغنائم.
اما النظم الحدیثة المتبعة الیوم فی الاجبار علی خدمة العلم، ودعوة (موالید) السنوات المعینة، وفحص القابلیات المحدودة، فلم تکن یومئذ
(۱) وروی هذا النص الأربلی فی کشف الغمة (ص ۱۶۱) والبحار (ج ۱۰ ص ۱۱۰).
(۱۲۶)
مفاتیح البحث: کتاب الإرشاد للشیخ المفید (۱)، حجر بن عدی الکندی (۱)، سبیل الله (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، کتاب کشف الغمة للإربلی (۱)

صفحه ۱۱۳

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۱۲۷
ولا هی مما یتفق والتشریع الاسلامی بسعته وسماحته.

وللاسلام اعتداده بصحة حقائقه التى تكفل له بعث الناس إلى الطاعة والانقياد. وليس فى عناصر هذا الدين إكراه أحد على الطاعة بالقوة. ولكنه دلهم على السبيلين وأعان على خيرهما بالهدى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " وكان هذا هو شعار الاسلام فى جميع ما أمر به أو نهى عنه.

وعلى ذلك جرى رؤساء المسلمين فيما دعوا الناس اليه، وفيما حذروا الناس منه.

وكان لهم عند اعتزامهم الحرب، دعاواتهم الرائعة، فى التحريض على الجهاد، وأساليبهم المؤثرة التى لا تتأخر - غالبا - عن إقناع أكبر عدد من المطلوبين إلى حمل السلاح.

فمن ذلك، أنهم كانوا يزيدون فى مخصصات أهل العطاء من مقاتلتهم، ويأمرون عمالهم على البلاد فيستنفرون الناس للجهاد، ويبثون ألسنتهم وخطباءهم وذوى التأثير من رجالهم لبعث الناس إلى التطوع فى سبيل الله عز وجل.

وفعل الحسن عليه السلام كل ذلك منذ ولى الخلافة فى الكوفة، ومنذ أعلن النفير للحرب. وكان من أولياته - كما أشير اليه آنفا -: انه زاد المقاتلة مائة مائة، وبعث حجر بن عدى إلى عماله يندبهم إلى الجهاد، ونهض معه مناطقته الأفذاذ من خطباء الناس أمثال عدى بن حاتم، ومعقل بن قيس الرياحى، وزياد بن صعصعة التيمى، وقيس بن سعد الأنصارى. فأنبوا الناس (۱)، ولاموهم على تثاقلهم، وحرضوهم على إجابة داعى الله، ثم تسابقوا بأنفسهم إلى صفوفهم فى المعسكر العام، يغلبون الناس عليه.

ونشرت ألوية الجهاد فى " أسباع الكوفة " وفى مختلف مرافقها العامة، تدعو الناس إلى الله عز وجل، وتدين بالطاعة لآل محمد عليهم السلام.

(۱) ابن أبى الحديد (ج ۴ ص ۱۴).

(۱۲۷)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، مدينة الكوفة (۲)، حجر بن عدى الكندى (۱)، عدى بن حاتم (۱)، سبيل الله (۱)، معقل بن قيس (۱)، قيس بن سعد (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، إبن أبى الحديد المعتزلى (۱)

صفحه ۱۱۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۲۸

وانبعث فى الحاضرة المتخاذلة وعى جديد يشبه ان يكون تحسسا بالواجب، أو استعدادا له.

وكان التثاقل عن الحرب حبا بالعافية أو انصهارا بدعاوات الشام، قد اخذ حظه من أهل الكوفة وممن حولها.

اما هذا الوعى الجديد الذى يدين لهؤلاء الخطباء المفوهين، فلم يلبث أن بعث فى كثير من المتثاقلين رغبة، فأثارت الرغبة نشاطا، فانبثق من النشاط حماس.

ونجحت دعاوة الشيعة إلى حد ما، فى اكتساب العدد الأكبر من المتحمسين للحرب، رغم المواقف اللئيمة التى وقفها يومئذ المعارضون فى الكوفة " ونشط الناس للخروج إلى معسكرهم (۱.")

ونجحت - إلى حد بعيد - فى اكتساب الرأى العام، فى الكوفة وأسباعها وقبائلها، وفى الضواحى القريبة التى لا تنقطع بمواصلاتها اليومية، عن أسواق الكوفة، وعن مراكز القضاء والإدارة فيها.

وكان من براعة خطباء الحسن، انهم أحسنوا استغلال الذهنية المؤاتية فى الناس، فبذلوا قصارى امكانياتهم فى الدعوة إلى أهل البيت تحت ستار الدعوة للجهاد.

وبحت حناجر الأولياء، فيما يعرضون من مناقب آل محمد ومثالب أعدائهم. ومروا على مختلف نوادى الكوفة وأحيائها وأماكنها

العامة، ينبهون الناس إلى المركز الممتاز الذى ينفرد به سيدا شباب أهل الجنة اللذان لا يعدل بهما أحد من المسلمين، والى الصلابة الدينية المركزة الموروثة فى أهل بيت الوحى، والمزايا التى يستأثر بها هذا الفخذ من هاشم فى العلم والطهارة والزهد بالدنيا والتضحية فى الله والعمل لاصلاح الأمة ووجوب المودة على المؤمنين.

(۱) نص عبارة ابن أبى الحديد فى الموضوع (ج ۴ ص ۱۴).

(۱۲۸)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۵)، الشام (۱)، الحرب (۱)، الزهد (۱)، إبن أبى الحديد المعتزلى (۱)

صفحه ۱۱۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۲۹

ثم ذكروا البيعة وما الله سائلهم عنه من طاعة اولى الامر ووجوب الوفاء بالميثاق.

وعرضوا فى حماستهم إلى الأنساب، فإذا هى " مقامة " ظريفة جدا وصادقة جدا ومؤثرة جدا، ملكت الألباب حتى أذهلت وأثارت الاعجاب حتى أدهشت.

ذكروا الحسن ومعاوية فقالوا: أين ابن على من ابن صخر، وابن فاطمة من ابن هند، وأين من جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممن جده حرب، ومن جدته خديجة ممن جدته فتيلة؟؟.. ولعنوا أخمل الرجلين ذكرا، وألامهما حسبا، وشرهما قديما وحديثا، وأقدمهما كفرا ونفاقا، فعج الناس قائلين آمين آمين. ثم جاءت بعدهم الأجيال، فما استعرض هذه الموازنة الظريفة مسلم من المسلمين، الا سجل على حسابه (آمين) جديدة.

وعملت هذه الأساليب الحكيمة، والخطب الحماسية البليغة عملها وانتشرت - كما قلنا - القناعة بخذلان الشام والثقة بظفر الكوفة.

وفى الكوفة، وهى الحاضرة الجديدة الجبارة التى طاولت أهم الحواضر الاسلامية الكبرى - يومئذ - أجناس من الجاليات العربية وغير العربية ومن حمراء الناس وصفرائها وممن لم يرضهم الاسلام ولم يجدهم اعتناقه توجيها جديدا، ولا أدبا اسلاميا ظاهرا، الا أن يكونوا قد أنسوا منه وسيلته إلى منافعهم العاجلة. فكان هؤلاء لا يفهمون من الجهاد إذا نودى بالجهاد الا دعوته للمنافع ووسيلته إلى الغنائم. ورأوا من انتشار القناعة بنجاح هذه الحرب، أن الالتحاق بجيش الحسن (عليه السلام) هو الذريعة المضمونة إلى استعجال المنافع والرجوع بالغنائم، فلم لا يكونون من السابقين الأولين إلى هذا الجهاد؟.

ولعلك تتفق معى الآن، على اكتشاف الحوافز التى اندفعت تحت تأثيرها " الأخلاط المختلفة " من رعاع الناس إلى الالتحاق بجيش الحسن، فإذا بأصحاب الفتن، وأصحاب الطمع بالغنائم، وأصحاب العصبيات التى لا

(۱۲۹)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة الكوفة (۲)، الشام (۱)، الحرب (۲)، القناعة (۲)، الغنيمة (۱)

صفحه ۱۱۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۳۰

ترجع إلى دين، والشكاك ومن إليهم - جنود متطوعون فى هذا الجيش، أبعد ما يكونون فى طماحهم وفى طباعهم عن أهدافه وغاياته.

ولم يكن ثمة فى نظم التجنيد المتبعة فى التجمعات الاسلامية يومئذ - كما بينا آنفا - ما يحول دون قبول هؤلاء كجنود أو

كمجاهدين، لان الكفاءة الاسلامية، والقدرة على حمل السلاح، هى كل شئ فى حدود قابليات المجاهد المسلم.

* * * واما الخوارج، فيقول المفيد رحمه الله فى تعليل التحاقهم بجيش الحسن ": انهم كانوا يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة."

ولكنا لا نؤمن بهذا التعليل على اجماله، ولا ننكره على بعض وجوهه وقد يكون ما يقوله المفيد بعض هدفهم، وقد يكون هدفهم شيئا آخر غير هذا.

وليس فيما نعهده من علاقات " الخوارج " مع الحسن وأبى الحسن عليهما السلام ما يشجعنا على الظن الحسن بهم، وان لنا من دراسة أحداث النهروان ما يزيدنا فيهم ريبا على ريب. وإذا صح أنهم انما أرادوا قتال معاوية حين تبعوا الحسن، وأنهم كانوا لا يقصدون بالحسن سوءا، فأين كانوا عن معاوية قبل ذلك، ولم لم يتألبوا عليه كما كانوا يتألبون على على عليه السلام فى انتفاضاتهم التى حفظها التأريخ؟..

وكان للخوارج من ذحولهم القريبة العهد، ومن أسلوب دعاواتهم النكراء ما يحفزنا حفزا إلى سوء الظن بما يهدفون اليه فى خروجهم مع الحسن عليه السلام.

وعلمنا من أحوالهم قبل خروجهم لهذه الحرب، أنهم كانوا يداهنون الناس ويجاملون الحسن، بعد وقيعتهم الكافرة بالامام الراحل عليه السلام، يتقون بذلك غوائل الكراهة العامة التى غمرتهم فى أعقاب الفاجعة الكبرى.

أفلا يقرب إلى الذهن، أن يكون من جملة أساليب دهائهم الذى اضطروا اليه تحت ضغط الظروف الموقتة، ان يتظاهروا بالتطوع فى الجيش

(۱۳۰)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۲)، الخوارج (۳)، الظنّ (۲)، الهدف (۲)، القتل (۲)، الحرب (۱)

صفحه ۱۱۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۳۱

كما لو كانوا جنودا مناصحين، وان يبطنوا من وراء هذا التظاهر مقاصدهم فإذا هم جنود مبادئهم المعروفة بل مبادئهم المبطنة التى لم تعرف لحد الآن.

وكانت فكرة " الخروج " بذرة خبيثة انبثقت عن قضية التحكيم بصفين، ومنها سموا " المحكمة، " ورسخت جذور هذه الفكرة كعقيدة مكينة فى نفوس هؤلاء، واستطالت بمرور الزمن، فبسقت عليها أشجار أثمرت للمسلمين ألوانا من الخطوب والنكبات.

وكان الخوارج على ظاهرتهم المخشوشنة فى الدين، قوما يحسنون المكر كثيرا.

فلم لا يغتنمون ظروف الحرب القائمة بين عدوين كبيرين من أعدائهم؟. ولم لا يكونون فى غمار هذا الجيش الزاحف من الكوفة يقتنصون الفرص المؤاتية، بين تجهيزات المجاهدين، والحركات السوقية، والمعارك المنتظرة التى ستكون فى كثير من أيامها سجالا - والفرص فى الحرب السجال أقرب تناولا، وأيسر حصولا، وأفظع مفعولا، إذا حذق المتآمرون استخدامها -؟.

ولا أريد أن انكر - بهذا - عداوتهم لمعاوية وايثارهم قتاله بكل حيلة كما أفاده شيخنا المفيد (رحمه الله). ولكنى أرى أنهم كانوا يرمون من خطتهم إلى غرضين ... وما من غرض للخوارج فى ثوراتهم ومؤامراتهم الا اقتناص الرؤوس العالية فى الاسلام! سواء فى العراق أو فى مصر أو فى الشام. وعشعشت بين ظهرانى هؤلاء القوم كوامن الغيلة فغلبت على سائر مناهجهم الأخرى، فمشوا مع الحسن ولكن إلى الفتنة، وحبوا فى طريق الجهاد ولكن إلى الفساد. وكانت الطعنة المركزة الجريئة التى " أشوت " الحسن عليه السلام فى مظلم ساباط (۱، ") هى الحلقة الجهنمية الثانية من سلسلة جرائم هذه العصابة الخطرة فى البيت النبوى العظيم.

(۱) الساباط لغة سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ، وساباط قرية فى " المدائن " عندها قنطرة على " نهر الملك " ولعلها انما سميت بهذا الاسم لوجود سقيفة نادرة من " السوابيط " فيها، والمظنون ان هذه السقيفة هى " مظلم ساباط."

(۱۳۱)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، دولة العراق (۱)، مدينة الكوفة (۱)، الشام (۱)، الخوارج (۲)، القتل (۱)، الحرب (۲)، السقيفة (۳)

صفحه ۱۱۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۳۲

وكلتا الجريمتين وليدة المؤامرات السرية النشيطة التى حذقها الخوارج الطغام، فى مختلف المناسبات.

وشاء الله بلطفه أن لا تبلغ طعنة ابن سنان الأسدى (۱) من الحسن، ما بلغته بالأمس القريب ضربة صاحبه ابن ملجم المرادى من أمير المؤمنين أبى الحسن عليه السلام.

ومثلت هذه المؤامرة الدنيئة أفظع قطيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله من نوعها، بما حاولته من القضاء على الامام الثانى - سبطه الأكبر -. وازدلفت إلى معاوية بالخدمة الفريدة التى لا تفضلها خدمة أخرى لأهدافه، من القوم الذين كان يقال عنهم " انهم انما خرجوا مع الحسن لأنهم يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة!!"

وهكذا ثبت للامام الحسن بصورة لا تقبل الشك، نيات المحكمة معه رغم مجاملاتهم الكاذبة له. وكان هو منذ البداية شديد الحذر منهم ولكنه كان يعاملهم - دائما - على ضغن مكتوم.

وليس أنكى من عدو فى ثوب صديق. ذلك هو العدو الذى ينافقك ظاهرا، ويحاربك سرا. وأنكى أقسام هذا العدو عدو يحاربك بذحوله وعصبيته كما حاربت الخوارج الحسن بذحولها وعصبيتها.

* * وهكذا قدر لجيش الحسن عليه السلام، أن يتخم بالكثرة من هؤلاء وأولئك جميعا، وأن يفقد بهذا التلون المنتشر فى صفوفه، روحية الجيش المؤمل لربح الوقائع. وأن يبتلى بالصريح والدخيل من كيد العدوين الداخل والخارج، وفى المكانين العراق والشام معا.

(۱) ووهم حسن مراد فى كتابه (الدولة الأموية فى الشام والأندلس) (الباب الرابع: ص ۵۰) حيث نسب طعن الحسن عليه السلام بالخنجر إلى اتباع الأمويين دون الخوارج. وستقرأ فى فصل " سر الموقف " نصوص الحادثة كما يرويها مؤرخوها القدامى وكما يجب أن يفهمها المحدثون.

(۱۳۲)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۳)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، دولة العراق (۱)، ابن ملجم المرادى لعنه الله (۱)، الشام (۲)، الخوارج (۳)، القتل (۱)، الدولة الأموية (۲)

صفحه ۱۱۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۳۳

وأحر بجيش يتألف من أمثال هذه العناصر، أن يكون مهددا لدى كل بادرة بالانقسام على نفسه، والانتقاض على رؤسائه.

ولم يكن الجهاد المقدس - يوما من الأيام - وسيلة لطمع مادى، ولا مجالا للمؤامرات الشائكة، ولا مظهرا للعصبيات الجاهلية الهزيلة، ولا مسرحا لتجارب الشكاكين.

و " ازدادت بصيرة الحسن بخذلان القوم له (۱، ") وتراءى له من خلال ظروفه شبح الخيبة الذى ينتظر هذه الحرب فى نهاية مطافها،

إذ كانت العدة المدخرة لها، هى هذا الجيش الذى لا يرجى استصلاحه بحال.

وأثر عنه كلمات كثيرة فى التعبير عن ضعف ثقته بجيشه.

وكان من أبلغ ما أفضى به فى هذا الصدد - مما يناسب موضوع هذا الفصل - خطابه الذى خاطب به جيشه فى المدائن.

وقال فيه:

"وكنتم فى مسيركم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم. وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم. وأنتم بين قتيلين، قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون (٢) بثاره. فأما الباقى فخاذل، واما الباكى فثائر."..

وهذه هى خطبته الوحيدة التى تعرض إلى تقسيم عناصر الجيش من ناحية نزعاته وأهوائه فى الحرب.

فيشير بالباكى الثائر إلى الكثرة من أصحابه وخاصته، وبالطالب للثأر إلى الخوارج الموجودين فى معسكره [وما كان ثأرهم الذى يعنيه الا عنده] ويشير بالخاذل إلى العناصر الأخرى من أصحاب الفتن واتباع المطامع وعبدة الأهواء.

(١) نص عبارة المفيد فى الارشاد (ص ١٧٠).

(٢) وبرواية ابن طاووس فى كتاب " الملاحم والفتن (" ص ١٤٢ طبع النجف سنة ١٣٦٨ "): وقتيل بالنهروان تطلبون منا ثاره."

(١٣٣)

مفاتيح البحث: الخوارج (١)، الجهل (١)، الحرب (٢)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، مدينة النجف الأشرف (١)

صفحه ۱۲۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ١٣٤

واستطرد التاريخ بين صفحاته أسطرا قاتمة دامية. بما انقاد اليه الاغرار المفتونون من هذه " العناصر، " وبما صبغوا به ميدان الجهاد المقدس - بعد ذلك - من أساليب الغدر، والخلاف، ونقض العهود، والمؤامرات، ونسيان الدين، وخفر الذمام ... حتى قد عادت بقية آثار النبوة - متمثلة بالطيبين من آل محمد وبنيه عليهم السلام - نهبا صيح فى حجراتها. ولعلنا سنأتى على استطراد صورة من هذه المآسى فى محلها المناسب لذكرها من الكتاب.

تتميم:

وبقى علينا ان نستمع هنا إلى ما يدور فى خلد كثير من الناس حين يدرسون هذا العرض المؤسف لعناصر جيش الحسن عليه السلام، فيسألون: لماذا فسح الحسن مجاله لهذه العناصر؟ ولماذا تأخر بعد ذلك عن تصفية جيشه بسبيل من هذه السبل التى يفزع إليها رؤساء الجيوش فى تصفية جيوشهم بقطع العضو الفاسد، أو بإدانته، أو بإقصائه على الأقل؟.

ونحن من هذه النقطة بإزاء قلب المشكلة وصميمها على الأكثر.

ونقول فى الجواب على هذا السؤال:

أولا: ان الاسلام كما الغى الطبقات فيما شرعه من شؤون الاجتماع، ألغاها فى الجهاد أيضا، فكان على أولياء الأمور أن لا يفرقوا فى قبولهم الجنود بين سائر طبقات المسلمين، ما دام المتطوع للجندية مدعيا للاسلام وقادرا على حمل السلاح. ولما لم يكن أحد من هؤلاء " الأخلاط " الذين التحقوا بالحسن، الا مدعيا للاسلام وقادرا على حمل السلاح، فلا مندوحة للامام - بالنظر إلى صميم التشريع الاسلامى - عن قبوله.

(١٣٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)

صفحه ۱۲۱

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۱۳۵

وثانیـا: ان النبی نفسه صـلی الله علیه وآله، وأمیر المؤمنین أیضـا، منیـا فی بعض وقائعهمـا بمثـل هـذا الجیش، ولا یؤثر عنهما انهما منعا قبول أمثـال هؤلاء الجنود فی صـفوفهما، ولا طردا أحـدا منهم بعـد قبوله، مع العلم بأن کلا منهما، جنی بعـد ذلک أضـرار وجود هـذه العناصر فی کل من میدانیهما.

فقـالت السـیر عن واقعـة حنین مـا لفظه بحرفه ": رأی بعض المسـلمین کثرة جیشـهم فأعجبتهم کثرتهم، وقالوا سوف لا نغلب من قلـة، ولکن جیش المسلمین کان خلیطا، وبینهم الکثیرون ممن جاء للغنیمة."..

وجاء فی حوادث أقفال المسلمین من غزوة بنی المصطلق ما یشعر بمثل ذلک.

وقالوا عن حروب علی علیه السـلام ": کان جند علی فی صفین خلیطا من أمم وقبائل شتی، وهو جند مشاکس معاکس لا یرضخ لامر ولا یعمل بنصیحة."..

وقال معاویـة – فیما یحکیه البیهقی فی " المحاسن والمساوئ ": " وکان – یعنی علیا علیه السـلام – فی أخبث جیش وأشـدهم خلافا، وکنت فی أطوع جند وأقلهم خلافا."

أقول: وما علی الحسن الا أن یسـیر بسنة جده وبسیرة أبیه، ومن الحیف أن یطالب بأکثر مما اتی به جده وأبوه، وکفی بهما أسوة حسنة وقدوة صالحة.

وکان التحرج فی الـدین والالتزام بحرفیـة الاسـلام یقیـدان الحسن فی کل حرکة وسـکون، ولکنهما لا یقیدان خصومه فیما یفعلون أو یترکون، ولولا ذلک لرأیت تاریخ هذه الحقبة من الزمن تکتب علی غیر ما تقرأه الیوم.

وثالثا: فان معالجة الوضع بما یرجع الیه رؤساء الجیوش فی تنقیة جیوشهم

(۱۳۵)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، معرکة حنین (۱)

صفحه ۱۲۲

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۱۳۶

بالقتل، أو بالاقصاء، أو بالإدانـة، کان فی مثل ظروف الحسن تعجلا للنکبة قبل أوانها – کما ألمحنا الیه فی غمار الفصل الرابع – وسـببا مباشرا لإثارة الشقاق واعلان الخلاف ورفع رایة العصیان فی نصف جیشه علی أقل تقدیر ومعنی ذلک القصد إلی اشعال نار الثورة فی صمیم الجیش. ومعنی هذا ان ینقلب الجهاد المقدس إلی حرب داخلیة شـعواء، هی أقصـی ما کان یتمناه معاویة فی موقفه من الحسـن وأصحابه، وهی أقصی ما یحذره الحسن فی موقفه من معاویة وأحابیله.

وشئ آخر:

هو أن الحسن علیه السـلام، لم یکن له من عهـده القصـیر الـذی احتوشـته فیه النکبات بشتی ألوانها، مجال للعمل علی استصـلاح هـذه الألوان من الناس، وجمعهم علی رأی واحد. بل ان ذلک لم یکن – فی وقته – من مقدور أحد الا الله عز وجل، ذلک لان الصلاح فی الاخلاق لیس مما یمکن تزریقه فی الزمن القلیل، وانما هو تهـذیب الـدین وصـقال الدهر الطویل، ولان التیارات المعاکسة التی طلعت علی ذلک الجیل بأنواع المغریات، حالت دون امکان الاصـلاح وجمع الأهواء، الا من طریق المطامع نفسها، وکان معنی ذلک معالجة الداء بالداء، وکان من دون هذه الأسالیب فی عرف الحسن حاجز من أمر الله.

عبيد الله بن عباس

(۱۳۶)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)

صفحه ۱۲۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۳۸

اما ذلك القائد الملتهب بالحماسة للحرب، والموتور من معاوية بابنيه المقتولين صبرا فى اليمن، فقد كان منذ انفصل بجيشه من دير عبد الرحمن، لا ينفك يتسقط أخبار الكوفة، وانه ليعهد فى الكوفة دعاوتها الشيعية السائرة على وتيرتها المحببة، والذاهبة صعدا فى نشاطها والتى كان ينتظر من تعبئتها النجدات التى يجب أن لا تنقطع عنه.

ونمى اليه، وقد انتهى إلى " مسكن " وهى النقطة التى التقى عندها الجيشان المتحاربان، أن الدعاوات النشيطة البارعة فى أسباع الكوفة لم تأمر شيئا جديدا، الا ان تكون بعض الفصائل من مقاتلة الأطراف أو من متطوعة المدائن نفسها، قد التحقت بمعسكرها هناك.

وبلغه أن المناورات العدوة التى كان يقودها بعض الزعماء الكوفيين هى التى أحبطت المساعى الكثيرة لرجالات الشيعة، وهى التى عرقلت النفير العام بنطاقه الواسع الذى كان ينتظر نتيجة لذلك النشاط المحسوس.

ولم يكن عجيبا، ان تغيظ هذه الانباء عبيد الله بن العباس فتملأ اهابه ثورة على الوضع وحنقا على الناس.

وكان عليه كقائد جيش ضعف أمله بالنجدات القريبة التى كان يعلق عليها أروع آماله، أن ينتفع من هذا الدرس الذى أملته عليه ظروف الكوفة، وأن يرجع إلى قواته هذه فيوازن بها قوات عدوه التى تنازله وجها لوجه، والتى علم أنها لا تقل عن ستين الفا من أجناد الشام المعروفين

(۱۳۸)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۴)، عبيد الله بن العباس (۱)، الشام (۱)، الوسعة (۱)

صفحه ۱۲۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۱۳۹

بالطاعة العمياء لأمرائهم وقوادهم.

ولم يكن التفاوت بالعدد مما يستفزه كثيرا، ولكنه كان شديد العناية بالمزايا المعنوية التى يتحلى بها جنود الفريقين. وكان القائد الحريص على روحية جيشه التى هى كل ما يدخره للقاء عدوه.

ولاح له فى سبيل موازنته، اشتراك " الأخلاط " من العناصر المختلفة فى جيشه. وانه ليستقبل حربا لن تجدى فيها غير الكثرة المخلصة من المحاربين الأشداء، فما شأن الجماعات التى لم تفهم الجهاد الا كوسيلة للغنائم.

وتشاءم عبيد الله بن عباس، منذ الساعة الأولى التى يمم بها معسكره فى " مسكن، " تشاؤما كان له أثره فى المراحل القريبة مما استقبله من خطوات.

وكان أنكى ما يخافه على مقدرات جيشه، أن تتسرب إلى صفوفه أخبار التعبئة الفاشلة فى الكوفة، أو أن تحبو اليه أحابيل معاوية بما تحمله من أكاذيب ومواعيد، وهاهم أولاء وقد جمعهم صعيد واحد ومشارع واحدة وأظلتهم سماء مسكن جميعا، وماذا يؤمنه من أن يكون مع جنوده أو من جنوده أنفسهم من هو بريد معاوية فى الافساد عليه وعلى الامام. وكانت أسلحة معاوية (الباردة) أروع أسلحته

فی هذا المیدان بل فی سائر میادینه.

وصدق ظن عبید الله.

فإذا بباکورة دسائس معاویـة تشق طریقها إلی معسـکر مسـکن، وفی هذا المعسـکر من أصـحاب الحسن مخلصون ومنافقون، وآخرون یؤثرون العافیـة ویتمنون لو صـدقت الشائعـة الجدیـدة، وکـانت الشائعـة الکاذبـة " أن الحسن یکاتب معاویـة علی الصـلح، فلم تقتلون أنفسکم (۱.")

(۱) شرح النهج (ج ۴: ص ۱۵).

(۱۳۹)

مفاتیح البحث: مدینة الکوفة (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، القتل (۱)، الظنّ (۱)

صفحه ۱۲۵

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۱۴۰

ولم یجـد ابن عباس أن یعلم هو وخاصـته کـذب الشائعـة، واصـطدامها بالواقع الـذی لا یقبل الشک، لان الحسن الـذی لا یزال یشـمر للحرب فی رسله إلی الأطراف، وفی رسائله إلی معاویة، وفی خطبه بالکوفة، لن یکتب فی صلح ولن ینزل عن رأی ارتآه.

ولکنها کانت أحبولة الشیطان الرائعة الصنع.

وارتفعت أصوات المخلصـین من الأنصار، تـدعو الناس إلی الهدوء، وتسـتمهلهم ریثما یصل برید المدائن، ولکنها کانت صـیحات فی واد، ونفخات فی رماد، واجتاح الموقف ارتباک مؤسف لا یناسب ساحة قتال.

وتخاذل عبید الله للخدعة الخبیثة التی أصابت المحز من موقفه الدقیق.

فخلا بنفسه، وانقبع تحت سـماء خیمته البعیـدة عن ضوضاء الناس. ورأی ان قیادته هـذه سـتطوح بمکانته العسـکریة إلی أبعد الحدود، فثار لسـمعته وحـدیث الناس عنه، ونـدم علی قبولها. وکان من دفعات الحـدة التی طبع علیها، أن لعن الظروف التی عاکسـته فی رحلته العسـکریة هـذه والظروف التی خلقت منه قائـدا علی هـذه الجبهة. ثم انطوی علی نفسه تحت کابوس من القلق وحب الذات لا یدری ماذا یصنع.

ورأی أخیرا [وکان المخرج الذی بلغته قصاری براعته] أن یتقدم باسـتقالته، نزولا علی حکم ملکاته الأنانیة التی کان یستکین لها راغبا عامدا. وما یدرینا، فربما لم یکن له من القابلیات الشخصـیة ما یمکنه من محاسـبة نفسه والتفکیر فی اصـلاح ما یمر به من أخطاء أو ما یفجؤه من نکبات.

وکـان علیه – وقـد صـمم علی الاسـتقالة – أن یترک مقر القیـادة إلی مصـیرها الـذی لا یعـدو رأی الامام، أو یتخلی عنها لخلیفته وهو (قیس بن سعد بن عبادة الأنصاری).

ولکنه فطن – ولمـا یغـادر فسـطاطه المـترفع الـذی کـان یقـع علی جـانب بعیـد من مضـارب جنوده، والـذی شـهد وحـده ثورة القـائد المتخاذل، وسمع

(۱۴۰)

مفاتیـح البحث: عبـد الله بن عبـاس (۱)، مدینـة الکوفة (۱)، صـلح (یوم) الحدیبیـة (۱)، سـعد بن عبـادة (۱)، الکـذب، التکذیب (۱)، الشهادة (۱)، القتل (۱)

صفحه ۱۲۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢١٨

كما احتملها ظرف أخيه الحسين، فيما كان قد اصطلح عليه من مضايقات هى فى الكثير من ملامحها، صورة طبق الأصل عن ظروف أخيه، وقد خرج منها بالشهادة دون الصلح، وكانت آية خلوده فى تاريخ الانسانية الثائرة على الظلم.

إذا، فلماذا لم يفعل الحسن أولا، ما فعله الحسين أخيرا؟.

الجبن - واستغفر الله - وما كان الحسين بأشجع من الحسن جنانا، ولا امضى منه سيفا، ولا أكثر منه تعرضا لمهاب الأهوال. وهما الشقيقان بكل مزاياهما العظيمة، خلقا، ودينا، وتضحية فى الدين، وشجاعة فى الميادين، وابنا أشجع العرب، فأين مكان الجبن منه يا ترى؟.

أم لطمع بالحياة، وحاشا الامام الروحى المعطر التاريخ، أن يؤثر الحياة، على ما ادخره الله له من الكرامة والملك العظيم، فى الجنان التى هو سيد شبابها الكريم، والطليعة من ملوكها المتوجين، وما حياة متنازل عن عرشه، حتى تكون مطمعا للنفوس العظيمة التى شبت مع الجهاد، وترعرعت على التضحيات؟.

أم لأنه رضى معاوية لرياسة الاسلام، فسالمه وسلم له، وليس مثل الحسن بالذى يرضى مثل معاوية، وهذه كلماته التى أثرت عنه فى شأن معاوية، وكلها صريحة فى نسبة البغى اليه، وفى وجوب قتاله، وفى عدم الشك فى أمره، وفى كفره أخيرا.

فيقول فيما كتبه اليه أيام البيعة فى الكوفة ": ودع البغى واحقن دماء المسلمين، فوالله مالك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به (١.")!..

ويقول وهو يجيب أحد أصحابه العاتبين عليه بالصلح ": والله لو وجدت أنصارا لقاتلت معاوية ليلى ونهارى (٢.")

(١) شرح النهج (ج ۴ ص ١٢).

(٢) احتجاج الطبرسى (١٥١).

(٢١٨)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، الكرم، الكرامة (٢)، الظلم (١)، الجبن (١)، الشهادة (١)، القتل (١)، الوجوب (١)، كتاب الإحتجاج للطبرسى (١)

صفحه ۱۲۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢١٩

ويقول فى خطابه التاريخى فى المدائن " انا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم."..

ويقول لأبى سعيد فيما نقلناه عنه آنفا ": علة مصالحتى لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبنى ضمرة وبنى أشجع ولأهل مكة، حين انصرف من الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه " كفار " بالتأويل.

إذا، فما سالم معاوية رضا به، ولا ترك القتال جبنا عن القتال، ولا تجافى عن الشهادة طمعا بالحياة، ولكنه صالح حين لم يبق فى ظرفه احتمال لغير الصلح، وبذلك ينفرد الحسن عن الحسين، إذ كان للحسين محرجان ميسران من ظرفه - الشهادة والصلح - ولن يتأخر أفضل الناس عن أفضل الوسيلتين، اما الحسن فقد أغلق فى وجهه طريق الشهادة، ولم يبق أمامه الا باب واحد لا مندوحة له ومن ولوجه.

وأقول ذلك وانا واثق بما أقول.

وقد يبدو مستغربا قولى [أغلق فى وجهه طريق الشهادة]، وهل شهادة المؤمن الذى نزل لله عن حقه فى حياته، الا أن يقتحم الميدان مستقتلا فى سبيل الله، تاركا ما فى الدنيا للدنيا، وبائعا لله نفسه تتناشه السيوف، وتنهل من دمه الأسنة والرماح، فإذا هو الشهيد الخالد.

وكيف يغلق مثل هـذا على مجاهـد له من ميدانه متسع للجهاد؟. وللحسن ميدانه الذى يواجه به العدو فى " مسـكن، " فلماذا لم يخف اليه؟. ولم لم نسـمع أنه وصـله أو بـارز العـدو فيه، أو اقتحمه إقتحامـة الموت، يوم ضـاقت به الـدنيا، فسـدت فى وجهه كل باب الا بابا واحدا؟. وانه لو فعل ذلك فبرز إلى ميدانه مستميتا، لاستمات بين يديه عامة شيعته المخلصين لأهدافه، فإنما كانوا ينتظرون منه كلمته الأخيرة لخوض غمرات الموت.

نعم، ومن هنا كان مهب الرياح التى اجتاحت قضـية الحسن بين قضايا أهل البيت عليهم السـلام، ومن هنا جاءت الشبهات التى نسجت هيكل المشكلة التاريخية التى لغا حولها اللاغون ما شاء لهم اللغو، فزادوا

(٢١٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، سبيل الله (١)، الشام (١)، الموت (٢)، الشهادة (۶)، القتل (٢)

صفحه ١٢٨

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٠

الواقع تعقيدا وابتعادا به عن فهم الناس.

ثم كان من طبيعـة هذا اللغو - أبعد ما يكون عن التغلغل فى الصـميم من تسلسل الحوادث - أن يرتجل الاحكام، وأن يتناول قبل كل شئ سياسة الحسن فينبزها بالضعف، ويتطاول عليها بالنقد غير مكترث ولا مرتاب.

وسنرى بعد البحث، أى هاتيك الآراء مما اختاره الحسن أو مما افترضه الناقدون، كان أقرب إلى الصواب، وانفذ إلى صميم السياسة.

وما كان الحسن فى عظمته بالرجل الذى تستثار حوله الشبه، ولا بالزعيم الذى يسهل على ناقدة أن يجد المنفذ إلى نقده والمأخذ عليه.

* * وإذ قـد انتهينا الآن عامـدين، إلى مواجهـة المشـكلة فى صـميمها، وبما حيك حولها من نقـدات ونقمات، فمن الخير أن نسـبق الكلام على حلها، باستحضار حقائق ثلاث، هن هنا أصابع البحث التى تمتـد بتـدرج رقيق إلى كشف الغطاء عن السر، فإذا الموضوع كله وضوح بعد تعقيد، وعذر بعد نقمة، وتعديل بعد تجريح.

الأولى فى بيان معنى الشهادة.

والثانية فى رسم صورة مصغرة عن الواقع الذى حاق بالحسن فى لحظاته الأخيرة فى " المدائن."

والثالثة فى خطة معاوية تجاه أهداف الحسن عليه السلام.

وسيجرنا البحث إلى التلميح بحقائق تقدم عرضـها فى أطواء دراستنا السابقة فى الكتاب، ولكن الحرص على استيفاء ما يجب أن يقال هنا، هو الذى سوغ لنا هذا التجاوز فرأيناه جائزا.

١ - الشهادة فى الله:

(٢٢٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الشهادة (٢)، الهدف (١)

صفحه ١٢٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢١

وهى بمعناها الذى يصنع الحياة، تضحية النفس لاحياء معروف أو إماتة منكر.

وليس منها التضحية لغاية ليست من سبل الله، ولا التضحية فى ميدان ليس من ميادين الامر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فلو قتل كافر مسلما فى ساحة جهاد، كان المسلم شهيدا.

ولو قتل باغ مسلما فى ميدان دفاع كان المسلم شهيدا.

اما لو قتل مسلم مسلما فى نزاع شخصى، أو قتله انتصارا لمبدأ دينى صحيح، فلا شهادة ولا مجادة، ذلك لان الكرامة التى تواضع عليها تاريخ الانسانية للشهيد، هى أجرة تضحيته بروحه فى سبيل المصلحة العامة فلاـ الحوادث الشخصية، ولاـ التضحيات التى تناقض المصلحة فى خط مستقيم، مما يدخل فى معنى الشهادة.

وقتلة أخرى، أضيع دما، وأبعد عن " الشهادة " معنى واسما، هى ميتة رئيس يثور به أتباعه وذوو الحق فى أمره، فيلقونه أرضا. والمجموع فى كل مجتمع هو مصدر السلطات لكل من يتولى شيئا من أموره باسمه، وكانت هذه هى القاعدة التى بنيت عليها السلطات الجماعية فى الاسلام، وعلى هذه القاعدة قال المسلم الأول لعمر بن الخطاب ": لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا."

وانما كانت هذه القتلة أضيع دما، وأبعد عن الشهادة اسما، لان الأيدى الصديقة التى اجتمعت على إراقة هذا الدم، كانت فى ثورتها لحقها، وتضافرها الناطق ببلاغة حجتها، أولى عند الناس بالعذر ".. ولان الأمة التى ولته هى التى تقيم عليه الحدود - " على حد تعبير القفال الشافعي -.

فعثمان - مثلاـ - الذى كان ثالث ثلاثة من أكبر الشخصيات التاريخية، التى هزت الأرض بسلطانها المرهوب، مات مقتولا بسلاح الثائرين من ذوى الحق فى أمره. فلم يستطع التاريخ، ولم يوفق أصدقاؤه فى التاريخ،

(۲۲۱)

مفاتيح البحث: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (۱)، الخليفة عمر بن الخطاب (۱)، القتل (۵)، الكرم، الكرامة (۱)، الموت (۳)، الشهادة (۴)

صفحه ۱۳۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۲۲

أن يسجلوا له " الشهادة " كما تقتضيها كلمة " شهيد."

أما ذلك العبد الأسود الفقير، الذى لم يكن له من الأثر فى الحياة، ما يملأ الشعور أو يشغل الذاكرة [جون مولى أبى ذر الغفارى]، فقد أرغم التاريخ على تقديسه، لأنه قتل فى سبيل الله فكان " الشهيد " بكل ما فى الكلمة من معنى.

إذا، فليس من شروط الشهادة ولاـ من لوازم كرامتها، أن لا تكون الا فى العظيم، وليس من شروط العظيم إذا قتل أى قتلة كانت، ان يكون شهيدا على كل حال.

ولندع الآن هذا التمهيد لنخطو عنه إلى الموضوع الثانى، ثم لنأخذ منه حاجتنا عند اقتضاء البحث.

۲ - صورة مصغرة عن الوضع الشاذ فى المدائن:

علمنا مما سبق - وبعض الإعادة ضرورة للبحث - أن خيرة أجناد الحسن كان فى الركب الذى سبقه فى مقدمته إلى " مسكن، " وأن الفصائل التى عسكر بها الحسن فى " المدائن " كانت من أضعف الجيوش معنوية، ومن أقربها نزعة إلى النفور والقلق والانقسام.

وعلمنا أنه فوجئ فى أيامه الأول من المدائن - ولما يتلق نجداته من معسكراته الأخرى - ببوادر ثلاث، كانت نذر الكارثة على الموقف.

۱ - أنباء الخيانة الواسعة النطاق فى " مسكن."

۲ - الشائعة الاستفزازية التى ناشدت الناس بأن ينفروا، لان قيس بن سعد - وهو القائد الثانى على جيش مسكن - قد قتل!.

۳ - فتنة الوفد الشامى الذى جاء ليعرض كتب الخونة الكوفيين على الامام، ثم خرج وهو يعلن فى المعسكر أن الحسن أجاب إلى

الصلح!.

(۲۲۲)

مفاتيح البحث: القتل، القتال فى سبيل الله (۱)، أبوذر الغفارى (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، قيس بن سعد (۱)، القتل (۳)، الشهادة (۴)، الوسعة (۱)

صفحه ۱۳۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۲۳

وفى هذا الجيش - كما قدمنا فى الفصل (۸) -، أصحاب الفتن، وأصحاب الطمع بالغنائم، والخوارج، وغيرهم، ولم يكن لهؤلاء مرتع أخصب من هذه الفتن التى زرعتها هذه البوادر المؤسفة الثلاث.

وجمع الحسن الناس فخطبهم وناشدهم سلامة النية وحسن الصبر، وذكرهم بالمحمود من أيامهم فى صفين، ثم نعى عليهم اختلافهم فى يومه منهم. وكان أروع ما أفاده الحسن من خطابه هذا، أنه انتزع من الناس اعترافهم على أنفسهم بالنكول عن الحرب صريحا، واستدرجهم إلى هذا الاعتراف بما تظاهر به من استشارتهم فيما عرضه عليه معاوية، فقال فى آخر خطابه ": الا وان معاوية دعانا لامر ليس فيه عز ولا نصفة، فان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، وان أردتم الحياة قبلناه منه وأخذنا لكم الرضا. "؟ فناداه الناس من كل جانب ": البقية البقية وأمض الصلح (۱.")

أقول: وليس فى تاريخ قضية الحسن عليه السلام روايتان كثر رواتهما حتى لقد أصبحت من مسلمات هذا التاريخ، كرواية جواب الناس على هذه الخطبة بطلب البقية وامضاء الصلح، ورواية ثورة الناس فى المدائن انكارا للصلح والحاحا على الحرب!!. وليت شعرى. فأى الرأيين كان هدف هؤلاء الناس؟.

وهل هذه الا بوادر الانقسام الذى أشرنا اليه آنفا، بل " الفوضى " التى لن يستقيم معها ميدان حرب، والتى لا تمنع ان يكون المنادون بالصلح من كل جانب هم المنادين بالحرب أنفسهم.

وما للفوضى ودعوة جهاد وصحبة امام؟!

وعلى أى، فقد كان هذا أحد ألوان معسكر المدائن وأحد ظواهر التلون فى عساكره وتحكم العناصر المختلفة فى مقدراته.

(۱) ابن خلدون وابن الأثير والبحار وغيرهم - وكنا عرضنا القسم الأول من هذه الخطبة فيما رويناه فى تصريحات المؤرخين من هذا الفصل.

(۲۲۳)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۴)، الخوارج (۱)، الموت (۱)، الحرب (۳)، الصبر (۱)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۱۳۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۲۴

ولقد تدل ملامح النداء بالتكفير للحسن عليه السلام من قبل الثائرين عليه من جنوده هناك، أنه كان لسان حال " الخوارج، " وكانت هذه هى لغتهم النابية إذا استشرى غضبهم على أحد من المسلمين أو أئمة المسلمين. وانهم إذ يستغلون هذه اللحظة، أو يبعثونها من مرقدها، فإنما كانوا يقصدون التذرع إلى أعظم جريمة فى الدم الحرام، وفق مبادئهم الجهنمية التى طعن بها أحدهم الامام الحسن فى فخذه فشقه حتى بلغ العظم!.

وتدل ملامح النهب والسلب الذى مزق الستار وتناول حتى رداء الحسن ومصلاه، على أنه كان عمل الفريق الآخر الذى سمته المصادر "أصحاب الطمع بالغنائم."

ويدل طغيان الفتنة وسرعة انتشار الاضطرابات فى المعسكر على أنه صنيعة " أصحاب الفتن " الذين كان يعج بهم هذا الجيش منذ كان فى الكوفة ومنذ انتقل إلى المعسكرين تحت لواء الجهاد المقدس!.

وهكذا جمحت الفتنة فى المدائن جماحها الذى خرجت به من أعنة المخلصين والمنظمين، وحال الأكثرون بأحداثهم دون قيام الأقلين بواجبهم، ولم يعد لهذا الجيش من الاستقرار ما يستطيع به الثبات، ولا من الأهداف الا الأهداف الطائشة. فان لم يتسن لهم قتال معاوية فليقتلوا الحسن امامهم، وان لم يبلغوا غنائم الحرب من أعدائهم فليتبلغوا بالغنائم من نهب أصدقائهم، وان لم يمكنهم الفرار إلى معاوية – كما فعل أمثالهم فى المعسكر الثانى – فليكتبوا إلى معاوية ليجىء هو إليهم!!!

وكان هذا هو ما حفظه التاريخ على هذه المجموعة من الناس، أما ما نسيه التاريخ أو تناساه أو حيل بينه وبين ذكره، فذلك ما لا يعلمه الا الله عز وجل.

ترى، فهل لو وضعنا معاوية مكان الحسن من هذه اللحظة أو من هذا الجيش بما لمعاوية من دهاء وسخاء، أكان يستطيع أن يخرج من مأزقه بأحسن مما خرج به الحسن مضمون السلامة على مبادئه وخططه ومستقبله؟.

(۲۲۴)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، مدينة الكوفة (۱)، الخوارج (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)

صفحه ۱۳۳

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۲۵

ولكى نزداد تحريا للأسباب التى أغلقت فى وجه الحسن طريق الشهادة الكريمة، ننتقل بالقارئ إلى الموضوع الثالث من مراحل هذه الجولة الكئيبة الخطوات.

۳ – خطة معاوية من أهداف الحسن (ع) ومات بموت عثمان لقب " الوالى " عن معاوية، ولا نعرف ما كان يجب أن يلقب به بعد ذلك، ولا نوع مسؤوليته فى العرف الاسلامى. وقد علمنا أن الخليفتين الشرعيين عليا وابنه الحسن (عليهما السلام) لم يولياه، فليس هو بالوالى، وعلمنا أن الاسلام لا يتسع فى تشريعه لخليفتين فى عصر واحد، فليس هو بالخليفة.

إذا، فما معاوية بعد عثمان؟.

لا ندرى.

نعم، انه شهر السلاح فى وجه هذين الخليفتين منذ عزل عن ولاية الشام، ورأينا أن التشريع الاسلامى يثبت للقائم بمثل عمله هذا، لقبا نشك أن يكون معاوية رضى به لنفسه، وهذا اللقب هو " الباغى."

ترى، فهل كان هو يعرف لنفسه لقبا آخر غير زعامة البغاة؟.

والمظنون أن معاوية فى طموحه العتيد، لم يكن بالذى يزعجه أن يظل مجهول اللقب، أو محكوما فى " الشرع " بلقب الباغى، ما دام هو فى طريقه إلى غزو أكبر الألقاب بالقوة، رضى الشرع أو أبى. فهو الملك – بعد ذلك – على لسان سعد بن أبى وقاص، وهو" الخليفة " و

(۲۲۵)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۲)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، الشام (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الشهادة (۱)، الظل، التظليل، الظلالة (۱)، الهدف (۱)، الجهل (۱)

صفحه ۱۳۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢۶

"أمير المؤمنين " على لسان مسلم (١) بن عقبة والمغيرة (٢) بن شعبة وعمرو (٣) بن العاص، وهو المتنعم الدنيوى الذى " لم يبق شئ يصيبه الناس من

(١) هو صاحب واقعة الحرة فى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله يوم أباحها ثلاثا شر إباحة. وهو هادم الكعبة (زادها الله شرفا) يوم رماها بالمنجنيق. وكان معاوية هو الذى نصح لابنه يزيد، فيما مهد له من الأمور. بأن يولى " مسلما " هذا. قال له ": ان لك من أهل المدينة ليوما، فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته " "!!. يراجع الطبرى والبيهقى وابن الأثير."

(٢) كان المغيرة [فيما يحدثنا عنه البيهقى فى المحاسن والمساوئ] أول من رشى فى الاسلام. وكان [فيما يحدثنا به سائر مؤرخته] الوسيط فى قضية استلحاق زياد - رغم النواميس الاسلامية -. وكان السابق إلى ترشيح يزيد بن معاوية للخلافة، وهو الذى يقول فى ذلك ": لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقا لا يرتق أبدا -. "!!.. وكان هو الذى عناه حسان بن ثابت بقوله:

لو ان اللؤم ينسب كان عبدا * * قبيح الوجه أعور من ثقيف تركت الدين والايمان جهلا * * غداة لقيت صاحبة النصيف وراجعت الصبا وذكرت لهوا * * من الأحشاء والخصر اللطيف (٣) نار على علم. اعتركت الدنيا والآخرة على قلبه - على حد تعبير غلامه " وردان - " فقدم الدنيا على الآخرة، وشايع معاوية على أن تكون له مصر طعمة، فلا ظفرت يد البائع وخزيت أمانة المبتاع.

روى ابن عبد ربه بسنده إلى الحسن البصرى قال ": علم معاوية والله ان لم يبايعه عمرو لم يتم له أمر، فقال له: يا عمرو اتبعنى. قال: لماذا؟ الآخرة فوالله ما معك آخرة، أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها. قال: فأنت شريكى فيها. قال: فاكتب لى مصر وكورها. فكتب له مصر وكورها. وكتب فى آخر الكتاب: وعلى عمرو السمع والطاعة. قال عمرو: واكتب ان السمع والطاعة لا يغيران من شرطه شيئا. قال معاوية: لا ينظر إلى هذا. قال عمرو: حتى تكتب." !! ...

ورضى الصحابى المسن الذى مات فى الثامنة والتسعين أن يختم هذا العمر المديد على مثل هذه المداورة الخبيثة فى الدين، وراح يقول غير مبال ": لولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها فانى أعلم ان على بن أبى طالب على الحق، وأنا على ضده."!

اما بواكير حياته فكانت أبعد أثرا فى النكاية بالاسلام ونبى الاسلام (ص). وهو إذ ذاك أحد السهميين الذين ساهموا فى فكرة قتل النبى (ص) ليلة الفراش فى مكة. وهو " الأبتر " المقصود بقوله تعالى " ان شانئك هو الأبتر. " ثم كان بعد ذلك من المساهمين فى التأليب على عثمان، ولم يخرج إلى فلسطين حتى نكأ القرحة كما قال هو عن نفسه يوم بلغه مقتل عثمان. والتحق أخيرا بمعاوية على هذه المساومة المفضوحة. ونجا من القتل المحقق فى صفين بأشنع وسيلة عرفها التاريخ. ثم كان صاحب الفكرة فى رفع المصاحف التى فتن بها المسلمين ونقض بها فتل الاسلام. وحضرته الوفاة فقال لابنه ": انى قد دخلت فى أمور لا أدرى ما حجتى عند الله فيها." ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال ": يا ليته كان بعرا، يا ليتنى مت قبل هذا بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت دينى، آثرت دنياى وتركت آخرتى، عمى على رشدى حتى حضرنى أجلى. " وخلف من المال ثلاثمائة الف دينار ذهبا ومليونى درهم فضة عدا الضياع. وكان رسول الله (ص) يقول فيه وفى معاوية ": انهما ما اجتمعا الا على غدر. " أخرج هذا الحديث كل من الطبرانى وابن عساكر، وأخرج أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما عن أبى برزة قال ": كنا مع النبى (ص) فسمع صوت غناء فقال: انظروا ما هذا. فصعدت فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان فجئت فأخبرت النبى (ص) فقال: اللهم أركسهما فى الفتنة ركسا. اللهم دعهما فى النار دعا. " وعن تطهير الجنان لابن حجر ": أن عمرا صعد المنبر فوقع فى على ثم فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقيل للحسن: اصعد المنبر لترد عليهما، فامتنع الا أن يعطوه عهدا انهم يصدقونه ان قال حقا ويكذبونه ان قال باطلا فأعطوه ذلك، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى

عليه ثم قال: أنشدك الله يا عمرو ويا مغيرة، أتعلمان ان رسول الله لعن السائق والقائد أحدهما فلان - يعنى معاوية -، قالا: بلى، ثم قال: أنشدك الله يا معاوية ويا مغيرة ألم تعلما ان النبى لعن عمرا بكل قافية قالها لعنة، فقالا: اللهم بلى، ثم قال: أنشدك الله يا عمرو ويا معاوية ألم تعلما ان النبى لعن قوم هذا - يعنى المغيرة - قال الحسن فانى احمد الله الذى جعلكم فيمن تبرأ من هذا - يعنى عليا." - وكان ابن العاص هذا، هو الذى عناه الصحابى الكريم عمار بن ياسر (رض) بقوله للمجاهدين فى صفين ": أتريدون ان تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين وظاهر المشركين، فلما رأى الله عز وجل يعز دينه ويظهر رسوله صلى الله عليه وسلم، أسلم وهو فيما نرى راهب غير راغب. ثم قبض الله رسوله (ص) فوالله أن زال بعده معروفا بعداوة المسلم وهوادة المجرم. فاثبتوا له وقاتلوه، فإنه يطفئ نور الله ويظاهر أعداء الله عز وجل ("!! الطبرى، ابن أبى الحديد، المسعودى، وغيرهم).

(۲۲۶)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۷)، إبن أبى الحديد المعتزلى (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، الطبرانى (۱)، إبن عساكر (۱)، إبن الأثير (۱)، يوم عرفة (۱)، مسلم بن عقبة المرى (۱)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (۱)، على بن أبى طالب (۱)، المغيرة بن شعبة (۱)، عمار بن ياسر (۱)، عمرو بن العاص (۱)، حسان بن ثابت (۱)، الحسن البصرى (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، القتل (۳)، الجهل (۱)، الموت (۱)، العزّة (۱)، القرح (۱)

صفحه ۱۳۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۲۸

الدنيا الا-وقد أصابه - " على حد تعبيره عن نفسه -. ولن يضيره بعد اعتراف ابن العاص وابن عقبة وابن شعبة له بالخلافة وامارة المؤمنين، أن يكون التشريع الاسلامى ينكر عليه هذا اللقب، لأنه لا يسيغ غزو الألقاب الدينية بالقوة، ولا يسبغ لقب " الخليفة " على أحد، الا عند قرب الشبه بين صاحبه وبين النبى (ص)، ويصرفه دائما عن الرجل الذى يكون بينه وبين النبى كما بين دينين.

ولا-ندرى على التحقيق مبلغ ما كلفت معاوية هذه الألقاب فى دينه، يوم غزاها لنفسه، أو يوم غزاها لابنه يزيد، وانه لأعرف الناس بابنه؟!.

ولا ندرى مبلغ اهتمام الرجل، بمحاسبة نفسه تجاه الله، فيما كان يجب أن يحاسبها عليه؟.

ولكننا علمنا - على ضوء محاولاته الكثيرة فى الاخذ والرد -، أنه لم يعن بمحاسبة نفسه قط، وعلمنا أن الأنانية الطموح كانت تملأ مجاهل نفسه، فتنسيه موقفه الواهن - المفضوح الوهن - الواقف فى مهاب الرياح، والمرتكز فى حقيقته على خيوط العنكبوت، يوم طارت من حواليه الألقاب كلها.

وعلمنا أن قبليته الطاغية الجامحة، كانت تأخذ عليه منافذ تفكيره، فتريه من شهادة ابن العاص له بالخلافة، ومن ترشيح المغيرة بن شعبة ابنه يزيد لامارة المؤمنين، مبررا يرد به الصريح من شرائط الاسلام. وهل كانت هذه الشهادة أو ذاك الترشيح، الا نبت المساومات الرخيصة على ولاية مصر وولاية الكوفة، كما هو الثابت تاريخيا؟.

ولا عجب من " ابن أبى سفيان " ان يكون كما كان، وهو الأموى الصريح، أو الأموى اللصيق الذى يعمل جاهدا ليكون أمويا صريحا (۱).

(۱) يراجع الزمخشرى فى " ربيع الأبرار " وابن السائب فى " المثالب " وأبو الفرج فى " الأغانى " وابن السمان فى " مثالب بنى أمية "وجعفر بن محمد الهمدانى فى " بهجة المستفيد. " ثم ليكن القارئ بعد ذلك عند اختياره فى نسبة معاوية إلى أى آبائه الأربعة المذكورين هناك بأسمائهم.

أقول: والى ذلك يشير سيد العرب فى نهجه بقوله ": وليس الصريح كاللصيق."

(٢٢٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، المغيرة بن شعبة (١)، الشهادة (٢)، الزمخشري (١)، جعفر بن محمد الهمداني (١)، بنو أمية (١)، الفرج (١)

صفحه ۱۳۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٢٩

وللأموية والهاشمية تاريخهما الذي يصعد بهما حتى يلتقيا وينزل معهما كلما نزل الزمان.

وكان من طبيعة " رد الفعل " في النفوس التي شبت مع العنعنات القبلية جاهلية واسلاما، والتي قبلت الاسلام مرغمة يوم الفتح، ثم لم تهضم الاسلام - كما يريده الاسلام - أن تكون دائما عند ذحولها من الضغائن الموروثة، والترات القديمة العميقة الجروح.

وكان معاوية - بعد الفتح - وعلى عهد النبوة الطالعة بالنور، الطليق " الحافي القدمين " كما يحدثنا هو عن نفسه. أما في الدور الذي تململ معه النفوذ الأموي ليسترجع مكانته في المجتمع، وعلى عهد السياسة الجديدة التي رشحت للشورى عضوا أمويا عتيدا، فلم لا يكون ابن عم عثمان والي الشام القوي المرهوب، الذي يصطنع الأعوان والمؤيدين، ويسترضي الاتباع والأجناد والمشاورين، ويتخذ القصور والستور والبوابين، وفي ثروة ولايته ما يسع كل صاحب طمع أو بائع ضمير أو لأحسن قصعة!!.

ولئن كان معاوية في دور النبوة الرعية المخذول العاجز عن الانتصاف لنفسه ولقبيله من القوة التي غلبت على أمره وأمر قبيله، فلم لا يحاسب تلك القوة حسابها العسير في الدور الذي ملك فيه مقاليد القوة بنفسه أو بقبيلة، ولم لا يعود إلى طبيعته فيتحسس بذحوله القديمة من الأبناء والاخوة والأصحاب، ويأخذ بثاره من المبادئ والأهداف؟. ولذلك فقد كان من المنتظر المرقوب لمعاوية، أن يشن غاراته المسلحة على علي والحسن (عليهما السلام) في أول فرصة تمكنه من ذلك، وأن يشن معهما حروبه (الباردة) الأخرى، التي كانت أطول الحربين أمدا، وأبعدهما حرا، وأفظعهما نكالا في الاسلام.

ويستدل من كثير كثير من الاعمال الدبلوماسية التي قام بها معاوية في عهده الطويل الأمد، أنه كان قد قرر التوفر على حملة واسعة النطاق لتحطيم المبادئ العلوية، أو قل لتحطيم جوهرية الاسلام متمثلة في دعوة

(٢٢٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (١)، الشام (١)، السلاح (١)، الوسعة (١)، الجهل (١)

صفحه ۱۳۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٣٠

علي وأولاده المطهرين عليهم السلام.

ويظهر أنه كان ثمة أربعة أهداف تكمن وراء هذه الحملة.

١ - شل الكتلة الشيعية - وهي الكتلة الحرة - والقضاء تدريجيا على كل منتم إلى التشيع وتمزيق جامعتهم.

٢ - خلق الاضطرابات المقصودة في المناطق المنتمية لأهل البيت والمعروفة بتشيعها لهم، ثم التنكيل بهؤلاء الآمنين بحجة تسبيب الشغب.

٣ - عزل أهل البيت عن العالم الاسلامي، وفرض نسيانهم على المسلمين الا بالذكر السيئ، والحؤول - بكل الوسائل - دون تيسر النفوذ لهم، ثم العمل على إبادتهم من طريق الغيلة.

٤ - تشديد حرب الأعصاب.

ولمعاوية فی المیدان الأخیر جولات ظالمهٔ سیطول حسابها عند الله عز وجل کما طال حسابها فی التاریخ، وسیجرنا البحث إلی عرض نماذج منها عند الکلام علی مخالفاته لشروط الصلح، وهو مکانها من الکتاب.

وکان من أبرز هذه الجولات فی سبیل مناوأته لعلی وأولاده ولمبادئهم وأهدافهم، أنه فرض لعنهم فی جمیع البلدان الخاضعهٔ لنفوذه، بما ینطوی تحت مفاد " اللعن " من انکار حقهم، ومنع روایهٔ الحدیث فی فضلهم، وأخذ الناس بالبراءهٔ منهم فکان - بهذا - أول من فتح باب اللعن فی الصحابهٔ، وهی السابقهٔ التی لا یحسده علیها مسلم یغار علی دینه، وتوصل إلی استنزال الرأی العام علی ارادته فی هذه الأحدوثهٔ المنکرهٔ " بتدابیر محبوکهٔ " تبتعد عن مبادئ الله عز وجل، بمقدار ما تلتحم بمبادئ معاویهٔ.

وان من شذوذ أحوال المجتمع، أنه سریع التأثر بالدعاوات الجارفهٔ القویهٔ - مهما کان لونها - ولا سیما إذا کانت مشفوعهٔ بالدلیلین من مطامع المال ومطامع الجاه.

وما یدرینا بم رضی الناس من معاویهٔ، فلعنوا معه علیا وحسنا

(۲۳۰)

مفاتیح البحث: صلح (یوم) الحدیبیهٔ (۱)، الحج (۱)، الهدف (۱)، الحرب (۱)

صفحه ۱۳۸

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحهٔ ۲۳۱

وحسینا علیهم السلام؟ وما یدرینا بماذا نقم الناس علی أهل البیت فنالوا منهم کما شاء معاویهٔ أن ینالوا؟!.

ربما یکون قد أقنعهم بأن علیا وأولاده، هم الذین حاربوا النبی صلی الله علیه وآله ابان دعوته، وأنهم هم الذین حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، وهم الذین ألحقوا العار بالنسب، وهم الذین نقضوا المواثیق وحنثوا بالایمان، وقتلوا کبار المسلمین صبرا، ودفنوا الأبریاء أحیاء، وصلوا الجمعهٔ یوم الأربعاء (۱).

وربما یکون قد أطمعهم دون أن یقنعهم، وربما یکون قد أخافهم دون أن یطمعهم، فکان ما أراد " وارتقی بهم الامر فی طاعته إلی أن جعلوا لعن علی سنهٔ ینشأ علیها الصغیر ویهلک الکبیر (۲. ") والمرجح أن معاویهٔ هو الذی فضل تسمیهٔ هذه البدعهٔ " بالسنهٔ" فسماها معه المغرورون بزعامته والمأخوذون بطاعته کما أحب، وظل الناس بعده علی بدعته. إلی أن ألغاها عمر بن عبد العزیز" - وأخذ خطیب جامع (حران) یخطب ثم ختم

(۱) یراجع عن هذا مروج الذهب (ج ۲ ص ۷۲) وعن غیره مما ذکر قبله، المصادر التی أشرنا إلیها آنفا عند ذکر بعض هذه الحقائق، والمصادر التی سنذکرها فی فصل الوفاء بشروط الصلح فیما یأتی، عند ذکرنا للبعض الآخر.

(۲) مروج الذهب (ج ۲ ص ۷۲).

ولنتذکر هنا، أن علیا علیه السلام سمع قوما من أصحابه یسبون أهل الشام أیام حربهم بصفین، فنهاهم، وقال لهم ": انی اکره لکم أن فی القول وأبلغ فی العذر، وقلتم مکان سبکم إیاهم: اللهم احقن دماءنا تکونوا سبابین ولکنکم لو وصفتم أعمالهم، وذکرتم حالهم، کان أصوب ودماءهم، وأصلح ذات بیننا وبینهم واهدهم من ضلالتهم حتی یعرف الحق من جهله، ویرعوی عن الغی والعدوان من لهج به - " ... النهج: (ج ۱ ص ۴۲۰ و ۴۲۱). - وجاء یوما رسول معاویهٔ إلی الحسن علیه السلام وکان فیما قال له ": أسأل الله ان یحفظک ویهلک هؤلاء القوم. " فقال له الحسن ": رفقا لا تخن من ائتمنک، وحسبک ان تحبنی لحب رسول الله (ص) ولأبی وأمی، ومن الخیانهٔ ان یثق بک قوم وأنت عدو لهم وتدعو علیهم. ".. الملاحم والفتن (ص ۱۴۳ طبع النجف).

(۲۳۱)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۲)، عمر بن عبد العزیز (۱)، القتل (۱)، الإبداع، البدعهٔ (۱)،

الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۲)، مدینة النجف الأشرف (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، الشام (۱)، الجهل (۱)، الضلال (۱)، السب (۱)

صفحه ۱۳۹

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۳۲

خطبته ولم یقل شیئا من سب أبی تراب کعادته، فتصایح الناس من کل جانب: ویحک ویحک السنة السنة، ترکت السنة! (۱.")

ثم کانت " سنة معاویة " هی الأصل التاریخی لتکوین هذه الکلمة تکوینا اصطلاحیا آخر، تناسل مع الأجیال، وتنسیق معه مناسباته السیاسیة الأولی.

وانتباهة منصفة فی تناسق نفسیات الرجل، تغنیک عن استعراض أمثلة کثیرة من أعماله فی هذا السبیل..

وبعد هذا، فما ظنک بمعاویة لو قدر له الظفر فی حربه مع الحسن، وقدر للحسن الشهادة فی الحرب؟.

أفکان من سوابق الرجل هذه، ما یدل علی أنه سیلزم جانب الاعتدال والقصد، فی استغلال انتصاره تجاه فلول الحرب من شیعة الحسن والبقیة الباقیة من الثابتین علی العقیدة والایمان؟ أم أن موجة إبادة ساحقة ستکون هی عنوان علاقاته بهؤلاء، بعد موقفه الصریح من السلالة النبویة نفسها، وبعد أن یکون قد طحن فی هذه الحرب أکبر رأس فی البیت النبوی العظیم.

ان معاویة سوف لا یتقی بعد ذلک أحدا. وانه سوف لا یتردد سیاسیا، ولا یتورع دینا، من أن یمضی قدما فی تصفیة حسابه مع المبدأ الذی أقض مضجعه وأکل قلبه وهزئ بکیانه، منذ ولی علی الخلافة، بل منذ طلعت الهاشمیة بالنور علی الدنیا، بل منذ هزمت المنافرة أمیة إلی الشام.

وما کان معاویة بالذی یعجز عن وضع " تدابیر محبوکة " أخری لعملیة محق الشیعة، بعد مقتل الحسن، یحتال بها علی المغرورین بزعامته من الجیل الذی شد أزره علی اصطناع ما أتاه من مخالفات.

(۱ ") الاسلام بین السنة والشیعة (" ص ۲۵).

(۲۳۲)

مفاتیح البحث: الشام (۱)، الشهادة (۱)، الحرب (۳)، القتل (۱)، السب (۱)

صفحه ۱۴۰

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۳۳

وهو صاحب تدابیر " لعن أهل البیت " وصاحب تدابیر " رمی علی بدم عثمان، " فلتکن ثالثة أثافیه تدابیره فی " القضاء علی التشیع " مادیا ومعنویا. وانه لرجل المیدان فی تعبئة هذه الألوان من التدابیر.

وفی جنبات قصوره الشاهقات فی الشام، الضمائر المعروضة للبیع والأقلام المفوضة للایجار، فلتضع الحدیث عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، وفق الخطط المرسومة، ولتنتهک المبادئ العلویة انتهاکا فتمسخها مسخا وتزدریها ازدراء تنتزع به استحقاقها للبقاء بین الناس، ثم لتخلق منها - وقد خلا الجو من آل محمد (ص) - ردة أخری عن الاسلام تتهم بها بناة الاسلام ومهابط تنزیله ومنازل وحیه ومصادر تعالیمه أنفسهم، ثم لتشرع للناس - مع تمادی الوضع والرفع - اسلاما آخر، هو قریحة معاویة - لا ما هتفت به الهاشمیة من وحی السماء.

وکان هذا هو الذی عناه الحسن علیه السلام حین قال ": ما تدرون ما عملت، والله للذی عملت خیر لشیعتی مما طلعت علیه الشمس."

وما شئ خیرا مما طلعت علیه الشمس من حفظ العقیدة وتخلید المبدأ.

وكان هو ما عناه - أيضا - الامام محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (الباقر) عليه السلام، حين سئل عن صلح الحسن (ع) فقال ": انه أعلم بما صنع ولولا ما صنع لكان أمر عظيم."

النتائج:

وأغلب الظن أن خطوات هذه المراحل الثلاث، بلغت بالقارئ الكريم هدفنا المقصود من البحث، قبل ان نعلن عنه صريحا، وكشفت له بتدرجها الرفيق كثيرا من الغموض الذى هيأ جوا للنقد الموروث.

ونقول الآن تدليلا على ما ادعيناه أولا من انغلاق طريق الشهادة عن الحسن (ع)، الذى كان معناه امتناعها هى منه، دون امتناعه هو منها:

(۲۳۳)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (۱)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۳)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، على بن الحسين بن على (۱)، الشام (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، التعبأة، العبء (۱)، الشهادة (۱)، الظنّ (۱)

صفحه ۱۴۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۳۴

ان الحسن لو حاول أن يجيب على حدة مأزقه التى اصطلحت عليه فى لحظته الأخيرة فى المدائن، بإراقة دمه الطاهر فى سبيل الله عز وجل انكارا على البغى الذى صارحه به ستون ألفا من أجناد الشام، وايثارا للشهادة ومقامها الكريم - لحيل بينه وبين ما يريد، ولكان - بلا ريب - ذلك المقتول الضائع الدم الذى لن يستطيع أصدقاؤه فى التاريخ أن يسجلوا له الشهادة كما تقتضيها كلمة " شهيد."

ذلك لان الظرف المؤسف الذى انتهى اليه طالع المدائن بما عبرت عنه الفوضى الرعناء فى صيحاتها الكافرة وفى سلاحها - أيضا -، وبما كشفت عنه كتب الخونة الكوفيين فى مواثيقهم لمعاوية على الفتك بالحسن - وهو ما وقف عليه الحسن نفسه فى رسائلهم -، كل ذلك يفرض علينا الاستسلام للاعتقاد بأن فكرة قوية الأنصار من رجالات المعسكر، كانت قد قررت التورط فى أعظم جريمة من أمر الامام عليه السلام، وأنهم كانوا يتحينون الفرص لاقتراف هذه البائقة الكبرى.

ووجدوا من تلاشى النظام فى المعسكر، بما انتاشه من الفزع وبما انتابه من الفتن، وبما بلغه من أخبار مسكن، ومن الفوضى " المصطنعة " التى اطلعت رأسها بين جماهيره الهوج - ظرفا مناسبا لانزال الضربة الحاسمة التى كانت هدف الخوارج فيما أرادوه من جهادهم مع الحسن وكانت غاية " الحزب الأموى " فيما تم عليه الاتفاق بينه وبين معاوية. ولا ننسى أن معاوية نفسه كان قد لوح للحسن عليه السلام فى رسائله الأولى اليه، بما يشعره التهديد بهذه الخطة العدوة - من أول الامر -. والا فما معنى قوله هناك": فاحذر أن تكون منيتك على أيدى رعاع من الناس."!!.

وبلغ من دقة الموقف وتوتر الوضع، فى لحظات المدائن الأخيرة، أن أى حركة من الامام عليه السلام سواء فى سبيل الحرب أو فى سبيل الصلح، وفى سبيل الانضمام إلى الجبهة فى مسكن أو فى سبيل العودة إلى الكوفة - مثلا -، لابد أن تنقلب إلى خلاف حاد، فتمرد واسع، فثورة

(۲۳۴)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، مدينة الكوفة (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، سبيل الله (۱)، الشام (۱)، الخوارج (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الشهادة (۳)، الوسعة (۱)، الفزع (۱)، الحرب (۱)

صفحه ۱۴۲

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۳۵

مسلحة هوجاء، هی کل ما یتمناه معاویة، ویصوب له ذهبه وخزائنه.

ولن یطفئ النائرة یومئذ لو اتقدت جذوتها الا دم الحسن الزکی.

وللثورات الجامحة أحکامها القاسیة وتجنیاتها التی لا تبالی فی سبیل الوصول إلی أهدافها بالاشخاص مهما عظمت مکانتهم فی النفوس.

أولیست طعنة الحسن فی ساباط المدائن دلیلا علی ما نقول؟. وهل کانت الا الطعنة التی تطوعت إلی قتله عن إرادة وعمد؟ وکان قد خرج إذ ذاک من فسطاطه یؤم مقصورة عامله علی " المدائن " لیتجنب ضوضاء الناس، ولیکون هناک أقدر علی اتخاذ ما یحتمله الظرف من تدبیر.

وهنا یقول المؤرخون ما لفظه ": وأحدق به طوائف من خاصته وشیعته، ومنعوا عنه من أراده. " وفی نص آخر ": فأطافوا به ودفعوا الناس عنه " أقول: فمم کانوا یدفعون الناس عنه؟ وممّ منعوا من أراده؟.. أولیس هذا کله صریحا بأنه أصبح مهددا علی حیاته، وأن الذین خرجوا معه کمجاهدین یدافعون عنه انکشفوا - بعد قلیل - عن أعداء یتدافعون علیه؟؟.

وهل کان انکفاؤه إلی مقصورة سعد بن مسعود، الا لیبتعد عن المحیط المفتون الذی أصبح یستعد لثورة لا یدری مدی اندفاعها بالموبقات؟. ورأی بأم رأسه انسیاح فصائله أنفسهم فی مضاربه نهبا، وفی مقامه المقدس تکفیرا وسبا، ورأی تحاملهم المقصود علی ایذائه وتدافعهم العامد علی العظیم من أمره، فعلم أنهم أصبحوا لا یطیقون رؤیته، وأن ظهوره بشخصه بینهم هو مثار تمردهم الخبیث، فانتقل غیر بعید، وکانت انتقالته نفسها احدی وسائله لعلاج الموقف، لو أنه وجد للعلاج سبیلا.

وبدیهی أنه لم یکن أحد آخر فی الدنیا کلها، أحرص من الحسن نفسه علی الفوز فی قضیته، ولا أکثر عملا، ولا أشد اهتماما، ولا أنشط حیویة، ولا أسرع تضحیة فیما تستدعیه من تضحیات.

(۲۳۵)

مفاتیح البحث: سعد بن مسعود (۱)، القتل (۱)

صفحه ۱۴۳

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۳۶

وبدیهی أیضا، أنه لم یکن لیفوته ما لا یفوتنا من رأی، ولا یخطئه ما لا یخطئنا من تدبیر. ولقد برهنت سائر مراحله علی أنه الرجل الحصیف الذی غالب مشاکله کلها ثم اختار لها أفضل الحلول فی حربه وسلمه ومع مراحل جهاده ومعاهدات صلحه، وفی عاصمة ملکه " الکوفة " وعاصمة إمامته " المدینة."

تری، أفکان من جنون هذه اللحظات فی المدائن، مجال للموت الذی یصنع الحیاة؟ أم هو المجال الذی لا یصنع الا الموت فی الموت أبدیا، وهو ما یجب أن تربأ عنه النفوس الکریمة التی لا تموت الا لتحیی بعدها سنة أو تنقذ أمة.

فأین امکان الشهادة للحسن یا تری؟..

* * ولقد یحز فی النفس حتی لیضیق محب الحسن ذرعا بما یترسمه فی ذهنه من معالم الخطوب السود، التی کانت تتدفق بطوفانها الرهیب علی هذا الامام الممتحن فی أحرج ساعاته وأدق لحظاته.

ربما کان للذهن قابلیة التصور أو قابلیة الهضم للحوادث التی ترجع إلی مصادرها الاعتیادیة فی الناس، من العداء الشخصی، أو النزاع

القبلی، أو الخلاف النظری - کعداء معاویة للحسن، أو خصومة بنی أمیة للهاشمیین، أو خلاف الخوارج علی علی وأولاده (ع) -. أما الحوادث التی لا مرجع لها الا الطمع الدنیء فإنه من آلم ما یتصوره الانسان من شذوذ الناس.

أفتظن ان من الممکن لشیعی یعتقد امامة الحسن کما یعتقد نبوة النبی، ویعیش فی نعمة الحسن کما یعیش فی نعمة أبیه، ثم تحدثه نفسه بالخیانة العظمی فی أحرج اللحظات التی تمر بامامه وولی نعمته، وأحوجها إلی الاخلاص الصحیح من شیعته؟.

أجل، انها للمؤامرة الدنیئة التی کانت من صمیم الواقع الذی دار

(۲۳۶)

مفاتیح البحث: مدینة الکوفة (۱)، بنو أمیة (۱)، الخوارج (۱)، الموت (۴)، الکرم، الکرامة (۱)، الشهادة (۱)

صفحه ۱۴۴

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۳۷

حول الحسن علیه السلام، فی ابان وجوده فی المقصورة البیضاء بالمدائن!!..

فانظر إلی أی حد کان قد بلغ التفسخ الخلقی فی الجیل الذی قدر للحسن أن یتخذ منه أجناده إلی جهاد عدوه.

قد یکون الفرد بذاته من ذوی الحسب، وقد یکون علی انفراده من ذوی السکینة، ولکنه إذا انساح بضعفه المتأصل فی نفسه مع العاصفة الطارئة، واحتضنته الجماهیر المتحمسة من حوله، کان جدیرا بان تغلب علیه روح الجماعة فلا یشعر الا بشعورها، ولا یفکر الا بفکرها، ولا یعمل الا بعملها - ویخالف - عندئذ - مشاعره الفطریة مخالفة لا تنفک فی أکثر الأحیان عن الندم الجارح عند سکون العاصفة وتبدل الأحوال.

وهکذا کان من السورة الجامحة فی ضوضاء المدائن یومئذ ما أخضع لتیاره حتی الشیعی الضعیف، فنسی تشیعه ونسی عنعناته، ونسی حتی المعنویات العربیة الساذجة التی تتحلل من الدین علی اختلاف نزعاته!!..

فإنه ان لم یکن امامک فولی نعمتک، وان لم یکن ولی نعمتک فالکریم الجریح.

وهذا مثل واحد - حفظه التاریخ - عن شیعیهم، ظنک بخارجیهم وأمویهم وشکاکهم وأحمرهم؟.

ومثل واحد حفظه التاریخ، یدل علی أمثال کثیرة نسیها التاریخ أو تناساها.

ووجه آخر:

هو ما أشار الیه الحسن نفسه فی أجوبته لشیعته الذین نقموا علیه الصلح. قال ": ما أردت بمصالحتی معاویة الا أن ادفع عنکم القتل (۱) ".

(۱) الدینوری (ص ۳۰۳).

(۲۳۷)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، القتل (۱)، الجماعة (۱)

صفحه ۱۴۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۳۸

وأثر عنه بهذا المعنی کلمات کثیرة.

وللتوفر علی فهم هذه الحقیقة بشیء من التفصیل الذی یخرج بنا إلی القناعة بما أجمله الامام بهذا القول، نقول:

لم یکن النزاع بین الحسن ومعاویة فی حقیقته، نزاعا بین شخصین یتسابقان إلی عرش، وانما کان صراعا بین مبدأین یتنازعان البقاء

والخلود. وكان معنى الانتصار فى هذا النزاع، خلود المبدأ الذى ينتصر له أحد الخصمين المتنازعين. وكذلك هى حرب المبادئ التى لا تسجل انتصاراتها من طريق السلاح، ولكن من طريق الظفر بثبات العقيدة وخلود المبدأ. وربما ظفر المبدأ بالخلود ولكن تحت ظل اللواء المغلوب ظاهرا.

وانقسم المسلمون يومئذ، على اختلاف رأيهم فى المبدأين، إلى معسكرين يحمى كل منهما مبدأه، ويتفادى له بكل ما أوتى من حول وقوة.

فكانت العلوية والأموية، وكانت الكوفة والشام.

ونخلت الادوار الاستفزازية التى لعبها معاوية، باسم الثأر لعثمان، معسكر الشام من شيعة على وأولاده عليهم السلام. فكان لابد لهؤلاء أن ينضووا إلى معسكرهم فى الكوفة، وفى البلاد التى ترجع بأمرها إلى الكوفة، غير مروعين ولا مطاردين.

واجتمع - على ذلك - فى الكوفة والبصرة والمدائن والحجاز واليمن عامة القائلين بالتشيع لأهل البيت عليهم السلام.

وخلص إلى عاصمة الامام فى العراق من الأمصار كلها، الثقل الأكبر من أعلام المسلمين، وبقايا السيوف من المهاجرين والأنصار.

فكانت كوفة على على عهد الخلافة الهاشمية، مباءة الاسلام، والمركز الذى احتفظ بتراث الرسالة بأمانة وصبر وايمان.

وكان طبيعيا ان يستجيب لدعوة الحسن، فى زحفه للموقعة الفاصلة بين المبدأين، عامة هذه النخبة المختارة المتبقية فى الكوفة بعد وفاة أبيه عليه

(۲۳۸)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، المهاجرون والأنصار (۱)، دولة العراق (۱)، مدينة الكوفة (۶)، الشام (۲)، الحرب (۱)، القناعة (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۱۴۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۳۹

السلام، من شيعته وشيعة أبيه وصحابة جده صلى الله عليه وآله، فإذا هم جميعا عند مواقعهم من صفوف وحداتهم، فى الجيش الذى يستعد فى " النخيلة."

ولم يكن فى الدنيا كلها، قابلية أخرى لصيانة التراث الاسلامى على وجهه الصحيح، كالقابليات التى لفها جناح هذا الجيش، بانضواء هذه الكتل الكريمة اليه، وفيها أفراد الأسرة المطهرة من الهاشميين.

واحتضنت وحدات النخيلة مع هؤلاء، أجناسا كثيرة من الناس، أتينا - فيما سبق - على عرض واسع لمختلف عناصرهم وشتى منازعهم ونتائج أعمالهم.

وكان المضى فى الزحف ضرورة اقتضاها الظرف الطارئ كما أشير اليه آنفا.

وما هى الا أيام لم تبلغ عدد الأصابع، حتى انتظم المعسكران فى " المدائن " و " مسكن " أقسام الجيش كلها، فكان فى كل منهما جماعة من الطبقة الممتازة فى مسلكها ومعنوياتها وإخلاصها، وجماعات أخرى من طبقات مختلفة منوعة.

وجاءت هزيمة عبيد الله بن عباس ومن معه إلى معاوية، أشبه بعملية تصفية قد تكون نافعة، لو لم تعزها نكبات أخرى من نوعها ومن غير نوعها، ذلك لأنها نخلت معسكر مسكن، وهو المعسكر الذى نازل العدو وجها لوجه، من الأخلاط التى كانت العضو الفاسد فى هذا الجيش.

أما فى المدائن فقد كان الحسن وخاصته فى سواد من أشباه المهزومين لا ـ يتسنى لهم الوصول إلى معاوية فيفرون، ولا يستفزهم الواجب فيرضخون. وكانوا فى المستقبل القريب، أداة الكارثة التاريخية، بما حالوا بين الحسن وبين أهدافه من هذه الحرب، وبما

أغلقوا عليه من طريق الشهادة الكريمة، وبما أفسدوا عليه كل شئ من أمره، (كما مر

(٢٣٩)

مفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (٢)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، الشهادة (١)، الوسعة (١)، الطهارة (١)، الحرب (١)

صفحه ۱۴۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٤٠

بيانه قريبا).

* * * ولنفترض الآن أن شيئا واحدا كان لا يزال تحت متناول الحسن في سبيل الاستمرار على الحرب، أو في سبيل الامتناع على الصلح.

ذلك هو أن يصدر أوامره من حصاره في " المدائن " إلى أنصاره في " مسكن " بمباشرة الحرب، تحت قيادة القائد الجديد " قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، " الرجل العظيم الذي نعرف من دراسة ميوله الشخصية، أنه كان يؤثر الحرب حتى ولو صالح الامام (١).

وإذا كانت ثورة المشاكسين في المدائن، قد حالت دون تكتيب هذا الجيش للقتال، فما كانت لتحول دون ارسال الأوامر إلى المخلصين الأوفياء في جيش مسكن بالحرب، ان سرا وان علنا.

ومن المحتمل أن كثيرا من المغلوبين على أمرهم من مجاهدة المدائن المخلصين، كانوا يستطيعون التسلل إلى " مسكن " لإنجاد القوات المحاربة هناك، فيما لو وجدوا من جانب الحسن استعدادا لهذه الفكرة أو تشجيعا عليها.

ولعل من المحتمل أيضا ان الامام نفسه كان يستطيع هو أيضا وبعد تريث غير طويل، ينتظر به خفوت الزوابع الدائرة حوله في المدائن، أن يخف إلى مسكن حيث النصر الحاسم، أو الشهادة بكل معانيها الكريمة في الله وفي التاريخ.

فلماذا ينزل إلى الصلح، وله من هذا التدبير مندوحة عنه؟.

نقول:

ربما كان في مستطاع الحسن اصدار هذه الأوامر في لحظاته الأخيرة في المدائن، وربما لم يكن.

(١) يراجع عن هذا ابن الأثير (ج ٣ ص ١٦٢).

(٢٤٠)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (٢)، سعد بن عبادة (١)، الكرم، الكرامة (١)، الشهادة (١)، القتل (١)، الحرب (٣)، إبن الأثير (١)

صفحه ۱۴۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٤١

وعلى كل من التقديرين، فما كل مندوحة لوحت بنجاح، يجوز الاخذ بها، ورب تدبير في ظرف هو نفسه مفتاح مآزق صعاب لظرف آخر. وهذه هي القاعدة التي يجب الالتفات إليها عند الاخذ بأي اقتراح في أي من المآزق.

وهنا أيضا، فهل فكر مقترح هذا التدبير، في المدة التي كان يمكن أن تستوعبها حرب أربعة آلاف - هم جيش الحسن في مسكن - لستين الفا هم جيش معاوية أو ثمانية وستين الفا؟ واستغفر الله، بل حرب مجموعة من جيش تنازل مجموعة من جيش تزيدها خمسة وأربعين ضعفا! [ارجع إلى تحليل النسبة العددية بين الفريقين عسكر مسكن وعسكر الشام في الفصل - ١١ -].

وهل فكر مقترح هذه المندوحة، فيما عسى ان يكون موقف الحسن عند انتهاء اللحظات القصيرة من عمر هذه الحرب، وعندما يتفانى المساعير من أنصاره في مسكن.

انه ولا شك الموقف الذى سيضطره – لو بقى حيا – إلى التسليم بدون قيد ولا شرط.

وانه ولا شك الطالع الجديد الذى كان ينتظره معاوية للإجراءات الحاسمة بين الكوفة والشام، الاجراءات التى لا تعدو الاحتلال العسكرى المظفر بويلاته ونقماته التى لا حد لفظاعتها فى أهل البيت وشيعتهم، وأخلق باحتلال كهذا أن يطوح بكل أمانى البلاد، وبشعائرها الممتازة، ومبادئها التى قامت على جماجم عشرات الألوف من صفوة الشهداء المجاهدين فى الله.

ولا أخال أن أحدا يفطن إلى هذه النتائج المحتمة، ثم لا يحكم بفشل هذه المندوحة المنتقضة على نفسها، وأن من أبرز أخطائها انها تنقل الحسن – فى أقصر زمان – من خصم مرهوب يملى الشروط على عدوه، إلى محارب مغلوب لا مفر له من التسليم بدون قيد ولا شرط.

وهذا فيما لو انكشفت الحرب والحسن حى يحال بينه وبين

(۲۴۱)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، الشام (۲)، الحرب (۴)، الشهادة (۱)، الجواز (۱)

صفحه ۱۴۹

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۴۲

الاشتراك فيها.

وأما لو قدر لهذه الحرب القصيرة العمر، أن تجتاح فى طاحونتها حتى الحسن لينال الشهادة، وافترضنا أنه كان قد استطاع التسلل إلى مسكن والاشتراك فى القتال – الامر الذى لا ينسجم وسير الحوادث هناك كما عرفت قريبا – فالجواب هو أن الشهادة التى يكون ثمنها إمحاء المبدأ إمحاء أبديا، لا يمكن ان تكون وسيلة نجاح فى الله ولا فى التاريخ.

وان التاريخ الذى سيناط به ذكر هذه الحرب، بعد شهادة الحسن وذيولها المؤسفة، سيروى للأجيال من شؤون الحسن وحروبه، ما لا يخرج بمفهومه عن معنى " الخروج. " وذلك هو ما أردنا التلميح اليه فى كلامنا على " خطة معاوية تجاه أهداف الحسن " من هذا الفصل.

ولكى نزيد هذا الاجمال توضيحا نقول:

علمنا مما تقدم، أن الصفوة من حملة الكتاب، والبقية من الصحابة الأبرار، والنخبة المختارة من الشيعة الأوفياء، كانوا قد اجتمعوا للحسن عليه السلام فيمن دلف به إلى معاوية فى زحفه هذا. ولا نعرف أن أحدا من هذا الطراز تخلف مختارا عن تلبية الحسن فيما دعا اليه من الجهاد.

فكان الموقف فى هذه اللحظة المبدئية الدقيقة بين الحسن ومعاوية، أشبه بالموقف الآنف بين أبويهما رسول الله (ص) وأبى سفيان بن حرب يوم كان يبرز الايمان كله للشرك كله.

وعلمنا مما تقدم أيضا أنه لم يكن فى الدنيا كلها مجموعة أخرى تؤتمن على الثقل الأكبر من نواميس الاسلام، والمبادئ المثالية الصحيحة على وجهها الصحيح، مثل هذه المجموعة التى اجتمعت للحسن فى هذا الزحف.

فكان معنى تنفيذ فكرة الحرب، والتورط بهذه الزمرة فى القتال المستميت الذى لن ينكشف منهم على نافخ ضرمة قط، هو التفريط بالثقل الأكبر الذى يحملونه ولا يحمله فى الدنيا أحد غيرهم.

(۲۴۲)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، يوم عرفة (۱)، الشهادة (۳)، الهدف (۱)، الحرب (۴)، القتل (۲)، النفاذ، التنفيذ (۱)

صفحه ۱۵۰

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۴۳
وكان معنى التفريط به، انقطاع الصلة بين على وأولاده الأئمة الميامين، وبين الأجيال الآتية إلى يوم الدين.
ثم لتعودن قضية الحسن - بعد ذلك - أشبه بقضايا الاشراف العلويين، الذين نهضوا فى ظروف مختلفة من أيام الحكم الاسلامى، يهتفون بالاصلاح، ويحتجون بالرحم الماسة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم غلبوا على امرهم، فلم يبق من دعوتهم الا أسماؤهم فى أطواء التاريخ أو فى كتب الأنساب.
وما يدرينا، فيما لو صفى الحساب مع آل محمد تصفيته الأموية الأخيرة، فقتل الحسن، وقتل معه جميع أهل بيته، وقتل معهم الصفوة المختارة من عباد الله المخلصين، وانقلب الاسلام أمويا، ماذا سيكون من ذكريات محمد (صلى الله عليه وآله) فى التاريخ؟. وماذا سيكون من شأن المثاليات التى نفخ الاسلام روحها فى الصفوة من رجالاته؟. وهل رجالاته المصطفون الا هذه الأشلاء التى طحنتها سيوف الشام فى هذه الحروب؟.
وعلمنا - مما تقدم - مبلغ ما تهتز به أوتار معاوية بن أبى سفيان من العنعنات القبلية والأنانيات والترات. فهل لنا - وقد أيسنا من ذكر على وأولاده فى أعقاب هذه التصفية الا بالسوء، أن نطمئن إلى ذكر محمد صلى الله عليه وآله وذكر تعاليمه ومبادئه الصحيحة بخير؟.
والعدو المنتصر هو معاوية بن أبى سفيان، الذى ضاق بذكر الناس لأخى هاشم (النبى ص) فى كل يوم خمس مرات كما تقتضيه السنة الاسلامية فى " الاذان، " حتى قال للمغيرة بن شعبة ": فأى عمل يبقى بعد هذا لا أم لك، الا دفنا دفنا (۱.")!!..
(۱) مروج الذهب (ج ۲ ص ۳۴۳)، وابن أبى الحديد (ج ۲ ص ۳۵۷ ") قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبى المغيرة إلى معاوية فكان أبى يأتيه يتحدث عنده، ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية ويذكر عقله، ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتما فانتظرته ساعة، وظننت أنه لشيء حدث فينا أو فى عملنا، فقلت له: مالى أراك مغتما منذ الليلة. قال: يا بنى انى جئت من أخبث الناس. قلت له: وما ذاك. قال: قلت له وقد خلوت به: انك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى اخوتك من بنى هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شئ تخافه، فقال لى: هيهات هيهات، ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا ان هلك، فهلك ذكره، الا أن يقول قائل أبو بكر. ثم ملك أخو عدى فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره، الا أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد فى مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا أن هلك ذكره وذكر ما فعل به. وان أخا هاشم يصرخ به فى كل يوم خمس مرات أشهد ان محمدا رسول الله. فأى عمل يبقى بعد هذا لا أم لك، الا دفنا دفنا."
(۲۴۳)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۴)، معاوية بن أبى سفيان لعنهما الله (۲)، الدولة الأموية (۱)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (۱)، يوم القيامة (۱)، الشام (۱)، القتل (۳)، إبن أبى الحديد المعتزلى (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، المغيرة بن شعبة (۱)، بنو هاشم (۱)، الشهادة (۱)، الهلاك (۳)

صفحه ۱۵۱

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۴۴
ورجاله المنتصرون هم: أخوه [الشرعى "؟!] زياد ابن أبيه، " والصحابى المسن " عمرو بن العاص، " والداهية [النزيه "؟!] المغيرة بن شعبة، " وفاتح الحرمين "!! مسلم بن عقبة، " وأمثال هذه النماذج من الغيارى على روحيات الاسلام!!..

وفی مجازر (زیاد) فی الکوفـة، وفتن (عمرو) فی صـفین ودومة الجندل، ومساعی أول مرتش فی الاسـلام (المغیرة بن شـعبة) لتنصـیب یزیـد للخلافـة ولإلحاق زیاد للاخوة، ومواقف (ابن عقبة) من المدینة والکعبة، کفایة للاطمئنان علی الرقم القیاسـی الذی صـعدت الیه غیرة کل من هؤلاء، علی التراث الاسلامی، وعلی مقدسات الاسلام، وعلی مصالح المسلمین.

انهم عملوا ما عملوا، وهم إذ ذاک علی مسـمع ومشـهد، من آل محمد والصـفوة الباقیة من تلامذة محمد (ص) ومن أشیاعهم الآمرین بالمعروف والناهین عن المنکر، والواقفین لهم بالمرصاد.

فکیف بهم، وماذا کانوا یعملون، لو أصفرت الدنیا من آل محمد وعباد الله الصالحین؟؟.

* * * ان النتائج الواضحة المستقیمة التی لا عوج فی تأویلها، هی أن الامام

(۲۴۴)

مفاتیـح البحث: الرسول الأکرم محمـد بن عبـد الله صـلی الله علیه وآله (۱)، مدینـة الکوفة (۱)، مسـلم بن عقبة المری (۱)، المغیرة بن شعبة (۲)، عمرو بن العاص (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۱)، الشهادة (۱)

صفحه ۱۵۲

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۴۵

الحسن علیه السلام لو سخا بنفسه وبشیعته، وفرضنا أنه کان قد استطاع حضور میدانه فی " مسکن، " لحکم علی نفسه بالموت حتی لا یبقی اسـمه الا فی کتب الأنساب، وعلی مبـدئه المقدس بالاعدام حتی لا یبقی منه أی أثر بین سـمع الأرض وبصـرها، ولرأیت تاریخه المجیـد وتاریـخ بیته العتیـد، أسـطورة مشوهـة من أبشع الأسـاطیر، یملیها معاویـة کما یشـتهی، ویشـرحها بعـده مروان وآل مروان کما یشاؤون.

وکان معنی ذلک نهایة تاریخ الروحیة الاسلامیة، وبدایة تاریخ أموی له طابعه المعروف وخصائصه الغنیة عن البیان.

وفی الحدیث الشریف ": لو لم یبق من بنی أمیة الا عجوز درداء لبغت دین الله عوجا (۱.")

تری، فهل کان فی امکان الحسن غیر ما کان؟.

وان أقل اسـتقراء وتدبر، یثبتان أنها کانت أفضل طریقة للتخفیف من عرامة الاجراءات المتوقعة، بل کانت الطریقة الوحیدة التی لا ثانیة لها.

وحفظ الحسن بها - حین استیقن هـذه النتائـج کحقائق واقعـة - خطوط اتصاله بالأجیال، بل خطوط اتصال أبیه وجـده علیهما الصـلاة والسلام، من طریق الابقاء علی شیعته، وأنقذ بذلک مبدأه من الإبادة المحققة، وصان تاریخه من التشویه والتزویر والمسخ والازدراء.

وانتزع من الخذلان الذی حاق به فی دنیاه، الانتصار اللامع لروحیته وعقیدته وأخراه.

وهکذا ترک الدنیا لیحفظ الدین.

وذلک هو طابع الإمامة فی هذه الزمرة المبارکة من آل الله.

(۱) الخرائج والجرائح لسعید بن هبة الله الراوندی المتوفی سنة ۵۷۳ (ص ۲۲۸).

القسم الثالث: الصلح، دوافع الفریقین للصلح

(۲۴۵)

مفاتیـح البحث: الإمـام الحسن بن علی المجتبی علیهما السـلام (۱)، بنو أمیـة (۱)، الموت (۱)، الصّلاة (۱)، کتاب الخرائـج والجرائح للقطب الراوندی (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۲)، سعید بن هبة الله (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۱۵۳

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۴۸

وما كان بـدعا من محاولات معاويـة فيما يهـدف اليه، أن يبتدر هو إلى طلب الصـلح (۱)، فيعطى الحسن كل شـرط، ليأخذ عليه شرطا واحدا هو " الملك."

وقرر معاويـة خطتـه هـذه، في بحران نشـاط الفريقيـن للحرب، وكـان في تـوفره على تنفيـذ هـذه الخطـة، أعنـف منـه في عملـه لتنظيم المعسـكرات وتـدبير شؤون الحرب. ورأى ان يبادئ الحسن بطلب الصـلح، فان أجيب اليه فـذاك، والا فلينتزعه انتزاعا، دون أن يلتحم والحسن في قتال.

وكان عليه قبل كل شئ، أن يصطنع في سبيل التمهيد إلى غايته، ظرفا من شأنه ان ينبه خصومه إلى تذكر الصلح.

ومن هنـا طلعت على معسـكرات الحسن عليه السـلام، ألوان الأراجيف، وعمرت سوق الرشوات، وجاء في قائمـة وعوده التي خلب بها ألباب كثير من الزعماء أو المتزعمين: رئاسة جيش، وولاية قطر، ومصاهرة على أميرة أموية!!.. وجاء في أرقام رشواته النقدية الف الف [مليون]!.

واسـتعمل في سبيل هذه الفكرة كل قواه وكل مواهبه وكل تجاربه، واسـتجاب له كثير من باعة الضمائر الذين كانوا لا يفارقون الحسن ظاهرا فإذا هم عيون معاوية التي ترى، وأصابعه التي تعمل، وعملاؤه الذين لا يدخرون وسعا في ترويج أهدافه.

(۱) هـذا هو الصـحيح كما دل عليه خطاب الحسن فيما اسـتشار به أصـحابه في " المدائن " فقال ": ألا وان معاوية دعانا لامر ليس فيه عز ولا نصفة، ".. وكما دلت عليه مصادر أخرى خلافا لبعض المؤرخين الآخرين، والترجيح لخطاب الحسن عليه السلام.

(۲۴۸)

مفاتيـح البحث: الإمـام الحسن بن علي المجتبى عليهما السـلام (۲)، صـلح (يوم) الحديبية (۳)، الهدف (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، النفاذ، التنفيذ (۱)

صفحه ۱۵۴

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۴۹

وكانت الجيوش والأسـلحة والحركات السوقيـة في الزحف إلى المعسـكرات، هي الأخرى بعض وسائله إلى الصـلح، ولم يشأ أن يبـدأ بهم غـاراته على العراق، لأنه لن يلتحم مع الحسن بقتال، الا إذا أعيته الوسائل كلها، والوسائل في عرف معاويـة، غير الوسائل في عرف الناس أو في عرف الدين الجديد.

ومن الحق أن نقول: ان وسـائله في هـذا الميـدان، كـانت من النوع المحبوك الصـنع، الـدقيق الأسـاليب، الموفق كل التوفيق، في سبيل الغرض الذي رمى اليه، من اصطناع الظرف الخاص الذي يذكر عدوه بالصلح.

فإذا باع القائد في جبهة العراق ضميره لمعاوية بالمال، وباع معه أكثر الرؤساء ضمائرهم بالعدات.

وإذا أصبح المعسكران في مسكن والمدائن يعجان بالشائعات التي راحت تمطرهما بوابل من الويل والثبور والمخاوف.

وإذا أصـبح الحسن نفسه لا يتسـنى له تنفيـذ أوامره في جيشه بما فعلته الأراجيف من حوله، بل لا يسـتطيع الظهور بشـخصه أمام الكثرة من جنوده، الا ليغتال بين مضاربه وعلى سواعد أصحابه.

فهل من سبيل الا الصلح؟..

* * * انه الظرف الـذي استعصـى صـلاحه بفسـاد نـاسه، ولاـ تثريب على الحسن من ظرفه إذا فسـد، ونـاسه إذا فشت فيهم الفتنـة، وان

لانحراف الطبائع حكمه، ولحداثة الاسلام خاصتها، فى القلقين من المسلمين أو فى المفروضين على الاسلام فرضا.

وإذا قدر للحسن أن يخسر بخيانة جنوده، أو ببراعة الفتن التى تسلح بها عدوه " معركته الأولى، " فليكن منذ اليوم عند " معركته الثانية " التى لا تنالها خيانة الجنود، ولا يضيرها انحراف الطبائع، ولا تزيدها

(۲۴۹)

مفاتيح البحث: دولة العراق (۲)، صلح (يوم) الحديبية (۳)، القتل (۱)، النفاذ، التنفيذ (۱)

صفحه ۱۵۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۵۰

دسائس العدو ولا أساليب فتنه البارعة الا مضاء ونفوذا وانتصارا مع الأيام.

وتلك هى " الفذلكة " التى أجاد الحسن استغلالها كأحسن ما تكون الإجادة، واستغفل بها معاوية أشد ما يكون فى موقفه من الحسن يقظة ونشاطا وانتباها.

انه لبى طلب معاوية للصلح، ولكنه لم يلبه الا ليركسه فى شروط لا يسع رجلا كمعاوية الا أن يجهر فى غده القريب بنقضها شرطا شرطا. ثم لا يسع الناس - إذا هو فعل ذلك - الا ان يجاهروه السخط والانكار، فإذا بالصلح نواة السخط الممتد مع الأجيال، وإذا بهذا السخط نواة الثورات التى تعاونت على تصفية السيطرة الاغتصابية فى التاريخ.

وليكن هذا هو التصميم السياسى الذى نزل الحسن من طريقه إلى قبول الصلح، ولتكن هذه هى الفذلكة التى استغفل بها معاوية فكانت من أبرز معانى العبقرية المظلومة فى الامام المظلوم.

وأى غضاضة على الحسن - بعد هذا - إذا هو وقع الصلح وفق الخطط المرسومة.

وان له من حراجة ميدانه الأول، ومن الامل بنتائج ميدانه الثانى ما يزين له حديث الصلح، فضلا عما يستأثر به هذا الحديث من ظاهرة الاصلاح فى الأمة، وما يتفق معه من حقن الدماء وصيانة المقدسات، وتحقيق وجهة النظر الاسلامى.

وكانت أشهرا لم تناهز عدد الأصابع العشر، ولكنها ناهزت عدد النجوم هزاهز وزعازع، وكانت قطعة من الزمن يتجه إليها القلب بكل ما يملكه من حب واعجاب، فاحت بروائح النبوة، وتجلت فيها مزايا الإمامة الصادقة، وتكشفت على قلتها وقصر مدتها عن حقائق كثير كثير من

(۲۵۰)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (۵)، الظلم (۱)

صفحه ۱۵۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۵۱

الناس هنا وهناك. وهى الأشهر التى ختمت أعمالها بأفضل خواتيم الاعمال فى الاصلاح، ووصلت بخاتمتها الفضلى مصلحة الدنيا بمصلحة السماء.

وإذا بالحسن بن على، هو ذلك المصلح الأكبر، الذى بشر به جده رسول الله صلى الله عليه وآله فى الحديث الذى سبق ذكره ": ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين."

وان الله سبحانه عود أهل هذا البيت أن يحفظ لهم الشرف فى أعلى مراتبه وفى مختلف ميادينه، فان لم يكن بالانتصار بالسلاح، فليكن بالشهادة الكريمة فى الله وفى التاريخ. وان لم يكن بهذا ولا ـ ذاك فليكن بالاصلاح وجمع الكلمة وتوحيد أهل التوحيد. وكفى

بالاصلاح شرفا وكفى ببقاء الشرف انتصارا. وبقاء الشرف ضمان لبقاء العزة. والعزة حافز دائب يدفع إلى الحياة ويقوم على السيادة.
ومن السهل ان نفهم دوافع الحسن إلى الصلح مما ذكرنا.
* * * أما دوافع معاوية التى اندلف بها من جانبه إلى طلب الصلح، فقد كانت من نوع آخر لا يرجع فى جوهره إلى العجز عن القتال، ولا ـ ينظر فى واقعه إلى وجهة نظر دين أو اصلاح أو حقن دماء، فلا ـ الاصلاح ولا حقن الدماء بالذى يعنى به معاوية فينزل له عن مطامعه فى الفتح. وفى غاراته على المدينة ومكة واليمن، ومواقفه الجريئة بصفين، ما يزيدنا بصيرة فى معرفة الرجل وان قل عارفوه.
إذا، فليكن طموحا نفعيا خالصا، هو الأشبه بتاريخ معاوية الذى جاء تاريخه أشبه باسطورة.
انه خيل اليه بأن تنازل الحسن له عن الحكم، سيكون معناه فى الرأى العام، تنازله عن " الخلافة. " وظن أنه سيصبح – على هذا –
(۲۵۱)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۲)، الحسن بن على (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، الشهادة (۱)، القتل (۱)

صفحه ۱۵۷

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۵۲
"الخليفة الشرعى فى المسلمين (۱.")
وكان الحلم اللذيذ الذى استرخص فى سبيله كل غال، وخفى عليه أن الاسلام أعز جانبا من أن يهضم الأساليب الهوج، أو يعطى اقليده للطلقاء وأبناء الطلقاء.
هذا، ولا ـ ننكر ان يكون لمعاوية بواعث أخرى جعلت منه انسانا آخر ينكر الحرب ويمد يده إلى الصلح ويوقع الشروط ويحلف الايمان ويؤكد المواثيق. ولكنا – إذ نتحرى بواعثه الأخرى – لا ـ نزول عن الاعتقاد بأن الحلم اللذيذ الذى ذكرنا، كان أكبر دوافعه وأشد بواعثه.
وفيما يلى قائمة مناسبات، تصلح لان تكون بعض دوافعه إلى الصلح:
۱ – انه كان يرى أن الحسن بن على عليهما السلام، هو صاحب الحق فى الامر، ولا سبيل إلى اقتناص " الامر " الا من طريق إسكات الحسن – ولو ظاهرا –، ولا سبيل إلى إسكاته الا بالصلح.
اما رأيه بأولوية الحسن بالامر، فقد جاء صريحا فى كتاب اليه قبيل زحفهما للصراع فى مسكن، بقوله له ": انك أولى بهذا الامر وأحق به. " وجاء صريحا فيما قاله لابنه يزيد على ذكر أهل
(۱) وللحسن البصرى كلمته الذهبية فى هذا الموضوع [انتظرها فيما تقرأه عن " معاوية والخلافة " فى الفصل ۱۷]. وأخرج أحمد فى مسنده وأبو يعلى والترمذى وابن حيان وأبو داود والحاكم قوله صلى الله عليه وآله وسلم ": الخلافة بعدى ثلاثون ثم ملك بعد ذلك "وبلفظ أبى نعيم فى الفتن والبيهقى فى الدلائل وغيرهما ": ثم تكون ملكا عضوضا. " والحديث عند جماعة أهل السنة صحيح على شرطهم، وقال قائلهم فيما علق عليه ": انتهت الثلاثون سنة بعده صلى الله عليه (وآله) وسلم بخلافة الحسن بن على عليهما السلام، " وأخرج أبو سعيد عن عبد الرحمن بن أبزى عن عمر أنه قال ": هذا الامر فى أهل بدر ما بقى منهم أحد، ثم فى أهل أحد ما بقى منهم أحد، وفى كذا وكذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شئ. "
أقول: أما بيعته التى أخذها على الناس بأساليبها المعروفة، فلن تجعل غير الجائز جائزا.
(۲۵۲)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، صلح (يوم) الحديبية (۳)، العزّة (۱)، الحرب (۱)، كتاب

مسند أحمد بن حنبل (۱)، الحافظ أبو نعیم (۱)

صفحه ۱۵۸

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۵۳

البیت ": یـا بنی ان الحق حقهم (۱، ") وفیما کتبه إلی زیاد ابن أبیه حیث یقول له علی ذکر الحسن علیه السـلام ": وأما تسـلطه علیک بالامر فحق للحسن أن یتسلط (۲.")

وکذلک رأیناه یستفتی الامام الحسن، فیما یعرض له من معضلات کمن یعترف بإمامته (۳).

ویعترف للحسن بأنه " سید المسلمین (۴. ") وهل سید المسلمین الا امامهم؟.

۲ – انه کان – علی کثرهٔ الوسائل الطیعهٔ لامره – شدیـد التوجس من نتائـج حربه مع الحسن، ولم یکن کتوما (کما یـدعی لنفسه) یوم قـال فی وصف خصومه العراقیین ": فوالله مـا ذکرت عیونهم تحت المغافر بصـفین الا لبس علی عقلی (۵، ") ویوم قـال فیهم " ما لهم غضـبهم الله بشـر، ما قلوبهم الا کقلب رجل واحد (۶، ") فکان یری فی الجنوح إلی الصـلح، مفرا من منازلـهٔ هؤلاء ومواجهـهٔ عیونهم تحت المغافر!!.

۳ – انه کان یهاب موقع الحسن ابن رسول الله (ص) فی الناس، ومقامه الروحی الفرید فی العقیدهٔ الاسلامیهٔ، فیتقی حربه بالصلح.

وکان یری من الجائز، أن یقیض الله لمعسـکر الشام من یتطوع لتنبیه الناس فیه إلی حقیقـهٔ أمر الحسن وفظاعـهٔ موقفهم منه، الامر الـذی من شأنه ان لا یتأخر بمسلمهٔ الجیش فی جبههٔ معاویهٔ عن

(۱) و (۲) ابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۵ وص ۱۳ وص ۷۳).

(۳) وتجـد الشواهد الکثیرهٔ علی ذلک فیما أورده الیعقوبی فی تاریخه (ج ۲ ص ۲۰۱ وص ۲۰۲)، وفیما استعرضه ابن کثیر فی البدایهٔ والنهایهٔ (ج ۸ ص ۴۰)، وفیما رواه فی البحار (ج ۱۰ ص ۹۸).

(۴) الإمامهٔ والسیاسهٔ (ص ۱۵۹ – ۱۶۰).

(۵) المسعودی هامش ابن الأثیر (ج ۶ ص ۶۷) وغیره.

(۶) الطبری (ج ۶ ص ۳).

(۲۵۳)

مفاتیـح البحث: الإمـام الحسن بن علی المجتبی علیهما السـلام (۱)، الرسول الأکرم محمـد بن عبـد الله صـلی الله علیه وآله (۱)، صلح (یوم) الحدیبیهٔ (۲)، الشام (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، کتاب البدایهٔ والنهایهٔ (۱)، إبن الأثیر (۱)

صفحه ۱۵۹

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۵۴

الانتقاض علیه والنکول عنه، وبالجیش کله عن الانهیار أخیرا.

وکان معاویـهٔ لا یزال یتـذکر فی زحفه علی الحسن، حـدیث النعمان بن جبلهٔ التنوخی معه فی " صـفین – " وهو إذ ذاک أحد رؤساء جنوده المحاربین –، وقد صارحه بما لم یصارحه بمثله شامی آخر، وسخر منه بما لم یسخر بمثله رعیهٔ من سلطان. وما یؤمن معاویهٔ أن یشعر الناس تجاهه – الیوم – شعور ذلک التنوخی المغلوب علی أمره – یومئذ.

وکان مما قاله هـذا التنوخی لمعاویهٔ فی صـفین ": والله لقد نصـحتک علی نفسـی، وآثرت ملکک علی دینی، وترکت لهواک الرشـد وأنا أعرفه، وحـدت عن الحق وأنا أبصـره، وما وافقت لرشـد وأنا أقاتل عن ملکک ابن عم رسول الله صـلی الله علیه (وآله) وسـلم وأول

مؤمن به ومهـاجر معه، ولو أعطيناه ما أعطيناك، لكان أرأف بالرعيـة وأجزل فى العطيـة، ولكن قـد بـذلنا لك الامر، ولابـد من اتمامه كان غيا أو رشدا، وحاشا أن يكون رشدا. وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها، إذا حرمنا أثمار الجنة وأنهارها!.. (۱.")

وكان من سياسة معاويـة، حبس أهل الشام عن التعرف على أحد من كبراء المسـلمين - خارج الشام - لئلا يكون لهم من ذلك منفذ إلى انكـاره أو الانقسـام عليه. ولـذلك فلا نعرف كيف تسنى لهـذا الشامى معرفـة ابن عم رسول الله (ص) ومعرفـة سـبقه إلى الايمان ورأفته بالناس وكرمه فى العطاء وأولويته بالامر.

وحرى معاوية على تجهيل أهل الشام بأعلام الاسـلام إلى آخر عهده، وكانت سياسته هذه، هى أداته فى التجمعات التى ساقها لحروب صفين أولا، ولحرب الحسن بن على فى مسكن أخيرا.

وتجد ظاهرة هذه السياسة - بما فيها من اعلان عن ضعف

(۱) المسعودى (هامش ابن الأثير ج ۵ ص ۲۱۶).

(۲۵۴)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، الحسن بن على (۱)، الشام (۳)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۱۶۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۵۵

صاحبها - فيما قاله معاوية ذات يوم لعمرو بن العاص وفد تحدى الحسن بن على (عليهما السـلام)، فرد عليه الحسن بتحديه البليغة التى لم يسـلم منهـا المحرض عليهـا - أيضا -، فقال معاويـة لعمرو ": والله ما أردت الا هتكى، ما كان أهل الشام يرون أن أحـدا مثلى حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا (۱.")

۴ - وكان من الرشاقـة السياسـية التى لا يخطئها معاويـة فى سبيل طموحه الأنانى الا نادرا، أن يدعو إلى " الصـلح " فيلح عليه ويشـهد على دعوته هذه أكبر عدد ممكن من الناس فى القطرين - الشام والعراق - وفى سائر الآفاق التى يصلها صوته من بلاد الاسلام. ثم هو لا يقصـد من وراء هـذه الـدعوة - على ظاهرتها - الا التمهيـد لغده القريب الذى سـتنكشف عنه نتائج الحرب بينه وبين الحسن. وكان أحد الوجهين

(۱) المحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ۱ ص ۶۴).

وفى القصـص التـاريخى نوادر كثيرة عن جهل أهل الشام بأعلام الاسـلام فمن ذلك أن أحـدهم سأل رجلا من زعمائهم وذوى الرأى والعقـل فيهم ": من أبو تراب الـذى يلعنه الامـام - يعنى معاويـة! - على المنبر "؟ قال ": أراه لصا من لصوص الفتن. "!!! وسأل شامى صديقا له وقد سمعه يصلى على محمد (ص "): ما تقول فى محمد هذا، أربنا هو."؟

ولما فتح عبد الله بن على الشام سـنة ۱۳۲ هجرى وجه إلى أبى العباس السـفاح أشياخا من أهل الشام من أرباب النعم والرئاسة، فحلفوا لأبـى العبـاس أنهم ما علموا لرسول الله صـلى الله عليه (وآله) وسـلم قرابـة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى أميـة، حتى وليتم الخلافـة"..!!

يراجع عنه مروج الذهب على هامش الجزء السادس من الكامل لابن الأثير (ص ۱۰۷ و ۱۰۸ و ۱۰۹).

أقول: وهـذا يـدل على أن عامـة الملوك الأـمويين نهجوا على سـياسة معاويـة فى تجهيل الناس بعظمائهم ولا سيما بأهل البيت عليهم السـلام ومنع نفوذ أسـمائهم إلى الشام. ويـدل - أيضا - على مبلغ عناية أولئك الشاميين باسـلاميتهم. والمظنون أن الشام - على العهد الأموى - كانت لا تزال تزخر بأكثريـة غير مسـلمة من بقايا أهلها الأصـليين - الروم والآراميين -. ولا نعهد غير قضيـة الفتح عملا جديا آخر كان من شأنه أن يغير القديم عن قدمه، ولا نعهد تصريحا تاريخيا ينقض علينا هذا الظن.

(۲۵۵)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، دولة العراق (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، عمرو بن العاص (۱)، الشام (۷)، الحرب (۱)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)، الدولة الأموية (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، عبد الله بن على (۱)، بنو أمية (۱)، الظنّ (۱)، الجهل (۱)

صفحه ۱۶۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۵۶

المحتملين، أن يدال للشام من الكوفة وأن تقضى الحرب وذيولها على الحسن والحسين وعلى من اليهما من أهل بيتهما وشيعتهما. ولا تدبير - يومئذ - للعذر من هذه البائقة الكبرى أروع من أن يلقى معاوية مسؤوليتها على الحسن نفسه، ويقول للناس - غير كاذب" - انى دعوت الحسن للصلح، ولكن الحسن أبى الا الحرب، وكنت أريد له الحياة، ولكنه أراد لى القتل، وأردت حقن الدماء، ولكنه أراد هلاك الناس بينى وبينه." ...

ولمعاوية من هذه اللباقة الرائعة أهدافه التى لا تتأخر به عن تصفية الحساب مع آل محمد (ص) تصفيته الأموية الأخيرة، وهو إذ ذاك المنتصر العادل المتظاهر بالانصاف، الذى يشهد له على انصافه كل من كان قد أشهده - قبل الحرب - على ندائه بالصلح. أما الحسن عليه السلام، فلم يكن الرجل الذى تفوته الرشاقة السياسية ولا الأساليب الدقيقة التى يبرع فيها عدوه للكناية به. وانما كان - على كل حال - أكبر من عدوه دهاء، وأبرع منه فى استغلال الظروف واقتناص الفرص السانحة التى تجتمع عليها كلمة الله وكلمة المصلحة معا. فرأى من ظروفه المتداعية، ومن سوء نوايا عدوه فيما أراد من الدعوة إلى " الصلح، " ما استدعاه إلى الجواب بالايجاب.

ثم لم يكفه أنه قضى بذلك على خطط معاوية وشلها عن التنفيذ، حتى أخذ يضع الخطة الحكيمة من جانبه للقضاء على خصومه باسم الصلح. وسيجئ فى الفصول القريبة التوضيح اللائق بالموضوع.

معاهدة الصلح

(۲۵۶)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الدولة الأموية (۱)، مدينة الكوفة (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۵)، القتل (۱)، الشهادة (۱)، الحرب (۳)

صفحه ۱۶۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۵۸

وروى فريق من المؤرخين، فيهم الطبرى وابن الأثير ": أن معاوية أرسل إلى الحسن صحيفة بيضاء مختوما على أسفلها بختمه،" وكتب اليه ": أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ما شئت، فهو لك (۱.")

ثم بتروا الحديث، فلم يذكروا بعد ذلك، ماذا كتب الحسن على صحيفة معاوية. وتتبعنا المصادر التى يسر لنا الوقوف عليها، فلم نر فيما عرضته من شروط الحسن عليه السلام، الا النتف الشوارد التى يعترف رواتها بأنها جزء من كل. وسجل مصدر واحد صورة ذات بدء وختام، فرض أنها [النص الكامل لمعاهدة الصلح]، ولكنها جاءت - فى كثير من موادها - منقوضة بروايات أخرى تفضلها سندا، وتزيدها عددا.

* * ولنا لو أردنا الاكتفاء، أن نكتفى - فى سبيل التعرف على محتويات المعاهدة - برواية (الصحيفة البيضاء)، كما فعل رواتها السابقون، فبتروها اكتفاء باجمالها عن التفصيل، ذلك لان تنفيذ الصلح على قاعدة " اشترط ما شئت فهو لك " معناه أن الحسن

أغرق الصحیفة المختومة فی أسفلها، بشتی شروطه التی أرادها، فیما یتصل بمصلحته، أو یهدف إلی فائدته، سواء فی نفسه أو فی أهل بیته أو فی شیعته أو فی أهدافه، ولا شئ یحتمل غیر ذلک.

وإذا قدر لنا – الیوم – أن لا ـ نعرف تلک الشروط بمفرداتها، فلنعرف أنها کانت من السعة والسماحة والجنوح إلی الحسن، بحیث صححت ما یکون من الفقرات المنقولة عن المعاهدة أقرب إلی صالح الحسن،

(۱) الطبری (ج ۶ ص ۹۳) وابن الأثیر (ج ۳ ص ۱۶۲).

(۲۵۸)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۲)، إبن الأثیر (۲)، الوسعة (۱)، الهدف (۱)، النفاذ، التنفیذ (۱)

صفحه ۱۶۳

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۵۹

ورجحته علی ما یکون منها فی صالح خصومه، کنتیجة قطعیة لحریة الحسن علیه السلام فی أن یکتب من الشروط ما یشاء.

ورأینا بدورنا، وقد أخطأنا التوفیق عن تعرف ما کتبه الحسن هناک، أن ننسق – هنا – الفقرات المنثورة فی مختلف المصادر من شروط الحسن علی معاویة فی الصلح، وأن نؤلف من مجموع هذا الشتات صورة تحتفل بالأصح الأهم، مما حملته الروایات الکثیرة عن هذه المعاهدة، فوضعنا الصورة فی مواد، وأضفنا کل فقرة من الفقرات إلی المادة التی تناسبها، لتکون – مع هذه العنایة فی الاختیار والتسجیل – أقرب إلی واقعها الذی وقعت علیه.

والیک هی صورة المعاهدة التی وقعها الفریقان المادة الأولی:

تسلیم الامر إلی معاویة، علی أن یعمل بکتاب الله وبسنة رسوله (۱) (صلی الله علیه وآله)، وبسیرة الخلفاء الصالحین (۲).

المادة الثانیة:

أن یکون الامر للحسن من بعده (۳)، فان حدث به حدث

(۱) المدائنی – فیما رواه عنه ابن أبی الحدید فی شرح النهج – (ج ۴ ص ۸).

(۲ ") فتح الباری " شرح صحیح البخاری – فیما رواه عنه ابن عقیل فی النصایح الکافیة – (ص ۱۵۶ الطبعة الأولی)، والبحار (ج ۱۰ ص ۱۱۵).

(۳) تاریخ الخلفاء للسیوطی (ص ۱۹۴)، وابن کثیر (ج ۸ ص ۴۱)، والإصابة (ج ۲ ص ۱۲ و ۱۳)، وابن قتیبة (ص ۱۵۰) ودائرة المعارف الاسلامیة لفرید وجدی (ج ۳ ص ۴۴۳ الطبعة الثانیة) وغیرهم.

(۲۵۹)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)، کتاب الکافئة للشیخ المفید (۱)، کتاب صحیح البخاری (۱)، کتاب فتح الباری (۱)

صفحه ۱۶۴

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۶۰

فلأخیه الحسین (۱)، ولیس لمعاویة أن یعهد به إلی أحد (۲).

المادة الثالثة:

أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة (۳)، وأن لا يذكر عليا الا بخير (۴).

المادة الرابعة:

استثناء ما فى بيت المال الكوفة، وهو خمسة آلاف الف فلا يشمله تسليم الامر. وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام الفى الف درهم، وأن يفضل بنى هاشم فى العطاء والصلات على بنى عبد شمس، وأن يفرق فى أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين الف الف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد (۵).

المادة الخامسة:

"على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، فى شامهم

(۱) عمدة الطالب لابن المهنا (ص ۵۲).

(۲) المدائنى - فيما يرويه عنه فى شرح النهج - (ج ۴ ص ۸)، والبحار (ج ۱۰ ص ۱۱۵)، والفصول المهمة لابن الصباغ وغيرهم.

(۳) أعيان الشيعة (ج ۴ ص ۴۳).

(۴) الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين (ص ۲۶)، وشرح النهج (ج ۴ ص ۱۵) وقال غيرهما ": ان الحسن طلب إلى معاوية أن لا يشتم عليا، فلم يجبه إلى الكف عن شتمه، وأجابه على أن لا يشتم عليا وهو يسمع. " قال ابن الأثير ": ثم لم يف به أيضا."

(۵) تجد هذه النصوص متفرقة فى الإمامة والسياسة (ص ۲۰۰) والطبرى (ج ۶ ص ۹۲) وعلل الشرائع لابن بابويه (ص ۸۱) وابن كثير (ج ۸ ص ۱۴) وغيرهم.

و (دار ابجرد) ولاية بفارس على حدود الأهواز. وجرد أو جراد: هى البلد أو المدينة بالفارسية القديمة والروسية الحديثة، فتكون دار ابجرد بمعنى (مدينة دار ابجرد).

(۲۶۰)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، بنو هاشم (۱)، القتل (۲)، السب (۱)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (۱)، كتاب علل الشرايع للصدوق (۱)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۱۶۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۶۱

وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وان يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحدا بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق باحنة (۱.")

"وعلى أمان أصحاب على حيث كانوا، وأن لا ينال أحدا من شيعة على بمكروه، وأن أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لاحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذى حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب على حيث كانوا.. (۲.")

"وعلى أن لا يبغى للحسن بن على، ولا لأخيه الحسين، ولا لاحد من أهل بيت رسول الله، غائلة، سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم، فى أفق من الآفاق (۳.")

الختام:

قال ابن قتيبة ": ثم كتب عبد الله بن عامر - يعنى رسول معاوية إلى الحسن (ع) - إلى معاوية شروط الحسن كما أملاها عليه، فكتب معاوية جميع ذلك بخطه، وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكدة، والايمان المغلظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام، ووجه به إلى عبد الله

(۱) المصادر: مقاتل الطالبیین (ص ۲۶)، ابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۱۵)، البحار (ج ۱۰ ص ۱۰۱ و ۱۱۵)، الدینوری (ص ۲۰۰)، ونقلنا کل فقرة من مصدرها حرفیا.

(۲) یتفق علی نقل کل فقرة أو فقرتین أو أکثر، من هذه الفقرات التی تتضمن الأمان لأصحاب علی علیه السلام وشیعته، کل من الطبری (ج ۶ ص ۹۷)، وابن الأثیر (ج ۳ ص ۱۶۶)، وأبی الفرج فی المقاتل (ص ۲۶)، وشرح النهج (ج ۴ ص ۱۵)، والبحار (ج ۱۰ ص ۱۱۵)، وعلل الشرائع (ص ۸۱)، والنصائح الکافیة (ص ۱۵۶).

(۳) البحار (ج ۱۰ ص ۱۱۵)، والنصائح الکافیة (ص ۱۵۶ – ط. ل).

(۲۶۱)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، دولة العراق (۱)، عبد الله بن عامر (۱)، الشام (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، کتاب علل الشرایع للصدوق (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، کتاب مقاتل الطالبیین لأبو الفرج الأصفهانی (۱)، کتاب الکافئة للشیخ المفید (۲)، إبن الأثیر (۱)، الفرج (۱)

صفحه ۱۶۶

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۶۲

ابن عامر، فأوصله إلی الحسن (۱.")

وذکر غیره نص الصیغة التی کتبها معاویة فی ختام المعاهدة فیما واثق الله علیه من الوفاء بها، بما لفظه بحرفه:

"وعلی معاویة بن أبی سفیان بذلک، عهد الله ومیثاقه، وما أخذ الله علی أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطی الله من نفسه (۲).

وکان ذلک فی النصف من جمادی الأولی سنة ۴۱ – علی أصح الروایات –.

(۱) الإمامة والسیاسة (ص ۲۰۰).

(۲) البحار (ج ۱۰ ص ۱۱۵).

دراسة النصوص البارزة فی المعاهدة

(۲۶۲)

مفاتیح البحث: معاویة بن أبی سفیان لعنهما الله (۱)، شهر جمادی الأولی (۱)

صفحه ۱۶۷

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۶۴

لتکن صیغة المعاهدة بما لولوت علیه من عناصر موضوعیة لها أهمیتها فی الناحیتین الدینیة والسیاسیة، شاهدا جدیدا علی ما وفق له واضع بنودها من سمو النظر فی الناحیتین جمیعا.

ومن الحق ان نعترف للحسن بن علی علیهما السلام – علی ضوء ما أثر عنه من تدابیر ودساتیر هی خیر ما تتوصل الیه اللباقة الدبلوماسیة لمثل ظروفه من زمانه وأهل زمانه – بالقابلیات السیاسیة الرائعة التی لو قدر لها أن تلی الحکم فی ظرف غیر هذا الظرف، وفی شعب أو بلاد رتیبة بحوافزها ودوافعها، لجاءت بصاحبها علی رأس القائمة من السیاسیین المحنکین وحکام المسلمین اللامعین.

ولن یکون الحرمان یوما من الأیام، ولا الفشل فی میدان من المیادین بدوافعه القائمة علی طبیعة الزمان، دلیلا علی ضعف أو منفذا إلی نقد، ما دامت الشواهد علی بعد النظر وقوة التدبیر وسمو الرأی، کثیرة متضافرة تکبر علی الریب وتنبو عن النقاش.

وللقابلیات الشخصیة مضاؤها الذی لا یعدم مجال العمل، مهما حد من تیارها الحرمان أو ثنی من عنانها الفشل. وها هی ذی من لدن

هـذا الرجل العظيم تسـتجد - منـذ الآن - ميـدانها البكر، القائم على الفكرة الجديدة القائمة على صـيانة حياة أمة بكاملها فى حاضـرها ومستقبلها، بما تضعه فى هذه المعاهدة من خطوط، وبما تستقبل به خصومها من شروط.

وانك لتلمح من بلاغة المعاهدة بموادها الخمس، أن واضـعها لم يعالج موضوعه جزافا، ولم يتناوله تفاريق وأجزاء، وانما وضع الفكرة وحدة متماسكة الاجزاء متناسقة الاتجاهات. وتوفر فيها على تحرى أقرب المحتملات إلى التنفيذ عمليا، فى سبيل الاحتياط لثبوت حقه الشرعى، وفى

(۲۶۴)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الخمس (۱)، الشهادة (۱)

صفحه ۱۶۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۶۵

سبيـل صـيانة مقـامه ومقـام أخيه، وتيسـير شؤون أسـرته وحفظهم، واعتصم فيهـا بالأمان لشـيعته وشـيعة أبيه وإنعاش أيتامهم، ليجزيهم بـذلك على ثباتهم معه ووفائهم مع أبيه، وليحتفظ بهم أمناء على مبدئه وأنصارا مخلصـين لتمكين مركزه ومركز أخيه، يوم يعود الحق إلى نصـابه. وسـلم فيها " الأمر " إلى معاويـة مشـروطا بالعمل على سـنة النبى (ص) وسـيرة الخلفاء الصالحين، فقلص بـذلك من نفوذ عـدوه فى " الأمر " بما عرضه - من وراء هذا الشـرط - للمخالفات التى لا عد لها ولا حد لنقمتها، وهو إذ ذاك اعرف الناس بمعاوية وبقابلياته الخلقية تجاه هذا الشرط.

والمعاهدة - بعد - هى الصكك الذى وقعه الفريقان ليسجلا على أنفسهما الالتزام بما أعطى كل منها صاحبه وبما أخذ عليه. وهى هنا - على الأكثر - قضية " ماديات " محدودة لج فى تحصيلها أحد الفريقين لقاء " معنويات " لا حد لها استأثر بها الفريق الثانى.

فلم يهدف معاوية فى صـلحه مع الحسن (ع)، الا للاستيلاء على الملك، ولم يرض الحسن بتسليم الملك لمعاوية الا ليصون مبادئه من الانقراض، وليحفظ شيعته من الإبادة، وليتأكد السبيل إلى استرجاع الحق المغصوب يوم موت معاوية.

ومن سداد الرأى أن لا نفهم مغزى هذه المعاهدة الا على هذا الوجه.

ولكى نتبين صـحة هـذا التفسـير لأهداف الفريقين يوم صـلحهما، علينا ان نتحلل هنا فى سبيل الكشف عن حقيقة تاريخية لها أهميتها، من التعبد بأقوال المؤرخين وبتصـرفاتهم، وأن نرجع توا إلى التصـريحات الشخصية التى فاه بها كل من المتعاقدين أنفسهما، فيما يمت إلى عناصـر اتفاقيتهما هذه، أو فيما يلقى الضوء على تفسـير ما يفتقر إلى التفسـير منها. ولعلنا سـنصل من وراء هذا الأسـلوب فى طريقة الاستنتاج، إلى حل شئ كثير من الرموز التى استعصى حلها على كثير من الأصدقاء فى التاريخ.

(۲۶۵)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السـلام (۱)، الرسول الأكرم محمـد بن عبد الله صـلى الله عليه وآله (۱)، الهدف (۱)

صفحه ۱۶۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۶۶

۱ - تصريحات الفريقين:

ويكفينا الآن من تصـريحات معاوية بعد الصـلح، فيما يمت إلى معاهدته مع الحسن عليه السلام قوله فيما يرويه عنه كثير منهم ابن كثير (۱ "): رضـينا بها ملكا، " وقوله فى التمهيـد لهـذه المعاهدة - قبل الصـلح - فيما كان يراسل به الحسن ": ولك أن لا يسـتولى عليك

بالإساءة ولا تقضى دونك الأمور ولا تعصى فى أمر (٢.")

ويكفينا من تصريحات الحسن (ع) ما قاله أكثر من مرة فى سبيل افهام شيعته حيثيات صلحه مع معاوية ": ما تدرون ما فعلت والله للذى فعلت خير لشيعتى مما طلعت عليه الشمس. " وما قاله مرة أخرى لبشير الهمدانى وهو أحد رؤساء شيعته فى الكوفة ": ما أردت بمصالحتى الا ان أدفع عنكم القتل (٣، ") وما قاله فى خطابه - بعد الصلح " -: أيها الناس ان الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية، وان أدرى لعله فتنة ومتاع إلى حين (۴.")

وليس فى شئ من هذه التصريحات ولا فى الكثير مما جرى على نسقها، سواء من معاوية أو من الحسن عليه السلام، ما يستدعينا إلى الالتواء فى فهم العقد القائم بينهما، الذى لم يقصد منه الا الأهداف التى أشرنا إليها آنفا. فلمعاوية طموحه إلى الملك، وللحسن خطته فى حماية الشيعة من القتل، وصيانة المبادئ الدينية التى هى خير مما طلعت عليه الشمس، والمسالمة إلى حين.

ولا- بدع - بعد هذا - فى تقرير هذه الحقيقة على واقعها، وفى التنبيه إلى جنف كثير من المؤرخين فيما حرفوا من أهداف كل من المتعاقدين، وفيما أساءوا فهمه من نصوصهما. ولقد ترى، ان المعاهدة نفسها

(١) فى تاريخه (ج ۶ ص ٢٢٠).

(٢) ابن أبى الحديد (ج ۴ ص ١٣).

(٣) الدينورى (ص ٢٠٣).

(۴) اليعقوبى (ج ٢ ص ١٩٢).

(٢۶۶)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٣)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٣)، الهدف (١)، القتل (٢)، إبن أبى الحديد المعتزلى (١)

صفحه ۱۷۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢۶٧

وتصريحات المتعاقدين أنفسهما، لم تنبس قط، بذكر بيعة ولا امامة ولا خلافة. فأين إذا، ما يدعيه غير واحد من هؤلاء المؤرخين وعلى رأسهم ابن قتيبة الدينورى، من أن الحسن بايع معاوية على الإمامة!!..

وقبل الانتقال إلى مناقشة هذا الموضوع، أو مناقشة القائلين به نتقدم بتمهيد عابر عن نسبة الخلافة الاسلامية إلى معاوية بن أبى سفيان، وامتناع البيعة الشرعية لمثله، فنقول:

معاوية والخلافة:

لقد مر فيما ذكرناه بين أطواء المناسبات الآنفة، أن خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الاسلام لا ينبغى ان تكون الا فى أقرب المسلمين شبها به فى سائر مزاياه الفضلى، وانه ليس لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شئ فى هذا الامر (كما قاله عمر)، وأن الخلافة بعد رسول الله ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا (الحديث كما صححه أهل السنة)، وأن لا امامة الا بالنص والتعيين (كما عليه الشيعة والمعتزلة)، وأن الغلبة والقوة لا تجعل غير الجائز جائزا، فلا يصح أخذ الخلافة عنوة ولا فرضها على المسلمين قسرا، وأن الذى يكون خليفة النبى (ص) لا- يمكن أن ينقاد - لا ظاهرا ولا سرا - إلى مناقضته فى أحكامه، فيلحق العهار بالنسب ويصلى الجمعة يوم الأربعاء وينقض عهد الله بعد ميثاقه.

ونزيد هنا: أن قادة الرأى فى الأمة الاسلامية منذ عهد معاوية والى يوم الناس هذا، لم يفهموا من استيلاء معاوية على الامر، معنى الخلافة عن رسول الله (ص) بما فى هذا اللفظ من معنى، رغم الدعاوة الأموية النشيطة التى تجند لها الخلفاء الأميون من بنى أمية ومن

إلیهم، زهاء الف شهر، هی مدة حکمهم فی الاسلام، أنفقوا فیها الرشوات بسخاء، ووضعوا فیها الأحادیث والأقاصیص وفق الخطط والأهواء، ثم بقی معاویة – مع کل ذلک – ملکا دنیویا وخلیفة اسمیا لا أقل ولا أکثر.

دخل علیه – بعد أن استقر له الامر – سعد بن أبی وقاص فقال له:

(۲۶۷)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۳)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، معاویة بن أبی سفیان لعنهما الله (۱)، الدولة الأمویة (۱)، مدرسة المعتزلة (۱)، بنو أمیة (۱)، الصّلاة (۱)

صفحه ۱۷۱

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۶۸

"السلام علیک أیها الملک " فضحک له معاویة وقال ": ما کان علیک یا أبا اسحق لو قلت: یا أمیر المؤمنین، " قال ": أتقولها جذلان ضاحکا، والله ما أحب انی ولیتها بما ولیتها به (۱.")

وقال ابن عباس لأبی موسی الأشعری فی کلام طویل ": ولیس فی معاویة خصلة تقربه من الخلافة (۲.")

وقال أبو هریرة فی سبیل انکاره خلافة معاویة فیما یرویه عن رسول الله (ص "): الخلافة بالمدینة والملک بالشام (۳.")

وسئل سفینة مولی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم – فیما أخرجه ابن أبی شیبة – عن استحقاق بنی أمیة للخلافة، فقال ": کذب بنو الزرقاء بل هم ملوک من شر الملوک، وأول الملوک معاویة (۴.")

وأنکرت عائشة علی معاویة ادعاءه الخلافة وبلغه ذلک، فقال ": عجبا لعائشة تزعم انی فی غیر ما أنا أهله، وأن الذی أصبحت فیه لیس لی بحق، مالها ولهذا یغفر الله لها (۵.")

وحضر أبو بکرة (أخو زیاد لامه) مجلس معاویة، فقال له ": حدثنا یا أبا بکرة، " فقال [فیما أخرجه ابن سعید "]: انی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول: الخلافة ثلاثون ثم یکون الملک قال عبد الرحمن بن أبی بکرة ": وکنت مع أبی فأمر معاویة فوجئ فی أقفائنا حتی أخرجنا (۶.")

(۱) ابن الأثیر فی الکامل (ج ۳ ص ۱۶۳) والنصائح الکافیة (ص ۱۵۸).

(۲) المسعودی (هامش ابن الأثیر ج ۶ ص ۷).

(۳) ابن کثیر (ج ۶ ص ۳۲۱).

(۴) النصائح الکافیة (ص ۱۵۳ – طبع إیران).

(۵) شرح النهج (ج ۴ ص ۵).

(۶) النصائح الکافیة (ص ۱۵۹ – ط. أ).

(۲۶۸)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۳)، عبد الله بن عباس (۱)، أبو هریرة العجلی (۱)، بنو أمیة (۱)، الشام (۱)، الکذب، التکذیب (۱)، السفینة (۱)، دولة ایران (۱)، کتاب الکافئة للشیخ المفید (۳)، إبن الأثیر (۲)

صفحه ۱۷۲

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۶۹

وسأل معاویة صعصعة بن صوحان العبدی قائلا ": أی الخلفاء رأیتمونی، "؟ فقال صعصعة ": أنی یکون الخلیفة من ملک الناس قهرا

ودانهم کبرا، واستولی بأسباب الباطل کـذبا ومکرا. أما والله ما لک فی یوم بدر مضرب ولا مرمی، ولقد کنت أنت وأبوک فی العیر والنفیر، ممن أجلب علی رسول الله صلی الله علیه (وآله) وسلم. وانما أنت طلیق وابن طلیق أطلقکما رسول الله صلی الله علیه (وآله) وسلم. فأنی تصلح الخلافة لطلیق؟! (۱.")

ودخل علیه صدیقه المغیرة بن شعبة، ثم انکفأ عنه وهو یقول لابنه ": انی جئت من أخبث الناس!! (۲.")

ولعنه عامله سمرة یوم عزله عن ولایة البصرة، فقال ": لعن الله معاویة والله لو أطعت الله کما أطعته لما عذبنی أبدا (۳.")

وقال الحسن البصری ": أربع خصال کن فی معاویة لو لم یکن فیه منهن الا واحدة لکانت موبقة: انتزاؤه علی هذه الأمة بالسفهاء حتی ابتزها امرها (یعنی الخلافة) بغیر مشورة منهم وفیهم بقایا الصحابة وذوو الفضیلة، واستخلافه ابنه بعده سکیرا خمیرا یلبس الحریر ویضرب بالطنابیر، وادعاؤه زیادا وقد قال رسول الله صلی الله علیه (وآله) وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجرا، ویل له من حجر وأصحاب حجر، (مرتین) (۴.")

وأبی المعتزلة بیعة معاویة بعد الصلح، واعتزلوا الحسن ومعاویة جمیعا، وبذلک سموا أنفسهم " المعتزلة (" ۵).

(۱) المسعودی (هامش ابن الأثیر ج ۶ ص ۷).

(۲) مروج الذهب (ج ۲ ص ۳۴۲)، وابن أبی الحدید (ج ۲ ص ۳۵۷).

(۳) ابن الأثیر فیما یرویه عنه فی النصائح (ص ۹).

(۴) الطبری (ج ۶ ص ۱۵۷ - الطبعة الأولی).

(۵) کتاب التنبیه والرد علی أهل الأهواء والبدع: لمحمد بن أحمد الملطی المتوفی سنة ۳۷۷ هجری (ص ۲۸).

(۲۶۹)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۳)، مدرسة المعتزلة (۲)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، المغیرة بن شعبة (۱)، مدینة البصرة (۱)، صعصعة بن صوحان (۱)، الحسن البصری (۱)، الباطل، الإبطال (۱)، القتل (۱)، اللبس (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، إبن الأثیر (۲)، محمد بن أحمد (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۱۷۳

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۷۰

ثم مشی موکب الزمان بتاریخ معاویة، فإذا به المثال الذی یضربه فقهاء المذاهب الأربعة، للسلطان الجائر (۱)..

وإذا به الباغی الذی یجب قتاله برأی أبی حنیفة النعمان بن ثابت (۲).

فأین الخلافة المزعومة، یا تری؟.

وجاء المعتضد العباسی، فنشر من جدید فعال معاویة وبوائقه الکبری وما قیل فیه، وما روی فی شأنه. ودعا المسلمین إلی لعنه، فی مرسوم ملکی أذیع علی الناس سنة ۲۸۴ للهجرة (۳).

وقال الغزالی بعد ذکره لخلافة الحسن بن علی (ع "): وأفضت الخلافة إلی قوم تولوها بغیر استحقاق (۴.")

وکان أروع ما ذکره به القرن السادس، قول نقیب البصرة فیه ": وما معاویة الا کالدرهم الزائف (۵.")

وصرح ابن کثیر بنفی الخلافة عن معاویة استنادا إلی الحدیث، قال ": قد تقدم أن الخلافة بعده علیه السلام ثلاثون سنة، ثم تکون ملکا، وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن علی، فأیام معاویة أول الملک (۶.")

وقال الدمیری المتوفی سنة ۸۰۸ هجری بعد ذکره مدة خلافة الحسن (ع "): وهی تکملة ما ذکره رسول الله صلی الله علیه (وآله) وسلم من مدة

(۱) وذلک فی اتفاقهم علی جواز تقلد القضاء من السلطان الجائر، استنادا إلی عمل الصحابهٔ فی تقلدهم القضاء من معاویهٔ.

(۲) قال أبو حنیفهٔ ": أتدرون لم یبغضنا أهل الشام. "؟ قالوا ": لا. " قال ": لأنا نعتقد أن لو حضرنا عسکر علی بن أبی طالب کرم الله وجهه، لکنا نعین علیا علی معاویـهٔ، ونقاتل معاویـهٔ لأجل علی، فلـذلک لا یحبوننا. " یراجع النصائـح الکافیهٔ لابن عقیل (ص ۳۶) فیما یرویه عن أبی شکور فی کتابه " التمهید فی بیان التوحید."

(۳) نجد نص المرسوم علی طوله فی تاریخ الطبری (ج ۱۱ ص ۳۵۵).

(۴) دائرهٔ معارف القرن العشرین لفرید وجدی (ج ۳ ص ۲۳۱).

(۵) أبو جعفر النقیب (ص ۴۱ – طبع بغداد).

(۶) البدایهٔ والنهایهٔ (ج ۸ ص ۱۹).

(۲۷۰)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السـلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السـلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صـلی الله علیه وآله (۱)، السلطان الجائر (۲)، النعمان بن ثابت (۱)، مدینهٔ البصرهٔ (۱)، الحسن بن علی (۱)، الدمیری (۱)، القتل (۱)، الوفاهٔ (۱)، کتاب البدایهٔ والنهایهٔ (۱)، کتاب الکافئهٔ للشیخ المفید (۱)، علی بن أبی طالب (۱)، کتاب تاریخ الطبری (۱)، مدینهٔ بغداد (۱)، الشام (۱)، البغض (۱)، الجواز (۱)

صفحه ۱۷۴

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحهٔ ۲۷۱

الخلافهٔ، ثم تکون ملکا عضوضا ثم تکون جبروتا وفسادا فی الأرض، وکان کما قال رسول الله صلی الله علیه وسلم (۱.")

وجـاء محمـد بن عقیـل – أخیرا – فکتب کتـابه الجلیـل " النصائـح الکافیـهٔ لمن یتولی معاویـهٔ " وهو بحق: القول الفصـل فی موضوع معاویهٔ، وقد طبع الکتاب مرتین، فلیراجع.

* * وفی اباء التشریع الاسلامی مثل هذه الخلافهٔ – أولا –.

وفی المخالفات الصلع التی ثبتت علی معاویهٔ للنبی صلی الله علیه وآله وسلم – ثانیا –.

وفی انکـار قـادهٔ الرأی المسـلمین علیه – فی مختلف العصور الاسـلامیهٔ – ادعـاءه الخلافـهٔ – ثالثا – ما یکفینا مؤنـهٔ البحث فی موضوع (معاویهٔ والخلافهٔ).

وکذلک کان الحسن نفسه بعد تسـلیم الامر لمعاویهٔ، صـریحا فی نفی الخلافهٔ عنه، شأنه فی ذلک شأن سائر القادهٔ من المسلمین. فقال فی خطابه یوم الاجتماع فی الکوفهٔ ": وان معاویهٔ زعم أنی رأیته للخلافهٔ أهلا ولم أر نفسی لها أهلا، فکذب معاویهٔ. نحن أولی الناس بالناس فی کتاب الله عز وجل وعلی لسان نبیه. " وسیأتی ذکر خطابه هذا فی [الفصل ۱۸].

وقال فی خطاب آخر له – بعـد الصـلح – وکان معاویـهٔ حاضـرا ": ولیس الخلیفـهٔ من دان بالجور وعطل السـنن واتخـذ الدنیا أبا وأما، ولکن ذلک ملک أصاب ملکا یمتع به، وکان قد انقطع عنه، واسـتعجل لذته وبقیت علیه تبعته، فکان کما قال الله جل وعز: وان أدری لعله فتنهٔ ومتاع إلی حین (۲.")

* * *

(۱) حیاهٔ الحیوان (ج ۱ ص ۵۸).

(۲) ذکرها البیهقی فی المحاسن والمساوئ (ج ۲ ص ۶۳) وذکرها غیره.

(۲۷۱)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، كتاب الكافئة للشيخ المفيد (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، محمد بن عقيل (١)، كتاب حياة الحيوان للدميرى (١)

صفحه ۱۷۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٢

٢ - حديث البيعة:

وجاء فيما يرويه الكلينى رحمه الله (ص ٦١ "): ان الحسن اشترط على معاوية أن لا يسميه أمير المؤمنين."

وجاء فيما يرويه ابن بابويه رحمه الله فى العلل (ص ٨١)، ورووا غيره أيضا ": أن الحسن اشترط على معاوية أن لا يقيم عنده شهادة."

ولا أكثر مما تضمنته هاتان الروايتان تحفظا عن الاعتراف بصحة خلافة معاوية فضلا عن البيعة له. ولم يكن ثمة الا تسليم الملك الذى عبرت عنه المعاهدة " بتسليم الامر " وعبر عنه آخرون بتسليم الحكم.

اما قول الدينورى فى " الإمامة والسياسة " أن الحسن بايع معاوية على الإمامة، فهو القول الذى يصطدم قبل كل شئ بقابليات معاوية التى عرفنا قريبا النسبة بينها وبين الخلافة وصلاحية البيعة على المسلمين، ويصطدم ثانيا بتصريحات الحسن فى انكار خلافة معاوية. سواء فى خطابيه الآنفين، أو فى تحفظاته الواضحة فى هاتين الروايتين.

وهكذا دل الدينورى فيما مر عليه من قضايا الحسن ومعاوية، على تحيز واضح لا يليق بمؤرخ يعيش فى القرن الثالث حيث لا معاوية ولا ـ رشواته ولا دعاواته، ولكنها الدوافع العاطفية التى لم يسلم من تأثيرها كثير من مؤرخينا المسلمين ... فقال مرة أخرى ": ولم ير الحسن والحسين طول حياة معاوية منه سوءا فى أنفسهما ولا مكروها. "! أقول: وأى سوء يصاب به انسان أعظم من قتله سما؟. وأى مكروه ينزل بانسان أفظع من اغتصاب عرشه ظلما؟. فأين مقاييس الدينورى بعد هذا يا ترى؟

ونحن إذ أردنا هنا، ان نتعسف للمتسرعين إلى ذكر البيعة عذرا أو شبه عذر، حملناهم على التأثر بالدعاوات الكثيرة التى كانت لا تزال آخذة بالإسماع، ولم يكن فى التاريخ قضية أبرز من انتقال الحكم فى الاسلام من سبط النبى نفسه، إلى طليق من الطلقاء المعروفين بتاريخهم القريب، ولذلك

(٢٧٢)

مفاتيح البحث: القتل (١)، الشهادة (١)

صفحه ۱۷۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٣

فقد بلغ الكلف بالمنكرين على الصلح حدا استساغوا به الاسترسال فى ذيوله وحواشيه، فحوروا ما كان، وزوروا ما لم يكن. ومن هنا نسج الخيال حديث البيعة، وكان فى اللغط بهذا الحديث - المصطنع - غرض قوى للقوة القائمة على الحكم بعد حادثة الصلح، لأنه الدعامة التى تسند دعاواتهم باستحقاق الخلافة المزعومة، الامر الذى تصايح المسلمون بانكاره لهم وانكارهم له، منذ قال سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ": كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك وأول الملوك معاوية."

ثم جاءت السطحية الساذجة التى تقمصها اخواننا المؤرخون فيما جمعوه أو فيما فرقوه من تاريخ الاسلام، فمروا على هذه الاقصوصة المصطنعة كحقيقة واقعة، وكان القليل منهم من وقف عن الفضول فى الكلام، وكان منهم من جاوز الحقيقة فخلط وخبط، حتى نسب إلى الحسن نفسه الاعتراف بالبيعة صريحا!. وكان منهم من أوقعه الخلط والخبط فى فرية وضيعة لا تجمل بمروءة الرجل المسلم فيما يكتبه عن سبط من أسباط نبيه العظيم (ص)، فضلا عن نبوها المكشوف بأمانة التاريخ، فادعى انه باع الخلافة بالمال!!..

ولسنا الآن بصدد الرد على تقولات الأفاكين.

ولكننا إذ نبرئ حديث الصلح بواقعه الأول الذى رضيه الفريقان من قضية البيعة المزعومة، لا نعتمد فى التبرئة الا على الفهم الذى يجب ان يفهمه المسلم من معنى البيعة ومن معنى الإمامة على حقيقتهما - هذا أولا وأما ثانيا فلما مر عليك قريبا من روايات الحادثة، ومن تصريحات ذوى الشأن فى الموضوع.

وما من حقيقة تتعاون على تقريرها مثل هذه الأدلة فتبقى مجالا للشك.

وقديما اعتاد الناس أن يرجعوا فى كشف الوقائع الماضية إلى أقوال المؤرخين القدامى، ممن عاصر تلك الوقائع أو جاء بعدها بقليل أو كثير من الزمن. وكان من الجمود على هذه الطريقة ما أدى فى الأجيال المتأخرة

(۲۷۳)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، صلح (يوم) الحديبية (۳)، التاريخ الإسلامى (۱)، الكذب، التكذيب (۱)، السفينة (۱)

صفحه ۱۷۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۷۴

إلى مختلف الآراء وشتى التحزبات، بين المجتمع الواحد وفى الأفق الواحد والدين الواحد، ذلك لان مراجع هذا التاريخ أنفسهم، كانوا يعيشون تحت تأثير آراء وتحزبات لا معدى لهم عنها فى مثل عصورهم. ومن الصعب جدا أن يطيق كاتب ما يومئذ التحلل - فيما يكتب - من المؤثرات العاطفية التى تشترك فى تكوينه أدبيا وفى تدوير أعماله ومصالحه اجتماعيا. ومن هنا كان هذا القلق الملموس - المأسوف عليه - فى كثير من موضوعات التاريخ الاسلامى.

ومن الحق أن نعتقد هنا، بأن قصة " البيعة " التى طعنت بها قضية الحسن فى صلحه مع معاوية، انما كانت وليدة تلك المؤثرات التى كتب المؤرخون تحت تأثيرها تواريخهم، فرأوا من الدعاوات المغرضة لتسجيل هذه القصة كحقيقة واقعة ما يحفزهم إلى حسن الاحتذاء، تطوعا للمنفعة العاجلة أو جهلا بالواقع، ورأوا من التصريح " بتسليم الامر " فى صلب المعاهدة ما يسوغ لهم - أو قل - ما ييسر لهم التوسع إلى ادعاء الاعتراف بالخلافة، ثم إلى ادعاء الانقياد بالبيعة!!. وخفى عليهم ان الخلافة - بما هى منصب الهى - لا يمكن ان تنقاد إلى مساومة أو تسليم، ولا يمكن ان تمسها الظروف الزمنية فى " صلح " أو " تحكيم."

ولكى نزداد بصيرة فى تفهم معنى " تسليم الامر " الوارد فى المادة الأولى من معاهدة الصلح، علينا أن نرجع إلى طريقتنا فى استنتاج الحد بين هزل المؤرخين فندرس على المتعاقدين أنفسهما تفسير هذا المجمل من حيث التقييد والاطلاق.

۳ - تسليم الامر:

علمنا - مما تقدم - أن معاوية قال لابنه يزيد، وهو يشير إلى أهل البيت عليهم السلام ": ان الحق حقهم."

وعلمنا انه كتب إلى الحسن فى التمهيد للصلح " ولا تقضى دونك الأمور ولا تعصى فى أمر."

(۲۷۴)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۳)، الجهل (۱)، الصّلب (۱)

صفحه ۱۷۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۷۵

وعلمنا أنه قال بعد الصلح ": رضينا بها ملكا."

وعلمنا أنه خطب على منبر الكوفة يوم وصوله إليها. فقال ": انى لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتزكوا.. وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم."

وعلمنا أن الحسن بن على أنكر عليه الخلافة وجاها، فسكت ولم يرد عليه.

فلنعلم إذا، بأن معاوية حين رضيها ملكا نفاها عن نفسه خلافة، وحين قال ": لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتزكوا ".. دل على أنه ليس خليفة دين، ولكنه ملك دنيا لا هم له فى صلاة ولا زكاة، وانما كل همه فى التأمر على الناس. وهو حين يقول للحسن ": لا تقضى دونك الأمور " ويقول لابنه ": ان الحق حقهم، " يعترف للحسن بالمقام الاعلى وبالسلطة التى لا تعصى فى أمر. وما ذلك الا مقام الخلافة فحسب. وكان لابد لمعاوية أن يسكت - والحال هذه - حين يصارحه الحسن بانكار خلافته، ويكذبه على ادعائها بغير استحقاق.

فأين من هذا، تسليم الخلافة الذى فسروا به تسليم الامر؟.

وشئ آخر، قد يكون فى مغزاه أدق دلالة على اعتراف معاوية ببراءته من استحقاق الخلافة، وذلك هو ضحكته المخذولة لسعد بن أبى وقاص يوم دخل عليه وقال له ": السلام عليك أيها الملك، " ولم يقل يا أمير المؤمنين، فقد كانت هذه الضحكة بلغتها المبطنة، صريحة بالاعتراف بالخطأ إذ يريد أن يأخذ الخلافة لقبا من غنائم الحرب، لا واسطة بين المسلمين ونبيهم (ص)، وبهذا استحق من سعد، وهو الرجل الذى لا تغلبه مداورات معاوية، أن يقول له ": والله ما أحب أنى وليتها بما وليتها به، " يعنى أنه كان يترفع عنها لقبا ينبت على الدماء المحرمة، والفتن السود، والعهود الخائسة.

وترى - على هذا - أن سعدا لم يفهم من تسليم الامر الا تسليم الملك وهو ما يجب أن يفهمه كل من فهم لغة القرآن فى الخلافة، أو لغة الفريقين

(۲۷۵)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، مدينة الكوفة (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، الحسن بن على (۱)، القرآن الكريم (۱)، الحرب (۱)، الصّلاة (۱)، الزكاة (۱)

صفحه ۱۷۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۷۶

المتعاقدين فى المعاهدة. ولما مر البحاثة الاسلامى الجليل السيد أمير على الهندى رحمه الله، على ذكر هذا الصلح عبر عنه " بالتنازل عن الحكم (۱.")

وكان فيما قاله الحسن عليه السلام فى سبيل التعبير عن صلحه مع معاوية جوابا لبعضهم ": لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذل المؤمنين ولكنى كرهت أن أقتلهم على الملك (۲.")

وقال لآخر ": أضرب هؤلاء بعضهم ببعض فى ملك من ملك الدنيا لا حاجة لى به (۳.")

وهكذا نجد الفريقين - الحسن ومعاوية - يتفقان على أن الحرب التى زحفا إليها بجيوشهما، انما كانت حربا على الملك. ومعنى ذلك أن الصلح الذى اتفقا عليه فى معاهدتهما، انما كان صلحا على الملك، لأنهما يصطلحان اليوم على ما تنازعا عليه أمس. وليس فى وجهة النظر القائمة بين الاثنين فى خلال هذه التصريحات ولا يوم صلحهما، ذكر للخلافة تسلما ولا تسليما.

ثم نجدهما يتفقان فى هذه التصريحات، على ايثار أحدهما دون الآخر بالمركز الذى لا تقضى دونه الأمور.. وهو المركز الذى سوغ للحسن أن يقول عن معاوية كما لو قلده عملا من اعماله وهو إذ ذاك حاضر مجلسه ": انه أعرف بشأنه وأشكر لما وليناه هذا الامر (۴ ") يعنى امر الملك.

أقول: وكم هو الفرق بين هذا المركز وبين ما توهمه المتحذلقون من حديث البيعة أو من تفسير تسليم الامر بتسليم الخلافة؟.

وكانت فيما نظن غلطة سبق إليها كاتب عن قصد، ثم أخذها عنه

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى (ص ٦١).

(٢) ابن كثير (ج ٨ ص ١٩)، وأعيان الشيعة (ج ۴ ص ۵٢)، والمستدرك للحاكم.

(٣) الإصابة (ج ٢ ص ١٢).

(۴) المحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ١ ص ۶۴).

(٢٧۶)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، الحرب (١)، كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

صفحه ١٨٠

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٧

كتاب عن غير قصد، واندست على مثل هذا الأسلوب أخطاء كثيرة فى التاريخ، شوهت من حقائقه وبدلت من روعته وضاعفت من جهد الباحثين فيه، ثم إذا أنت عنيت بموضوعك فدققت مراجعه، رأيته لا يرجع الا إلى أصل واحد، ثم إذا محصت الأصل رأيته لا يرجع إلى أصل!.

* * هذا، واما الخلافة الاسمية، فلا خلاف فيها على معاوية ولا على أحد من هؤلاء المتنفذين الذين ادعوها لأنفسهم، أو غزوها بسلاحهم، أو ورثوها من الغزاة والمدعين.

وإذا صح فى عرف المجتمع الذى بايع معاوية، أو بايع أحد هؤلاء، ان ينتزع من الادعاء أو قوة السلاح " خلافة " فلا مشاحة فى الاصطلاح.

وليكن معاوية - على هذا - خليفة النفوذ والسلطان، وليبق الحسن بن على خليفة النبى وشريك القرآن.

وليكن ما ورد فى بعض النصوص - على تقدير صحة السند والامن من التحريف - تطبيقا عمليا لاستعمال الكلمة فى مصطلحها الجديد!.

۴ - مصير الامر بعد معاوية ولم يعهد فى كتب معاوية إلى الحسن فيما كان يراسله به فى سبيل التمهيد للصلح، كتاب يغفل تعيين المصير الذى كان يجب أن يرجع اليه الامر من بعد معاوية. وهو إذ يطلب من الحسن فى هذه الرسائل تسلم الامر محدودا بحياته، يقول فى بعضها ": ولك الامر من بعدى (١ ") ويقول فى بعضها الآخر ": وأنت أولى الناس بها (٢.")

وهكذا جاء النص فى المعاهدة.

وهكذا فهم الناس الصلح، انتزاعا للسلطة محدودا بعمر معاوية

(١) و (٢) ابن أبى الحديد فى شرح النهج (ج ۴ ص ١٣).

(٢٧٧)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (٢)، الحسن بن على (١)، القرآن الكريم (١)، إبن أبى الحديد المعتزلى (١)

صفحه ١٨١

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٧٨

الذى كان يكبر الحسن زهاء ثلاثة عقود، فكان من المتوقع القريب أن يسبقه إلى الموت، وأن يعود الحق إلى نصابه، والحسن بعد فى أوائل كهولته أو أواخر شبابه، لولا أن للخطط الجهنمية حسابا لا يخضع للمقاييس!!.

وظلت المادة الصريحة باستحقاق الحسن الامر بعد معاوية، أبرز مواد المعاهدة فى المجتمعات الاسلامية، وأكثرها ذيوعا بين الناس، مدى عقد كامل من السنين. ثم طغت عليها الدعاوات العدوة، وأخذها حملة الاخبار إلى مصانعهم الجديدة، فبدلوا من معالمها وغيروا من حقائقها، وصاغها بعضهم بقوله ": ليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد. " وتلطف آخر بها من عنده فقال ": ويكون الامر بعده شورى بين المسلمين. – " أما الصادقون فرووها على حقيقتها. وفات المؤرخين المحترفين، أن صرف الحقيقة عن واقعها فى هذا النص، لن يجديهم فى صرف الواقع عن حقيقته فى مرحلة التطبيق، فلم يكن من المحتمل عادة، أن يتجاوز المسلمون – فى شوراهم أو فى غير شوراهم – ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لو قدر له أن يكون حيا يوم يموت معاوية، وقدر للمسلمين أن يختاروا الخليفة أحرارا، أو يتشاوروا أمرهم مختارين. فالروايتان – الصحيحة والمحرفة – بل الصور الثلاث المزعومة للرواية الواحدة، تتحد عمليا ما دام الحسن حيا.

إذا، فلماذا التهرب من أمانة التاريخ الا أن يكون تعاونا رخيصا مع السلطة القائمة على التمهيد لبيعة يزيد؟!!.

وخيل للمؤرخ البارع الذى الغى التعيين الصريح، ونقل الامر إلى الشورى، أنه أحسن اتخاذ الأسلوب للوضع والتحريف، وخفى عليه، أنه لم يزد فيما هدف اليه على صاحبه الذى ألغاهما معا، وذلك لان الشورى التى عناها لا تكون فى انتخاب الخليفة، وانما تكون فى الشؤون التى يديرها الخليفة أو رئيس المسلمين من أمورهم، وهكذا كان تشريعها الأول يوم

(۲۷۸)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الموت (۲)

صفحه ۱۸۲

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۲۷۹

قال سبحانه " وشاورهم فى الامر، " وعلى ذلك مدحهم بقوله تعالى " وأمرهم شورى بينهم."

والآية فى نفى الرئاسات التى جعلها الناس، أصرح منها فى فرضها على الناس.

وليس فيما توهمه هذا المؤرخ أو توهمه آخرون، من الاستناد إلى الكتاب فى قضية الانتخاب الا الوهم – ولذلك فان عائشة لما أرادت الدعوة إلى الشورى لم تنسبها إلى الله عز وجل وانما نسبتها إلى عمر بن الخطاب ولو وجدت فى نسبتها إلى الله سبيلا لما تأخرت عنه لأنه كان – إذ ذاك – أدعم لحجتها، فقالت يوم دخولها البصرة ": ومن الرأى ان تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به، ثم يرد هذا الامر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب (۱.")

وأخيرا، فان القرائن القطعية الكثيرة، لا تقبل لهذا النص – موضوع البحث – الا الرواية الصريحة التى ذكرناها فى المادة الثانية من صورة المعاهدة.

أما أولا – فلما دلت عليه كتب معاوية إلى الحسن (ع) – كما أشير اليه قريبا –.

واما ثانيا – فلأنها الأنسب بشروط يضعها الحسن نفسه – كما نبهنا اليه فى حديث (الصحيفة البيضاء).

واما ثالثا – فلأن رواتها أكثر، وروايتها أشهر.

واما رابعا – فلما أشرنا اليه من ذيوع المادة الثانية بنصها الصريح مدة حياة الحسن عليه السلام، حتى لقد كانت الشاهد فى كثير من الخطب والأحاديث.

فنرى سليمان بن صرد يشير إليها فيما يعرضه للحسن

(۱) دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى (ج ۴ ص ۵۳۵).

(۲۷۹)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٢)، الخليفة عمر بن الخطاب (٢)، سليمان بن صرد الخزاعى (١)، مدينة البصرة (١)، القتل (١)

صفحه ۱۸۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٠

بعد الصلح. ونرى جارية بن قدامة يذكر لمعاوية حق الحسن بالأمر بعده كقرار معروف. ونرى الأحنف بن قيس يرسله ارسال المسلمات، فى خطبته التى يرد بها على البيعة، ليزيد، وهو إذ ذاك يخاطب معاوية نفسه فى حفل حاشد.

قال ": وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليه مقصا. ولكنك أعطيت الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الامر من بعدك، فان تف، فأنت أهل الوفاء، وان تغدر تظلم. والله ان وراء الحسن خيولا جيادا وأذرعا شدادا وسيوفا حدادا، ان تدن له شبرا من غدر، تجد وراءه باعا من نصر. وانك تعلم من أهل العراق، ما أحبوك منذ أبغضوك.. (١.")

إلى كثير من الشواهد الأخرى التى يزهدنا فى استيعابها رغبتنا فى الاختصار.

* * ۵ - بقية المواد ولقد ترى - إلى هنا - بأن دراستنا للنقاط البارزة فى مواد المعاهدة لم تتجاوز المادتين - الأولى والثانية -.

اما المادة الثالثة، فقد سبق فى (الفصل: ١۴) مناقشة معاوية فى موضوعها كما يجب - فليراجع -، وسبق فى الكلام على حديث الصحيفة البيضاء التى أرسلها معاوية إلى الحسن عليه السلام، ليكتب عليها ما يشاء من شروط، (فى الفصل: ١۶) أن حديث هذه الصحيفة هو القرينة على ترجيح ما يكون من روايات المعاهدة أقرب إلى صالح الحسن منه إلى صالح خصومه، وعلى هذا فالمادة الثالثة لا تعنى الا الاطلاق فى منع معاوية من شتم

(١) تجد تمام هذه الخطبة وذكر مصادرها فى (الفصل ٢٠) عند ذكرنا طريقة التمهيد لبيعة يزيد.

(٢٨٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، دولة العراق (٢)، صلح (يوم) الحديبية (١)، جارية بن قدامة (١)، الأحنف بن قيس (١)، الحسن بن على (١)، المنع (١)

صفحه ۱۸۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨١

أمير المؤمنين على عليه السلام، سواء حضر الحسن أو غاب. ولا يؤخذ بما ألحقه بها بعض المؤرخين من اشتراط الامتناع عن السب بحال حضور الحسن واستماعه (١)، ولا هو مما يتمشى مع روح الصلح إذا كان الفريقان فى صدد صلح حقيقى وتفاهم دائم.

وأما المادة الرابعة، فلم تكن فى حقيقتها الا استثناء متصلا من الماديات التى اشترطت المعاهدة تسليمها لمعاوية. ومعنى ذلك أن المعاهدة سلمت لمعاوية ما أراد من الملك عدا المبالغ المنوه عنها فى هذه المادة، فاستأثر الحسن بها لنفسه ولأخيه ولشيعته، وكانت من حقوقه التى جعل له الله تعالى التصرف فيها. واختار من الخراج الحلال - فيما استثنى - أبعده عن الشبهات من الوجهة الشرعية، وهو خراج دار ابجرد (٢).

أقول:

وأين هذا التفسير مما تطاول به بعضهم من التحامل الجرئ والافتئات البذىء، على مقام الامام الحسن بن على عليهما السلام، حين أساء فهم هذه المادة فخلق من هذه الأموال ثمنا للخلافة ومن الحسن بائعا ومن معاوية مشتريا. وان الأولى بهذا الفهم البليد - الذى هان عليه أن يتصور الثمن والمثمن كليهما من البائع، ثم يدعى مع ذلك وقوع البيع - ان لا يتعرض فيما يكتب للموضوعات التى

تکشف لقارئه بلادته، فیسئ إلی نفسه قبل أن یسیء إلی موضوعه.

(۱) قاله ابن الأثیر (ج ۳ ص ۱۶۲)، وقال بعده ": ثم لم یف به أیضا."!!

(۲) قال فی الکامل (ج ۳ ص ۱۶۲ "): وأما خراج دار ابجرد فان أهل البصرة منعوه، وقالوا هو فیئنا لا نعطیه أحدا. " قال ": وکان منعهم بأمر معاویة أیضا."!!

(۲۸۱)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۲)، صلح (یوم) الحدیبیة (۲)، البیع (۱)، السب (۱)، إبن الأثیر (۱)، مدینة البصرة (۱)، المنع (۱)

صفحه ۱۸۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۸۲

وقد مر فی معنی الخلافة (لذاتها)، وفی قابلیات معاویة للخلافة ما یکفینا القول باستحالة هذا الهذر، ولا نعید.

واما المادة الخامسة، فللفصول القریبة الآتیة ما تحمله عنها:

الاجتماع فی الکوفة

(۲۸۲)

مفاتیح البحث: مدینة الکوفة (۱)

صفحه ۱۸۶

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۸۴

وکان طبیعیا أن یتفق الفریقان بعد توقیعهما الصلح، علی مکان یلتقیان فیه علی سلام، لیکون اجتماعهما فی مکان واحد تطبیقا عملیا للصلح الذی یشهده التاریخ، ولیعترف کل منهما علی مسمع من الناس بما أعطی صاحبه من نفسه وبما یلتزم له من الوفاء بعهوده. واختارا الکوفة، فأقفلا إلیها، وأقفل معهما سیول من الناس غصت بهم العاصمة الکبری، وهم - علی الأکثر - أجناد الفریقین، ترکوا معسکریهما وخفوا للیوم التاریخی الذی کتب علی طالع الکوفة النحس أن تشهده راغمة أو راغبة. وللمرة الأولی تزخر عاصمة العراق بعشرات الألوف من أجناد الشام الحمر - مسلمین ومسیحیین -. ولهذین المعسکرین - الکوفة والشام - سوابقهما التی لا تعهد الهوادة فی سلسلة العداوات التاریخیة والوقائع الدامیة، منذ حوادث سلمان الباهلی وحبیب بن مسلمة الفهری (علی عهد عثمان بن عفان) والی یوم الصلح هذا. فما ظنک یومئذ بحال الجندی الکوفی الثابت علی الوفاء، الذی قدر له ان یلقی سلاحه تحت موجة طاغیة من مکاء الجنود الشامیین وتصدیتهم التی عجت بها أروقة المسجد الجامع، الذی کان أسس علی تقوی من الله.

وکانت الفجیعة القاتلة للفئة المخلصة من أنصار أهل البیت علیهم السلام، وللذین جهلوا من هؤلاء الأنصار أهداف الحسن فی الصلح، أو جهلوا حقیقة الوضع بدوافعه التی اقتادت الحسن إلی الصلح. أما الأکثریة الخائنة فقد مزقت الستار فی یومها المنشود، وظهرت علی المسرح باللون الذی لا تشتبه فیه الابصار، وشوهد بین جماهیر الشامیین زمر من الکوفیین یساهمونهم الفرح المغبون فی مهرجاناتهم الباردة، وانتصارهم

(۲۸۴)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الخلیفة عثمان بن عفان (۱)، دولة العراق (۱)، مدینة الکوفة (۳)، صلح (یوم) الحدیبیة (۵)، سلمان الباهلی (۱)، الشام (۲)، الشهادة (۱)، الهدف (۱)، السجود (۱)

صفحه ۱۸۷

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۸۵

المغلوب!!.

ونودی فی الناس إلی المسجد الجامع، لیستمعوا هناک إلی الخطیبین الموقعین علی معاهدة الصلح.

وکان لابـد لمعاویة أن یستبق إلی المنبر، فسبق الیه وجلس علیه (۱)، وخطب فی النـاس خطبته الطویلـة التی لم ترو المصـادر منها الا فقراتها البارزة فحسب.

منها (علی روایة الیعقوبی):

"أما بعـد ذلکم، فإنه لم تختلف أمـة بعـد نبیها، الا غلب باطلها حقها - "!! قال ": وانتبه معاویـة لما وقع فیه. فقال: الا ما کان من هـذه الأمة، فان حقها غلب باطلها (۲.")!!

ومنها (علی روایة المدائنی):

"یـا أهل الکوفـة، أترونني قاتلتکم علی الصـلاة والزکاة والحـج وقـد علمت أنکم تصـلون وتزکون وتحجون؟، ولکنی قاتلتکم لأتأمر علیکم وألی رقابکم، وقد آتانی الله ذلک وأنتم کارهون!. ألا ان کل دم أصیب فی هذه الفتنة مطلول، وکل شرط شرطته فتحت قدمی هاتین!!. ولا یصلح الناس الا ثلاث: اخراج العطاء عند محله، وأقفال الجنود لوقتها، وغزو العدو فی داره، فان لم تغزوهم غزوکم."

وروی أبو الفرج الأصفهانی عن حبیب بن أبی ثابت مسندا، أنه ذکر فی هذه الخطبة علیا فنال منه، ثم نال من الحسن (۳)!!.

(۱) قـال جـابر بن سـمرة ": مـا رأیت رسول الله یخطب الا وهو قائم، فمن حـدثک أنه خطب وهو جالس فکـذبه " رواه الجزائری فی آیات الاحکام (ص ۷۵)، والظاهر أن معاویة أول من خطب وهو جالس.

(۲) تاریخ الیعقوبی (ج ۲ ص ۱۹۲).

(۳) شرح النهج (ج ۴ ص ۱۶).

(۲۸۵)

مفاتیح البحث: أبو الفرج الإصبهانی (الإصفهانی) (۱)، مدینة الکوفة (۱)، صـلح (یوم) الحدیبیة (۱)، حبیب بن أبی ثـابت (۱)، الحج (۱)، السجود (۱)، الغلّ (۲)، الصّلاة (۱)، جابر بن سمرة (۱)

صفحه ۱۸۸

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۲۸۶

وزاد أبو اسحق السبیعی (۱) فیما رواه من خطبـة معاویة قوله ": الا وان کل شـئ أعطیت الحسن بن علی تحت قدمی هاتین لا أفی به!! ".

قال أبو اسحق ": وکان والله غدارا (۲.")

ثم تطلع النـاس، فـإذا هم بابن رسول الله الـذی کان أشـبههم به خلقا وخلقا وهیبـة وسؤددا، یخطو من ناحیـة محراب أبیه فی المسـجد العظیم لیصـعد علی منبره. وفی غوغاء الناس ولع بالفضول لا یصبر عن اسـتقراء الـدقائق من شؤون الکبراء، فـذکروا لجلجـة معاویة فی خطبته، ورباطـة الجأش الموفورة فی الحسن وقـد استوی علی أعواده، وأخـذ یسـتعرض الجموع الزاخرة التی کانت تضـغط المسـجد الرحب علی سعته، وکلهـا - إذ ذاک - أسـماع مرهفـة لا هم لها الا أن تعی ما یرد به علی معاویـة، فیما خرج به عن موضوع الصـلح، فنقض العهود وأهـدر الدماء وتطاول علی الأولیاء. وکان الحسن بن علی (ع) أسـرع الناس بدیهة بالقول، وأبرع الخطباء المفوهین علی

تلوين الموضوعات، فخطب فى هذا الموقف الدقيق، خطبته البليغة الطويلة التى جاءت من أروع الوثائق عن الوضع القائم بين الناس وبين أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووعظ ونصح ودعا المسلمين - فى أولها - إلى المحبة والرضا والاجتماع، وذكرهم - فى أواسطها - مواقف أهله بل مواقف الأنبياء، ثم رد على معاوية - فى آخرها - دون أن يناله بسب أو شتم، ولكنه كان بأسلوبه البليغ، أوجع شاتم وساب.

قال ": الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد ان لا اله الا الله كلما شهد له شاهد. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى، وائتمنه على

(١) هو عمرو بن عبد الله الهمدانى التابعى، الذى يقال عنه أنه صلى أربعين سنة صلاة الغداة بوضوء العتمة، وكان يختم القرآن فى كل ليلة، ولم يكن فى زمانه أعبد منه ولا أوثق فى الحديث.

(٢) شرح النهج (ج ۴ ص ١۶).

(٢٨۶)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الحسن بن على (١)، الشهادة (٢)، الصبر (١)، السجود (٢)، الضغط (١)، الوفاة (١)، عمرو بن عبد الله (١)، القرآن الكريم (١)، الصّلاة (١)، الوضوء (١)

صفحه ١٨٩

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٢٨٧

الوحى، صلى الله عليه وآله وسلم. أما بعد، فوالله انى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه، وأنا انصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة، ولا مريدا له سوءا ولا غائلة. ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة، خير لكم مما تحبون فى الفرقة، الا وانى ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرى، ولا تردوا على رأيى. غفر الله لى ولكم، وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبة والرضا (١.")

ثم قال ": أيها الناس، ان الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وان لهذا الامر مدة، والدنيا دول. قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل ان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون. انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون. وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين (٢.")

ثم قال.. ": وان معاوية زعم لكم أنى رأيته للخلافة أهلا، ولم أر نفسى لها أهلا، فكذب معاوية. نحن أولى الناس بالناس فى كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه. ولم نزل - أهل البيت - مظلومين منذ قبض الله نبيه. فالله بيننا وبين من ظلمنا، وتوثب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفىء، ومنع أمنا ما جعل لها رسول الله. واقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبى حين فارقهم رسول الله، لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية.. فلما خرجت من معدنها، تنازعتها قريش بينها، فطمع فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء، أنت وأصحابك. وقد قال رسول الله: ما ولت أمة أمرها رجلا وفيهم من هو أعلم منه، الا لم يزل أمرهم يذهب سفالا، حتى يرجعوا إلى ما تركوا. فقد ترك بنو

(١) الارشاد للشيخ المفيد (ص ١۶٩ - طبع إيران).

(٢) المسعودى (هامش ابن الأثير ج ۶ ص ۶١ - ۶٢)، وابن كثير (ج ٨ ص ١٨)، والطبرى (ج ۶ ص ٩٣).

(٢٨٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الجهر والإخفات (١)، الجماعة (١)، كتاب الإرشاد للشيخ

المفید (۱)، دولة ایران (۱)، إبن الأثیر (۱)

صفحه ۱۹۰

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۸۸

إسرائیل هارون وهم یعلمون أنه خلیفة موسی فیهم، واتبعوا السامری، وترکت هذه الأمة أبی وبایعوا غیره وقد سمعوا رسول الله یقول له: أنت منی بمنزلة هارون من موسی الا ـ النبوة، وقد رأوا رسول الله نصب أبی یوم غدیر خم، وأمرهم ان یبلغ أمره الشاهد الغائب. وهرب رسول الله من قومه وهو یدعوهم إلی الله، حتی دخل الغار، ولو أنه وجد أعوانا لما هرب، کف أبی یده حین ناشدهم، واستغاث فلم یغث. فجعل الله هارون فی سعة حین استضعفوه وکادوا یقتلونه، وجعل الله النبی فی سعة حین دخل الغار ولم یجد أعوانا. وکذلک أبی وأنا فی سعة من الله، حین خذلتنا هذه الأمة. وانما هی السنن والأمثال یتبع بعضها بعضا (۱.")

ثم قال:

"فوالذی بعث محمدا بالحق، لا ـ ینتقص من حقنا – أهل البیت – أحد الا ـ نقصه الله من عمله، ولا تکون علینا دولة الا وتکون لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حین (۲.")

ثم دار بوجهه إلی معاویة ثانیا، لیرد علیه نیله من أبیه، فقال – وما أروع ما قال –:

"أیها الذاکر علیا! أنا الحسن وأبی علی، وأنت معاویة وأبوک صخر، وأمی فاطمة وأمک هند، وجدی رسول الله وجدک عتبة بن ربیعة، وجدتی خدیجة وجدتک فتیلة – فلعن الله أخملنا ذکرا، وألأمنا حسبا وشرنا قدیما وحدیثا، وأقدمنا کفرا ونفاقا."!!

قال الراوی ": فقال طوائف من أهل المسجد: آمین. قال الفضل بن الحسن: قال یحیی بن معین: وانا أقول آمین. قال أبو الفرج قال أبو عبید قال الفضل: وانا أقول آمین. ویقول علی بن الحسین الأصفهانی

(۱) البحار (ج ۱۰ ص ۱۱۴).

(۲) المسعودی (هامش ابن الأثیر ج ۶ ص ۶۱ – ۶۲).

(۲۸۸)

مفاتیح البحث: علی بن الحسین (۱)، الفضل بن الحسن (۱)، غدیر خم (۱)، الفرج (۱)، الوسعة (۳)، السجود (۱)، إبن الأثیر (۱)

صفحه ۱۹۱

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۸۹

(أبو الفرج): آمین قال ابن أبی الحدید: قلت ویقول عبد الحمید بن أبی الحدید مصنف هذا الکتاب (یعنی شرح النهج): آمین (۱.")

أقول: ونحن بدورنا نقول: آمین.

وهذه الخطبة هی الوحیدة فی تاریخ الخطابات العالمیة، التی حظیت بهتاف الأجیال علی طول التاریخ.

وکذلک قول الحق، فإنه لا ینفک یعلو صعدا ولا یعلی علیه.

* * وتجهز الحسن – بعد ذلک – للشخوص إلی المدینة، وجاءه من سراة شیعته المسیب بن نجیة الفزاری وظبیان بن عمارة التیمی لیودعاه، فقال الحسن ": الحمد لله الغالب علی أمره. لو أجمع الخلق جمیعا علی أن لا ـ یکون ما هو کائن ما استطاعوا. " وتکلم المسیب وعرض اخلاصه الصمیم لأهل البیت (ع). فقال له الحسین (ع "): یا مسیب نحن نعلم أنک تحبنا " وقال الحسن (ع"): سمعت أبی یقول سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: من أحب قوما کان معهم. " ثم عرض له المسیب وظبیان بالرجوع، فقال ": لیس إلی ذلک سبیل. " فلما کان من غد خرج من الکوفة، وشیعه الناس بالبکاء!! ولم تکن اقامته فیها بعد الصلح الا أیاما

قلائل.

فلما صار بدير هند (۲) (الحيرة) نظر إلى الكوفة وقال:

ولا ـ عن قلى فارقت دار معاشرى * * * هم المانعون حوزتى وذمارى (۳) أقول: وأى نفس ملائكية هذه التى لقيت من نشوز هذه الخاصرة ومن بوائقها ما لقيت، ثم هى تودعها بهذا البيت من الشعر، فلا تذكر من

(۱) شرح النهج (ج ۴ ص ۱۶).

(۲) هند هذه، هى بنت النعمان بن المنذر، وكانت مترهبة فى ديرها هذا بالحيرة.

(۳) يراجع عما سبق شرح النهج (ج ۴ ص ۶).

(۲۸۹)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، إبن أبى الحديد المعتزلى (۲)، مدينة الكوفة (۲)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، ظبيان بن عمارة (۱)، عبد الحميد (۱)، الفرج (۱)

صفحه ۱۹۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۹۰

تاريخها الطويل العريض، الا وفاء الأوفياء " المانعين الحوزة والذمار " وهم الذين منعوا عنه من أراده فى المدائن، والذين ثبتوا على طاعته يوم العسرة فى مسكن، فكانوا اخوان الصدق وخيرة الأنصار، على قلتهم.

ثم سار الموكب الفخم الذى كان يقل على رواحله، بقية الله فى الأرض، وتراث رسول الله (ص) فى الاسلام، وقد ضاقت بهم الكوفة أو ضاقوا بها، فيمموا شطر وطنهم الأول، ليمتنعوا هناك بجوار قبر جدهم الأعظم من مكاره الدهر الخوان.

وصب الله على الكوفة بعد خروج آل محمد منها، الطاعون الجارف، فكان عقوبتها العاجلة على موقفها من هؤلاء البررة الميامين.

وهرب منها واليها الأموى [المغيرة بن شعبة] خوف الطاعون، ثم عاد إليها فطعن به فمات (۱).

(۱) ارجع إلى المسعودى على هامش ابن الأثير (ج ۶ ص ۹۷).

الميدان الجديد

(۲۹۰)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة الكوفة (۲)، القبر (۱)، الصدق (۱)، الخوف (۱)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۱۹۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۹۲

لعلك تتفق معى على أن من أدق المقاييس التى توزن بها شخصيات الرجال فيما يضطربون فيه من محاولات، هو موقفهم من شروطهم التى يأخذونها على أنفسهم راغبين مختارين. وما من انسان معنى بإنسانيته يعطى الشرط من نفسه، الا وانه ليعلم ما يستوبله فى شخصيته وفى سمعته وفى ذمامه إذا هو حنث فى شرطه أو رجع عن وعده أو نقض ميثاقه الذى واثق على الوفاء به. ومن السهل ان نتصور انسانا يستميت فى سبيل الوفاء لقول قاله أو عهد أعطاه، لأنه انما يموت ضحية خلق رفيع خسر به الحياة المحدودة فربح به الحياة التى لا حد لها، وبنى - إلى ذلك - لبنة جديدة فى صرح الانسانية المثالية التى لا تفتأ تتعاون على نشر الخير فى المجموع.

أما ذلك الخائس بعهده الحانث بيمينه الكاذب بمواعيده، الذى بسم لصاحبه وهو يخادعه على شروطه، ثم عبس وتولى وندم على ما أعطى، فليس من السهل أن نتصوره انسانا، ولكنه عدو الانسانية بما هدم من قواعدها وشل من مقرراتها، وعدو نفسه بما عرضها للنقمة والاحتقار وسوء السمعة والحرمان من ثقة المجتمع. ولن ينفعه – بعد ذلك – أن يقول أو يقال عنه: ان الغاية تبرر الواسطة – فان هذا الاعتذار بذاته جريمة كاملة لا يتسع لها صدر الغفران. وللغايات – على اختلافها – قيمتها الاعتبارية التى تواضع عليها الناس، فليكن لكل غاية واسطتها التى تتناسب وغايتها فى الاعتبار، ولن تكون الغاية شريفة قط الا إذا قامت على وسائط شريفة أيضا.

وكان من الخير العام، أن يتواضع المجموع منذ بناية المجتمع، على اعتبار " اليمين " و " العهد " ضمانا فى الاخذ والرد، وأن تتضافر الأديان

(٢٩٢)

مفاتيح البحث: الموت (١)، الخسران (١)

صفحه ۱۹۴

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ٢٩٣

السماوية كلها على أن العهد كان مسؤولا ...

ولعل من الأفضل أن نستمع هنا إلى ما عهد به أمير المؤمنين على عليه السلام للأشتر النخعى فى هذا الموضوع، قال:

"وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت. فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله الا جاهل شقى. وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، وحريما يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره." ...

أقول: وإذا رجعنا بعد الالمام بهذه الحقائق إلى موضوعنا، رأينا أن الشروط التى أخذها الحسن بن على (ع) على معاوية فيما تم بينهما من التعاهد على الصلح، كانت أكثر شروط عرفها التاريخ عهودا مؤكدة وأيمانا مغلظة، وكان معاوية هو الذى كتب نسختها الأخيرة بقلمه ووقعها بخاتمه.

ولم يكن بدعا أن يترقب الرأى العام الاسلامى، يومها، الوفاء بها كما يجب لمثل هذه العهود والايمان، وكما هو الأنسب بشخصيتين من هذا الطراز فى الاسلام.

اما تلك المفاجأة الغريبة التى سبق إليها معاوية فى خطابه على منبر الكوفة، ولما يمض على امضائه المعاهدة الا أيام ربما كانت لا تزيد على أسبوع واحد، فقد وقعت فى المجتمع الاسلامى وقوع الصاعقة التى لا يسبقها انذار. فقال (على رواية المدائنى) كما أشير اليه آنفا ": وكل شرط شرطته فتحت قدمى هاتين، "! وصرح (على رواية أبى اسحق السبيعى) بقوله ": ألا ان كل شئ أعطيته للحسن بن على تحت قدمى

(٢٩٣)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٢)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، اللبس (١)، الجهل (١)

صفحه ۱۹۵

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۹۴

هاتین لا أفی به "! ثم شـهد علیه الحصـین بن المنـذر الرقاشـی قائلا ": ما وفی معاویة للحسن بشـیء مما أعطاه، قتل حجرا وأصـحاب حجر، وبایع لابنه، وسم الحسن!! (۱.")

وهکذا قدر لهذا الرجل الواسع الممتلکات الضیق الملکات أن یعود بعد حنثه بأیمانه علنا، ونقضه لمواثیقه صراحة، أبعد الناس عن ثقة النـاس، وأقلهم وزنـا فی المقـاییس المعنویـة التی یتواضع علیهـا النـاس، وکان جزاء وفاقا، أن ینکره أکثر المغرورین بما کان أنکر هو عهوده ومواثیقه، وأن یضعوه من أنفسهم فی المحل الذی وضع هو شروطه من نفسه..

وما یدرینا، فلعلنا الآن عند مفترق الطریق بین الماضـی المغلوب والمسـتقبل الغالب، الذی سـینکشف عنه الصراع التاریخی بین الحسن ومعاویـة. ولعلنا الآن علی أبواب الخطة الجبارة التی نزل الحسن بن علی (ع) من طریقها إلی الصـلح، والتی فرضت ارادتها علی معاویة أبعد ما یکون فی المعروف من دهائه عن الفشل فی الخطط التی تمسه فی الصمیم من مصالحه.

وکان الحسن – کما نعلم – أعرف الناس بمعاویة وبحظه من الصدق والوفاء، وهو إذ یأخذ علیه الصـیغ المغلظة فی الایمان والعهود، لا یقصد من ذلک إلی التأکد من صدقه أو وفائه، ولکن لیکشف للأغبیاء قابلیات الرجل فی دینه وفی ذمامه وفی شرفه بالقول.

وانها للمبادأة الأولی التی ابتدأ الحسن علیه السـلام زحفه منها إلی میدانه الثانی. ومن هنا وضع أول حجر فی البناء الجدید لقضیة أهل البیت (ع). ثم مشی موکب الزمان، فإذا بالخطوات الموفقة تمشی وئیدا مع الزمان وإذا بطلائع النجاح کفیالق الجیش التی تتلاحق تباعا لتتعاون علی الفتـح. وان من الفتوح ما لا یعتمد فی أداته علی السـلاح، ومنها ما یکون وسائله الأولیة أشـبه بالهزیمة، حتی لیخاله الناس تسلیما محضا، ولکنه

(۱) یراجع ابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۱۶ و ۶ و ۷).

(۲۹۴)

مفاتیـح البحث: أهل بیت النبی صـلی الله علیه وآله (۱)، الإمـام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السـلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهمـا السـلام (۱)، کتـاب الفتـوح لأحمـد بن أعثم الکوفی (۱)، صـلح (یوم) الحدیبیـة (۱)، الحصـین بن المنـذر (۱)، الوسعة (۱)، الشهادة (۱)، القتل (۱)، الصدق (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)

صفحه ۱۹۶

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۹۵

فی منطق العقلاء، ظفر لامع وفتح مبین.

وکان من أبرز الخطوات التی وفقت إلیها خطة الحسن علیه السلام عن طریق الصلح، فی سبیل التشهیر بمعاویة حیا ومیتا، والنکایة ببنی أمیة اطلاقا.

۱ – أنها ألبت علی معاویة فی بدایة عهده الاستقلالی عددا ضخما من الشخصیات البارزة فی المملکة الاسلامیة.

فلعنه صـراحة بعضـهم، وخبثه آخر، وقرعه وجاهـا ثالث بل ثلاثـة، وقاطعه رابع، وانکر علیه حتی مات غما من فعاله کبیر خامس، وقال فیه أحدهم ": وکان والله غدارا. " وقال الآخر (۱ "): اربع خصال کن فی معاویة لو لم یکن فیه منهن الا واحدة لکانت موبقة. " وقابله علی مثل ذلک کثیر من سادة وسیدات، لسنا الآن بصدد إحصائهم، أو استیعاب کلماتهم.

۲ – وخلقت له معارضـة الطبقات التی شـملتها بنود المعاهـدة، سواء فی الأمان المفروض فیها، أو فی الحقوق المالیة المنصوص علیها. فـإذا بعـالم عظیم من النـاس أصـبح ینظر إلی معاویـة نظره إلی العـدو الـواتر فی النفس والمـال، بمـا نقضه من شـروطهم، فی نفوسـهم وأموالهم.

۳ - وظن معاوية أنه سيجعل من نقضه معاهدة الحسن وضعا شكليا لبيعة ابنه يزيد، يتغلب به على عنعنات الاسلام المقررة بين المسلمين فى أمر البيعة وصلاحية الخلافة.

ولكنه لم يلبث أن اصطدم بالواقع، فإذا بهذه البيعة الجديدة،

(۱) كان الذى لعنه صاحبه سمرة، والذى وصفه بأخبث الناس صديقه المغيرة، وكان الذى قرعه وجاها عائشة وآخرون، والذى قاطعه مالك بن هبيرة السكونى، والذى مات غما من فعاله الربيع بن زياد الحارثى، وكان السادس أبا اسحق السبيعى، والسابع الحسن البصرى. ويراجع عن ذلك شرح النهج وابن الأثير ومروج الذهب وغيرها.

(۲۹۵)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، بنو أمية (۱)، الموت (۲)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، إبن الأثير (۱)، الربيع بن زياد (۱)، الحسن البصرى (۱)

صفحه ۱۹۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۹۶

مثار النقمة الاسلامية العامة التى أصبحت تتحسس منذ ترشيح يزيد للخلافة بنوايا بنى أمية من الاسلام.

۴ - ثم كانت البوائق الدامية التى جهر بها معاوية بعد نقض الصلح، فى قتله خيار المسلمين - من صحابة وتابعين - بغير ذنب، عوامل أخرى للتشهير به، ولتحطيم معنوياته المزعومة، تمشيا مع الخطة المكينة، التى أرادها الامام الحسن (ع) منذ قرر الاقدام على الصلح.

۵ - وقضية الحسين فى كربلاء سنة (۶۱) هجرى، كبرى قضايا الحسن فيما مهد له من الزحف على عدوهما المشترك، وعدو أبيهما من قبل.

ولا ننسى أنه قال له يوم وفاته ": ولا يوم كيومك أبا عبد الله."

وهذه الكلمة على اختزالها - المقصود - هى الرمز الوحيد الذى سمع من الحسن عليه السلام، فيما يشير به إلى الخطة المقنعة بالسر، التى اعتورها الغموض من ست جهاتها، منذ يوم الصلح إلى يوم صدور هذا الكتاب. وانك لتقرأ من هذه الكلمة لغة " القائد الاعلى " الذى يوزع القواد لوقائعهم، ويوزع الأيام لمناسباتها، ثم يميز أخاه ويوم أخيه فيقول ": ولا يوم كيومك."..

وكان من طبيعة الحال ان تبعث المناسبات الزمنية حلقات الخطة كلا ليومها. وكان لابد لكل حلقة أن توقظ الأخرى، وأن تؤرث السابقة اللاحقة، وتوقد الأولى جذوة الثانية، وهكذا دواليك.

وحسب الحسن لكل هذه الخطوات حسابها المناسب لها، منذ قاول معاوية على هذا الصلح المعلوم، ودرس - إلى ذلك - نفسيات خصومه بما كانت تشرئب له من النقمة عليه وعلى أخيه وعلى شيعته وعلى أهدافه جميعا. وكانت هذه المطالعات بنطاقها الواسع، الأساس الذى بنى عليه الحسن خطواته المستقبلة فيما مهده لنفسه ولعدوه معا.

(۲۹۶)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۲)، مدينة كربلاء المقدسة (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۴)، بنو أمية (۱)، الوسعة (۱)، القتل (۱)، الإختيار، الخيار (۱)

صفحه ۱۹۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۲۹۷

وكان من طبيعة الحال، أن تلقى هذه الخطوات قيادتها إلى الحسين فيما لو حيل بين الحسن وبين قيادتها بنفسه. وهذا هو ما أردناه فى

بدایة هذا القول.

وهکذا کانت نهضة الحسین الخالدة الخطوة الجبارة فی خطة أخیه العبقری العظیم.

ولا تزال فاجعة کربلاء التی استوعبتها کل لغات الأرض، اللطخة السوداء التی صبغت تاریخ أمیة بالعار، ما دام لکربلاء رسم، ولأمیة اسم.

۶ – ثم لم تزل الخطة البعیدة الأهداف، تستعرض فی الفترات المتقاربة التاریخ، بعد واقعة الحسین علیه السلام بکربلاء، سلسلة أحداث قانیة انبثقت من صمیم الوضع الأموی المتشابه فی أکثر ملامحه – بین عهد معاویة وابن عمه " الحمار (" ۱) –.

وعادت الأمویة فی عرف المسلمین المعنیین باسلامیتهم الحکومة الجائرة المتغلبة بالظلم والاسراف وبالتحلل من کثیر من النوامیس الدینیة. واشتدت نقمة الناس علیها مع تمادی الأیام، وکان أی علم یرفع لحرب بنی أمیة، لا یعدم الألوف وعشرات الألوف من المبایعین له علی الموت.

* * *

(۱) هو مروان الأموی الذی انقرضت دولة بنی أمیة علی یده – ویلقب " بالحمار " و " بالجعدی " نسبة إلی مربیه (الجعد بن درهم). وکان ابن درهم زندیقا فعلمه مذهبه، وکان الناس یذمونه بنسبته الیه. ولما تعقب الفاتحون العباسیون مروانا فی هزیمته، أودع حرمه (الکنیسة) فی بوصیر!. فأین هو عن المساجد یا تری؟ – یراجع ابن الأثیر (ج ۵ ص ۱۵۹ و ۱۶۰).

(۲۹۷)

مفاتیح البحث: الإمام الحسین بن علی سید الشهداء (علیهما السلام) (۱)، الدولة الأمویة (۱)، مدینة کربلاء المقدسة (۳)، بنو أمیة (۲)، الموت (۱)، الظلم (۱)، الخلود (۱)، إبن الأثیر (۱)، السجود (۱)

صفحه ۱۹۹

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۲۹۸

إذا، فلتکن عملیة الصلح – علی هذا – البذرة المستمدة من صمیم مصلحة الاسلام ومصلحة أهل البیت علیهم السلام، ومن الوحی أیضا. ولیعد الحسن بن علی علیهما السلام بعد أقل من قرن، الغالب المنتصر علی الخصوم المغلوبین، المنهزمین فی التاریخ.

خطوات موفقات، وسیاسة صاعدة لا تبلغها السیاسات، فی صمت وتواضع واتئاد، وتحت ظل اصلاح وتسلیم وحقن دماء.

وهل العظمة شئ آخر غیر هذا، یا تری؟.

الوفاء بالشروط

(۲۹۸)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)

صفحه ۲۰۰

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۰۰

عرفنا – إلی هنا – بواعث کل من الفریقین فیما تطلعا به إلی الصلح. وعرفنا شروط کل فیما اعتبره ضمانا لبواعثه تلک.

وعرفنا – بعد ذلک – أنهما أرادا الجنوح إلی التصالح عملیا، فاجتمعا فی الکوفة، وکان من المنتظر لهذا الاجتماع التاریخی أن یبعث بینهما من التقارب ما لم تبعثه الصکوک التحریریة ولا المقاولات الرسمیة، التی تبودلت بینهما فی الصلح، لولا أن معاویة لم یشأ ان

يلتزم فى هـذا الاجتمـاع جـانب المجاملـة، رغم أنه كـان فى ظرفه الخاص أحوج الرجلين إلى هـذا النمط من السـلوك، وانه ليمر – إذ ذاك – بأدق امتحان فى سياسـته العامـة وفى شخصـيته كملك يريـد ان يحكم شـعبا ما أحبه منـذ أبغضه – على حد تعبير الأحنف بن قيس –، فـاجتمع بـالحسن ولكن كمـا يجتمع " ابن أبى سـفيان " بابن فاتـح مكـة، لا كما يجتمع متناجزان ألقيا السـلاح وتبادلا وثائق الصـلح، وكـان من هـذا الخلق الثـابت لمعاويـة – رغم مـا يتكلفه من الحلم الكثير أحيانـا – ما هو أداة الحسن فى حملته المنظمـة التى جردها عليه فى (ميدانه الثانى) – كما أشير اليه فى آخر فصل مضى –.

وإذ قـد عرفنا ذلك كله من فصولنا القريبـة السابقـة، فلنعرف الآن موقف كل من شـروطه وفاء ونقضا. وها نحن أولاء من هذه المرحلة بإزاء النقطة الحساسة التى طال حسابها فى التاريخ.

وكان بودنا لو طوينا كشـحا عن اسـتنطاق هذا الموضوع، بما تثيره تفاصيله من ذكريات: بعضها ألم، وبعضها فضيحة سافرة، وقليل منها تاريخ تعافه الأمجاد. ولكننا – وقد أخذنا على أنفسـنا فى هذا الكتاب مهمة البحث التحليلى المكشوف، عن قضية الحسن ومعاوية – لا نجد مجالا

(۳۰۰)

مفاتيـح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، مدينـة الكوفة (۱)، صـلح (يوم) الحديبية (۳)، الأـحنف بن قيس (۱)، البعث، الإنبعـاث (۱)، البغض (۱)

صفحه ۲۰۱

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۰۱

للتغافـل عن عناصـر الموضوع التى كـان لهـا أروع الأثر فى النتائـج التى توخاها الحسن بن على من صـلحه مع معاويـة بن أبى سـفيان. ولذلك، ولما لهذه التفاصـيل الحساسة الثقيلة على النفس من الأهمية القصوى لموضوعنا العام، فلابد لنا من مسايرة هذا الموضوع فى سائر خطواته، حتى ينتهى بنا أو ننتهى به إلى النتائـج الواضـحة المملاة عن مقـدماتها المسـلمة، بما فى هـذه النتائـج من مجـد المظلوم (الغالب) وخزاية الظالم (المغلوب)، فنقول:

۱ – الوفاء بالشرط الأول كان هذا الشرط هو الشرط الوحيد الذى لمعاوية على الحسن.

فكان هو الشرط الوحيد الذى حظى بالوفاء من شروط هذه المعاهدة اطلاقا.

ثم لا يعهد من الحسن بعد توقيعه الصلح، أى محاولة لنقض شرطه هذا ولا التحدث بذلك، ولا الرضا بالحديث عنه.

وجاءه زعماء شـيعته بعـد أن أعلن معاويـة التخلف عن شـروطه، فعرضوا عليه – وقـد رجع إلى المدينة – أنفسـهم واتباعهم للجهاد بين يـديه، ووعـده الكوفيـون منهـم بإخلاـء الكوفـة مـن عاملهـا الأـموى، وضـمنوا لـه الكراع والسـلاح لإعـادة الكرة على الشـام، فلم تهزه العواصف ولا قلقلته حوافز الأنصار المتوثبين.

فقال له سـليمان بن صـرد، وهو إذ ذاك سـيد العراق ورئيسـهم – على حد تعبير ابن قتيبة عنه " –: وزعـم – يعنى معاوية – على رؤوس الناس ما قد سمعت: انى كنت شرطت لقوم شروطا ووعدتهم عدات ومنيتهم أمانى..

(۳۰۱)

مفاتيح البحث: معاوية بن أبى سـفيان لعنهما الله (۱)، دولة العراق (۱)، سـليمان بن صرد الخزاعى (۱)، مدينة الكوفة (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، الحسن بن على (۱)، الشام (۱)، الظلم (۲)

صفحه ۲۰۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٢

فان كل ما هنالك تحت قدمى هاتين، ووالله ما عنى بذلك الا نقض ما بينك وبينه، فأعد الحرب خدعة وأذن لى أشخص إلى الكوفة، فأخرج عاملها منها وأظهر فيها خلعه، وأنبذ اليه على سواء، ان الله لا يهدى كيد الخائنين.

"ثم سكت ابن صرد، فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته، وكلهم يقول: ابعث سليمان بن صرد وابعثنا معه، ثم ألحقنا، إذا علمت انا قد أشخصنا عامله، وأظهرنا خلعه (١.")

وجاءه - أيضا - حجر بن عدى الكندى، ومركزه القوى في العراق مركزه، كما ستعرف قريبا.

وجاءه المسيب بن نجية، فارس مضر الحمراء كلها، إذا عد من أشرافها عشرة كان هو أحدهم - على حد تعبير زفر بن الحارث الكلابى عنه -.

وجاءه آخرون من نظرائهم، وكلهم لم يحظ من الحسن الا بالرد الجميل والاستمهال إلى موت معاوية، لأنه صاحب عهده فيما تعاهدا عليه، ولأنه كان قد درس من أحوال الكوفة فى تجربته الأولى، ما أغناه عن تجارب أخرى.

وكان آخر جوابه إليهم قوله ": ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس (٢) بيته ما دام معاوية حيا، فان يهلك معاوية، ونحن وأنتم احياء، سألنا الله العزيمة على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (٣.")

(١) ابن قتيبة (ج ١: ص ١٥١).

(٢) فلان حلس بيته يعنى (ملازم بيته لا يبرحه).

(٣) الإمامة والسياسة (ج ١ ص ١٥٢).

(٣٠٢)

مفاتيح البحث: دولة العراق (١)، سليمان بن صرد الخزاعى (١)، مدينة الكوفة (٢)، حجر بن عدى الكندى (١)، الهلاك (١)، البعث، الإنبعاث (١)، الحرب (١)، السكوت (١)

صفحه ۲۰۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠٣

٢ - الوفاء بالشرط الثانى أجمع المؤرخون - بما فيهم المتحزبون والمستقلون - على أن العهد لذى أعطاه معاوية للحسن فى شروط الصلح، هو أن لا يعهد بالامر من بعده إلى أحد، ومعنى ذلك رجوع الامر من بعده إلى صاحبه الشرعى، أعنى الحسن بن على فان لم يكن فللحسين أخيه، تمشيا مع مفهوم الشرط القائل بتسليم الامر محدودا بحياته، ومفهوم سلبه صلاحية العهد إلى أحد من بعده.

وأجمع المؤرخون - بعد ذلك - على أن معاوية نقض هذا العهد علنا، وعهد من بعده إلى ابنه يزيد (المعروف!!!).

ولسنا الآن بصدد مناقشة معاوية على نقضه العهد بعد ميثاقه، وهو - على كل حال - جماع غلطاته التى أركسه " الصلح " فيها من حيث يدرى أو لا يدرى، ولكنا وقد مررنا على موقف معاوية من عهوده مرات ومرات، لا نريد ان نمر هنا على تعيينه يزيد ابنه لخلافة المسلمين دون أن نقول: انه ارتكب بهذا العمل الجرئ أكبر اثم فى دينه، وأفظع جريمة فى الصالح العام. وقد كان من أبرز النتائج، لاعمال معاوية الارتجالية الجريئة هذه، ان تنحرف قيادة الاسلام عن منهجها القويم، وان تفقد الرعية قدوتها العملية، وان تسود الأثرة، ويضطرب حبل الثقة بين الافراد والجماعات، وأن ينعدم التجاوب والتفاعل الوجدانى بين القادة والاتباع. فتتوزع الميول وتتباين المقاصد، ثم لا يزال الامر يأخذ بهم سفالا، حتى يستعد إلى الثورات الدامية والانتفاضات الداخلية التى كان لابد منها لتدارك الأخطاء والتنبه على الاخطار. دع عنك ما كان يقال عن يزيد هذا، وعن قابلياته الشخصية والخلقية التى عجت بها التواريخ، من يومه إلى يومنا، والتى

(۳۰۳)

مفاتيح البحث: صلح (يوم) الحديبية (۲)، الحسن بن علی (۱)

صفحه ۲۰۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۰۴

كـان من آثارهـا - فی حكومته - مـا كـان (مما لا نريـد التوسع فی ذكره)، وانما جل ما نريـد هو التنبيه على الغلطـة الكبرى التی أتاها معاوية، فتقمص بها مسؤولية الحرمات الاسلامية التی انتهكها بهذه الغلطة غير متحرج ولا متأثم.

وكان من الأساليب العجيبة التی توفر على روايتها أصدقاء الرجل فضـلا عن أعدائه، فيما لجأ اليه يوم نصب ابنه وليا لعهد المسلمين، ما يكفينا للتأكـد من وزنه كمسلـم فضـلا عن وزنه كخليفة!!.. وانها لصـفحة من أنكد صـفحات التاريخ، وأبعدها عن " الاسـلام " روحا ومعنى وأهدافا، ولولا أنها - بنتائجها التی تنكشف عنها فی معاوية وفی المجتمع الذی كان يدور فی فلك معاوية - أحد شرايين بحثنا الواسع فيما يهـدف اليه هـذا البحث من بيان أسـرار الحسن فيما أتاه من الصـلح، لأعرضـنا عن ذكرها، ولكنا أحرص على سترها، رغم إفتضاحها المكشوف مدى ثلاثة عشر قرنا.

أما الآن فسـنعرض خلاصة من نصوص المؤرخين، دون ان نتعمد الشـرح والتعليق فی الأثناء، لان هذه النصوص بذاتها غنية عن الشرح والتعليق.

هكذا بايع معاوية ليزيد قال أبو الفرج الأصـفهانی ": وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شـئ أثقل عليه من أمر الحسن وسـعد بن أبی وقاص، فدس اليهما سما، فماتا منه (۱.")

وقال ابن قتيبة الدينوری ": ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن الا يسيرا حتى بايع ليزيد بالشام وكتب ببيعته إلى الآفاق (۲.")

وقال ابن الأثير ": وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة، فان

(۱) المقاتل (ص ۲۹).

(۲) الإمامة والسياسة (ج ۱: ص ۱۶۰).

(۳۰۴)

مفاتيح البحث: عمر بن سعد لعنه الله (۱)، أبو الفرج الإصبهانی (الإصفهانی) (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، إبن الأثير (۱)، المغيرة بن شعبة (۱)، الشام (۱)، الوسعة (۱)، الهدف (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۲۰۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۰۵

معاوية أراد ان يعزله عن الكوفة، ويسـتعمل عوضه سـعيد بن العاص، فبلغه ذلك، فقال: الرأی ان أشـخص إلى معاوية فاستعفيه، ليظهر للناس كراهتی للولايـة، فسار إلى معاوية وقال لأصـحابه حين وصل اليه: ان لم أكسـبكم الآن ولاية وامارة لا أفعل ذلك أبدا، ومضـى حتى دخل على يزيد (۱) وقال له: انه ذهب أعيان أصـحاب النبی صـلى الله عليه (وآله) وسلم، وكبراء قريش وذوو أسنانهم! (۲) وانما بقی أبناؤهم، وأنت من أفضـلهم! وأحسـنهم رأيا! وأعلمهم بالسـنة!! والسـياسة!، ولا أدری ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقـد لك البيعـة؟ قـال: أو ترى ذلـك يتم؟ قـال: نعم. فـدخل على أبيه، وأخبره بمـا قـال المغيرة، فأحضـر المغيرة وقـال له: ما يقول يزيـد؟. فقال: يا أمير المؤمنين قـد رأيت ما كان من سـفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفی يزيد خلف (!)، فاعقد له، فان حدث بك حادث كان كهفا للنـاس وخلفـا منـك، ولاـ تسـفك دمـاء (!!). ولا تكون فتنـة (!!). قال: ومن لی بهـذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفـة، ويكفيك زياد أهل

البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك. قال: فارجع إلى عملك، وتحدث مع من تثق اليه فى ذلك، وترى ونرى.

"فودعه ورجع إلى أصحابه. فقالوا: مه؟. قال: لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على أمة محمد!!، وفتقت عليهم فتقا لا يرتق أبدا! (٣.")

"وتواطأ معاوية مع رؤساء الوفود المناصحين له، أن يخطبوا ويذكروا

(١) وذكر البيهقى فى المحاسن والمساوئ (ج ١: ص ١٠٨) مناورة المغيرة بن شعبة هذه، ولكنه رأى أو روى ان المغيرة ابتدأ بمعاوية أولا، وان معاوية لما وثق منه أرجعه إلى عمله وقال له ": انصرف إلى عملك، وأحكم الامر لابن أخيك، وأعاده على البريد يركض (كذا.")

(٢) انظر إلى مكانة السن فى عرف المغيرة..

(٣) كامل ابن الأثير (ج ٣: ص ١٩٨ - ٢٠١). وفى هذا الحديث ما يشعرك بروحية المغيرة بن شعبة ومدى غيرة هذا الصحابى ذى الفتوق على أمة محمد (ص)!.

(٣٠٥)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، مدينة الكوفة (٢)، مدينة البصرة (١)، المنع (١)، العقد (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)، المغيرة بن شعبة (٢)

صفحه ۲۰۶

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٠۶

فضل يزيد!!.. فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار، وفيهم الأحنف بن قيس الفهرى، فقال له: إذا جلست على المنبر، وفرغت من بعض موعظتى وكلامى فاستأذن للقيام فإذا أذنا لك، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد، وقل فيه الذى يحق له من حسن الثناء عليه!!.. ثم ادعنى إلى توليته!. ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبيد الله بن مسعدة الفزارى وثور بن معن السلمى وعبد الله بن عصام الأشعرى، فأمرهم ان يقوموا إذا فرغ الضحاك، وان يصدقوا قوله!! فقام هؤلاء النفر خطباء يشيدون بيزيد!!.. إلى أن قام الأحنف بن قيس [ولم يكن من الممثلين الذين رتبهم معاوية لهذه الرواية] فقال:

"أصلح الله الأمير، ان الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان مؤتنف، وقد حلبت الدهور وجربت الأمور، فاعرف من تسند اليه الامر بعدك، ثم أعص من يأمرك، ولا يغررك من يشير عليك ولا ينظر إليك، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق، لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد ما دام الحسن حيا."

ثم أردف قائلا:

"وقد علمت يا معاوية، أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليه مقصا، ولكنك أعطيت الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الامر من بعدك (١). فان تف فأنت أهل الوفاء، وان تغدر تظلم. والله ان وراء الحسن خيولا جيادا، وأذرعا شدادا، وسيوفا حدادا. وان تدن له شبرا من غدر، تجد وراءه باعا من نصر. وانك تعلم من أهل العراق، ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا عليا وحسنا منذ أحبوهما، وما نزل

(١) وأخطأ فهم هذه الحقبة من الزمن كثير ممن كتب عنها، فقال حسن مراد فى " الدولة الأموية (" ص ٧٠ "): ومن هنا نرى أن عهد معاوية بالخلافة لابنه يزيد على ما سيجىء لم يكن انتقالا غير منتظر. "!! وقد عرفت من كلام الأحنف هنا ومن كلامنا فى البحوث الآنفة أنه كان انتقالا غير منتظر.

(٣٠۶)

مفاتيح البحث: دولة العراق (۳)، الأحنف بن قيس (۲)، الحسن بن على (۱)، عثمان الثقفى (۱)، الدولة الأموية (۱)، يوم عرفة (۱)

صفحه ۲۰۷

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۰۷

عليهم فى ذلك غير من السماء، وان السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين، لعلى عواتقهم، والقلوب التى أبغضوك بها لبين جوانحهم (۱.")

أقول: وكلام الأحنف هـذا، صريح بأن معاوية حاول البيعة لابنه يزيد فى حياة الحسن بن على، بينما صرح آخرون، بأن بيعة يزيد انما وقعت بعد وفاة الحسن، حتى قال أبو الفرج ": انه سم الحسن وسعد بن أبى وقاص تمهيدا لبيعة ابنه يزيد (" كما أشير اليه). إذا فقد كان لمعاوية محاولتان لهذا التصميم: إحداهما فى حياة الحسن رغم العهود والأيمان والمواثيق، وهى انما فشلت لمكان وجود صاحب العهد حيا. وثانيتهما بعد وفاة الحسن عليه السلام، وهى التى تمت بأساليبها الظالمة التى عرضها أكثر المؤرخين.

"فعزل مروان عن المدينة حين عجز عن أخذ البيعة على أهلها ليزيد، وولى المدينة سعيد بن العاص، فاظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة، وسطا بكل من أبطأ عن البيعة ليزيد، فأبطأ الناس عنها الا اليسير، لا سيما بنى هاشم، فإنه لم يجبه منهم أحد.

"أما مروان فذهب إلى الشام مغاضبا، وواجه معاوية بكلام طويل قال فيه: وأقم الامر يا ابن أبى سفيان، وأهدأ من تأميرك الصبيان، واعلم أن لك فى قومك نظراء، وأنهم على مناوأتك وزراء..

- ثم سكت لأنه رزقه الف دينار فى كل هلال "!! - وكتب معاوية إلى عبد الله بن عباس والى عبد الله بن الزبير والى عبد الله بن جعفر والى الحسين بن على، يدعوهم إلى البيعة ليزيد!.

- وكان كتابه إلى الحسين عليه السلام ما لفظه -:

"أما بعد. فقد انتهت إلى منك أمور، لم أكن أظنك بها، رغبة

(۱) ابن قتيبة (ج ۱ ص ۱۵۶ - ۱۵۸)، والمسعودى - هامش ابن الأثير (ج ۶ ص ۱۰۰ - ۱۰۲).

(۳۰۷)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب عليه السلام (۱)، عبد الله بن الزبير (۱)، الحسين بن على (۱)، بنو هاشم (۱)، الحسن بن على (۱)، الشام (۱)، الفرج (۱)، الموت (۱)، السكوت (۱)، الهلال (۱)، الوفاة (۲)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۲۰۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۰۸

بك عنها، وان أحق الناس بالوفاء من كان مثلك فى خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله!!. ولا تردن هذه الأمة فى فتنة!!. وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون."!!

- فكتب اليه الحسين بما يلى -:

"أما بعد فقد جاءنى كتابك، تذكر فيه أنها انتهت إليك منى أمور لم تكن تظننى بها رغبة بى عنها، وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد عليها الا ـ الله تعالى. واما ما ذكرت انه رقى إليك عنى، فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع. وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حربا ولا ـ خلافا. وانى أخشى الله فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب الظلم وأعوان الشيطان الرجيم. الست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين، الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر؟. فقتلتهم ظلما وعـدوانا، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة، جراءة على الله واسـتخفافا بعهده، أولست بقاتل عمرو بن الحمق الـذى أخلقت وأبلت وجهه العبـادة؟ فقتلته من بعـد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم (۱) لنزلت من شعف (۲) الجبال. أولست المـدعى زيادا فى الاسـلام فزعمت أنه ابن أبى سـفيان؟، وقـد قضـى رسول الله صـلى الله عليه (وآله) وسـلم، أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سـلطته على أهل الاسـلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل!. سبحان الله يا معاوية، لكأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك!!. أولست قاتل الحضرمى الذى كتب فيه إليك زياد أنه على دين على؟، ودين على هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذى

(۱) العصم [جمع أعصم] وهو: (الظبى فى ذراعيه أو فى إحداهما بياض وسائره أسود أو احمر).

(۲) الشعفة بالتحريك: (رأس الجبل). وشعفة كل شئ: (أعلاه) وجمعه: [شعف] محركا فى النص.

(۳۰۸)

مفاتيح البحث: الامر بالمعروف (۱)، النهى عن المنكر (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، عمرو بن الحمق (۱)، الظلم (۱)، القتل (۲)، الإبداع، البدعة (۱)

صفحه ۲۰۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۰۹

أجلسك مجلسك الذى أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شـرفك وشـرف آبائك تجشم الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منة عليكم!.

وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة فى فتنة. وانى لا أعلم فتنة لها أعظم من أمارتك عليها.

وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولـدينك ولامـة محمـد، وانى والله ما أعرف أفضل من جهادك (أى: قتالك)، فان أفعل، فإنه قربـة إلى ربى، وان لم أفعل، فأستغفر الله لذنبى، واسأله التوفيق لما يحب ويرضى.

وقلت فيمـا قلت: متى تكـدنى أكـدك، فكـدنى يا معاويـة فيما بـدا لك، فلعمرى لقـديما يكاد الصالحون، وانى لأرجو ان لا تضـر الا نفسك، ولا تمحق الا عملك، فكدنى ما بدا لك!.

"واتق الله يـا معاويـة!، واعلم ان لله كتابـا لاـ يغادر صـغيرة ولا كبيرة الا أحصاها! واعلم ان الله ليس بناس لك قتلك بالظنـة وأخـذك بالتهمة، وإمارتك صبيا يشرب الشراب ويلعب بالكلاب!!. ما أراك الا وقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية، والسلام (۱.")

ثم قـدم معاوية بعد ذلك إلى المدينة، ومعه خلق كثير من أهل الشام عدهم ابن الأثير بألف فارس. قال ": ثم دخل على عائشة، وكان قد بلغها انه ذكر الحسـين وأصـحابه وقال: لأقتلنهم ان لم يبايعوا.. فقالت له فيما قالت: وارفق بهم فإنهم يصـيرون إلى ما تحب، ان شاء الله!! (۲.")

وقال الدينورى (۳) بعـد ذكره ورود معاوية إلى المدينة ": ثم جلس معاوية صبيحة اليوم الثانى، وأجلس كتابه بحيث يسـمعون ما يأمر به،

(۱) ابن قتيبة (ج ۱ ص ۶۳ - ۶۵).

(۲) أقول: ولنا ان نفهم من هذه اللغة أن أم المؤمنين نفسها كانت قد صارت إلى ما يحب معاوية من البيعة ليزيد!!

(۳) (ج ۱ ص ۱۶۸ - ۱۷۲).

(۳۰۹)

مفاتيح البحث: إبن الأثير (١)، الشام (١)، أمهات المؤمنين، ازواج النبى (ص) (١)

صفحه ۲۱۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١٠

وأمر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس وان قرب. ثم أرسل إلى الحسين بن على وعبد الله بن عباس، فسبق ابن عباس، فأجلسه عن يساره، وشاغله بالحديث حتى أقبل الحسين ودخل، فأجلسه عن يمينه، وسأله عن حال بنى الحسن (!!) وأسنانهم، فأخبره.

"ثم خطب معاوية خطبة أثنى فيها على الله ورسوله وذكر الشيخين وعثمان، ثم ذكر أمر يزيد، وانه يحاول ببيعته سد خلل الرعية!، وذكر علمه بالقرآن والسنة!، واتصافه بالحلم!، وأنه يفوقهما سياسة ومناظرة! وان كانا أكبر منه سنا (١)، وأفضل قرابة. واستشهد بتولية النبى صلى الله عليه (وآله) وسلم عمرو بن العاص فى غزوة " ذات السلاسل " على أبى بكر وعمر وأكابر الصحابة ثم استجابهما عما ذكر."

قال ": فتهيأ ابن عباس للكلام، فقال له الحسين: على رسلك، فانا المراد (٢)، ونصيبى فى التهمة أوفر.

وقام الحسين، فحمد الله تعالى وصلى على الرسول صلى الله عليه وآله وقال:

"أما بعد - يا معاوية -، فلن يؤدى القائل وان أطنب فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزءا، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله (٣) من ايجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ البيعة. وهيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجا، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذى حق من اسم حقه

(١) سبق ان معاوية كان يحتج على الحسن بكبر سنه، ولم تكن له حجة غيرها على استحقاقه الخلافة دونه. فما لهذه الباء لا تجر هنا؟!!.

(٢) لأنه هو صاحب الحق بالخلافة بعد الحسن، كما نص عليه جده رسول الله (ص) أولا، وكما نصت عليه معاهدة الصلح ثانيا.

(٣) يشير إلى اعراضه عن ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فيمن ذكره بعد رسول الله (ص).

(٣١٠)

مفاتيح البحث: الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، عبد الله بن عباس (٣)، عمرو بن العاص (١)، الحسين بن على (١)، القرآن الكريم (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، الحج (١)

صفحه ۲۱۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣١١

من نصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر (١)، ونصيبه الأكمل.

"وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد، تريد أن توهم الناس فى يزيد، كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كأنك احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهى - تجده ناصرا.

ودع عنك ما تحاول!!. فما أغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلا فى جور، وحنقا فى ظلم، حتى ملئت الأسقية، وما بينك وبين الموت الا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ فى يوم مشهود، ولات حين مناص..

"وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صار ذلك لعمرو يومئذ، حتى أنف القوم امرته، وكرهوا تقديمه، وعدوا عليه أفعاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا جرم معشر المهاجرين، لا يعمل عليكم بعد اليوم. فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول فى أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف ضاهيت بصاحب تابعا؟ وحولك من يؤمن فى صحبته، ويعتمد فى دينه وقرابته، تتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة، يسعد بها الباقى فى دنياه، وتشقى بها فى آخرتك. ان هذا لهو الخسران المبين، واستغفر الله لى ولكم."

قال ": فنظر معاوية إلى ابن عباس، فقال: ما هذا يا ابن عباس؟ ولما عندك أدهى وأمر!.. فقال ابن عباس: لعمر الله، انه لذرية الرسول، وأحد أصحاب الكساء، ومن البيت المطهر فاله عما تريد، فان لك فى

(۱) يريد ان هذا الاجحاف المقصود كان هو منية الشيطان فى تأريث الخلاف..

(۳۱۱)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، عبد الله بن عباس (۳)، أهل الكساء (۱)، الموت (۱)

صفحه ۲۱۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۱۲

الناس مقنعا، حتى يحكم الله بأمره، وهو خير الحاكمين.

ثم خرج معاوية إلى مكة كما يحدثنا ابن الأثير وغيره من المؤرخين، قال ": وسبقه الحسين بن على وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر وابن عمر إليها. ولما كان آخر أيامه بمكة، أحضر هؤلاء ... وقال لهم: انى أحببت ان أتقدم إليكم، انه قد أعذر من انذر، انى كنت اخطب فيكم، فيقوم إلى القائم منكم فيكذبنى على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح. وانى قائم بمقالة، فأقسم بالله لئن رد على أحدكم كلمة فى مقامى هذا، لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل الا على نفسه!

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين، ومع كل واحد سيف، فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما!!..

ثم خرج وخرجوا معه، حتى أتى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يبتز أمر دونهم، ولا يقضى الا عن مشورتهم. وانهم قد رضوا وبايعوا يزيد!! فبايعوا على اسم الله!. فبايع الناس. انتهى ملخصا.

وولدت هذه البيعة البغيضة ولكن بعد اعسار شديد، لم تنجع فيه الا السيوف المشهورة على رؤوس الرجال، فإذا هى بنت مؤامرات ومناورات وإرهاب!.

وإذا كانت هذه هى خلافة الاسلام، فعلى الاسلام السلام.

وأخرج البخارى فى صحيحه عن النبى (ص "): ما من وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم، الا حرم الله عليه الجنة."

(۳۱۲)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة مكة المكرمة (۲)، إبن الأثير (۱)، عبد الله بن الزبير (۱)، الحسين بن على (۱)

صفحه ۲۱۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۱۳

۳ - الوفاء بالشرط الثالث قال ابن الأثير " ان معاوية كان إذا قنت سب عليا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر (۱. ") ونقل أبو

عثمان الجاحظ فی کتاب [الرد علی الامامیهٔ "]: ان معاویهٔ کان یقول فی آخر خطبته: اللهم ان أبا تراب – یعنی علیا – الحد فی دینک، وصد عن سبیلک، فالعنه لعنا وبیلا وعذبه عذابا ألیما. وکتب بذلک إلی الآفاق، فکانت هذه الکلمات یشاد بها علی المنابر (۲.")

وقیل لمروان ": ما لکم تسبونه علی المنابر "؟ فقال ": لا یستقیم لنا الامر الا بذلک.."!!

وکان من مجهود معاویهٔ فی هذا السبیل ما طفحت به السیر والتواریخ. وهو – علی هذا – أول من سن الجهر بسب صحابهٔ الرسول، وأول من فتح هذا الباب علی مصراعیه لمن جاء من بعده، ولا نعرف أن أحدا سبقه إلی مثل هذا اللهم الا ما کان من عائشهٔ یوم قالت: "اقتلوا نعثلا فقد کفر، "!! ثم لا نعهد فی علماء المسلمین من حکم علی عائشهٔ بالکفر، ولا علی معاویهٔ بالمروق من الدین، لأنهما استباحا سب الصحابهٔ، أو لأنهما أو غلا فی السب حتی عمدا إلی التکفیر. ومما لا شک فیه أن حکم الأمثال واحد لا یختلف مع الزمان، ولذلک، فانا لا نجد مساغا إلی الحکم علی من نال من معاویهٔ أو نال من صحابی آخر، الا بما حکم به علماء المسلمین علی معاویهٔ وعائشهٔ فی نیلهما من علی وعثمان، لا أقل ولا أکثر.

وأما الأثر المزعوم القائل " بأیهم اقتدیتم اهتدیتم، " فقد خص حتی سقط عمومه عن الحجیهٔ، والا لکان السابون للصحابهٔ من الصحابهٔ أولی

(۱ ") النصائح الکافیهٔ " لابن عقیل (ص ۱۹ – ۲۰).

(۲ ") النصائح الکافیهٔ " لابن عقیل (ص ۱۹ – ۲۰).

(۳۱۳)

مفاتیح البحث: سب الصحابهٔ (۲)، الجهر والإخفات (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، إبن الأثیر (۱)، السب (۲)، کتاب الکافئهٔ للشیخ المفید (۲)

صفحه ۲۱۴

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحهٔ ۳۱۴

بالعمل به. ولو کف معاویهٔ لسانه عن النجوم من آل محمد (ص) الذین کان علیه ان یقتدی بهم لیهتدی، لکف الناس ألسنتهم عنه وعن أمثاله من الظالمین، ولماتت النعرات ولتم الصلح بصلاح المسلمین.

ولکنها کانت البذرهٔ الخبیثهٔ التی زرعها الرجل عامدا، ثم تعاهدها هو وذووه بالتغذیهٔ والسقی، فإذا بها شجرهٔ العوسج فی تاریخ الاسلام، استغفلوا بها البسطاء ولبسوا بها علی عقول الجهلاء، وجعلوا من السبهٔ فی التاریخ " سنهٔ " فی المسلمین، یتنادون علیها، ویحتفلون بها، ویحتجون (۱) علی ترکها إذا ترکت!!..

وما لمعاویهٔ فیما قدم لنفسه من هذه الباقیات من عذر یرجی، ولا فیما أخر لتاریخه من مجد یحسد علیه أو یطری. وإذا کان الدهاء هو فشل الانسان فیما قدم وفیما أخر، فمعاویهٔ أدهی الدهاهٔ!.

وکان من أروع مظاهر الدهاء فیه موقفه من صلح الحسن علیه السلام بما جر علیه هذا الصلح من ویلات معنویهٔ ونکبات تاریخیهٔ فی حیاته وبعد مماته!!.

وکان معنی الصلح فی مفهوم الناس، وأعنی الصلح الذی لج هو فی تحصیله حتی أقام الدنیا وأقعدها – هو ان یحطم السنان وان یکم اللسان وان یکون کل وشأنه. وفق الحدود التی ستقررها المعاهدهٔ فیما یتفق علیه الفریقان. وجاءت المادهٔ الثالثهٔ من اتفاقیتهما، وهی صریحهٔ بوجوب الکف عن السب، فکان علی معاویهٔ ان یکف، لو انه أراد الصلح حقیقهٔ، أو أراد الوفاء بالشروط کما یفرضه الذمام والعهد والایمان.

ولکن الرجل لم یطلب الصلح الا لیسرح الجنود، ولیأمن غائلهٔ حربه مع الحسن ابن رسول الله (ص) – کما أشیر الیه –، لم یشأ ان یرجع

فی صلحه إلی التزام المقررات، أو الاکتراث بالمعاهدات، فوقع الصلح ولکنه انما وقعه حبرا علی ورق، وحلف الایمان وأعطی المواثیق ولکنه

(۱) سبق فی الفصل (۱۴) زیادة توضیح للبحث مع ذکر المصادر بأرقامها.

(۳۱۴)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۸)، التاریخ الإسلامی (۱)، الظلم (۱)، السب (۱)

صفحه ۲۱۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۱۵

أرسلها ارسالا لا یتحسس من ورائه ذمة ولا سؤالا وجاء الکوفة، وسبق إلی منبرها فذکر علیا ونال منه، ثم نال من الحسن، فقام الحسین لیرد علیه، فأخذ الحسن بیده فأجلسه، ثم قام فقال ما شاء أن یقول من أسلوب حکیم، ودعوة حق إلی صراط مستقیم.. [وقد مرت خطبة الحسن بطولها وما قاله معاویة قبلها فی الفصل (۱۸)].

وکان فیما هتف الناس به للحسن علی خطابه وجوابه، ما لم یرض له معاویة، وهو إذ ذاک لا یزال ثملا بخمرة الانتصار الموهوم، فرأی أن ینظم حملة جدیدة لتربیت الخلق الذی لا یحسد علیه - خلق السباب والشتم والطعن فی الناس -، رغم أن المثالیة الاسلامیة تناقض هذا الخلق وتنکره علی الناس وتدعوهم إلی التراحم والتحابب والاخوة فی الدین، وتقول فیما تقول ": لا یکون المؤمن سبابا ولا فحاشا ولا طعانا ولا لعانا."

"فقال أبو الحسن علی بن محمد بن أبی یوسف المدائنی فی کتاب الاحداث: کتب معاویة نسخة واحدة بعد عام الجماعة، أن برئت الذمة ممن روی شیئا من فضل أبی تراب - یعنی علیا علیه السلام - وأهل بیته. فقامت الخطباء فی کل کورة وعلی کل منبر، یلعنون علیا ویبرؤون منه، ویقعون فیه وفی أهل بیته، وکان أشد الناس بلاء حینئذ أهل الکوفة لکثرة من بها من شیعة علی علیه السلام (۱.")

ودعا المغیرة بن شعبة وهو یرید أن یستعمله علی الکوفة - بعد الصلح - فقال له: أما بعد. فان لذی الحلم قبل الیوم ما تقرع العصا، ولا یجزی عنک الحلیم بغیر التعلیم، وقد أردت إیصاءک بأشیاء کثیرة، انا تارکها، اعتمادا علی بصرک. ولست تارکا إیصاءک بخصلة واحدة، لا تترک شتم علی وذمه!! (۲.")

ثم خلف المغیرة علی الکوفة زیاد " فکان یجمع الناس بباب قصره

(۱) ابن أبی الحدید (ج ۳ ص ۱۵).

(۲) ابن الأثیر (ج ۳ ص ۱۸۷)، والطبری (ج ۶ ص ۱۴۱).

(۳۱۵)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، مدینة الکوفة (۴)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، المغیرة بن شعبة (۱)، علی بن محمد (۱)، الجماعة (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، إبن الأثیر (۱)

صفحه ۲۱۶

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۱۶

یحرضهم علی لعن علی، فمن أبی عرضه علی السیف!! (۱.")

وأما فی البصرة. فإنه استعمل علیها بسر بن أرطاة " فکان یخطب علی منبرها فیشتم علیا، ویقول: ناشدت الله رجلا علم أنی صادق الا

صـدقنی أو کـاذب الاـ کـذبنی. " قـال الطبری فی تـاریخه ": فقـال له أبو بکرة: اللهـم انـا لاـ نعلمک الا کاذبا!، قال: فأمر به فخنق، ثم أنقذوه منه!! (۲.")

واما فی المدینـة، وواليه عليهـا مروان بن الحکم، فکـان لا يـدع سب علی عليه السـلام علی المنبر کل جمعـة. قال ابن حجر المکی": وکـان الحسن يعلم ذلک ولا يـدخل المسـجد الا عنـد الإقامـة، فلم يرض بـذلک مروان، حتی أرسل إلی الحسن فی بيته بالسب البليغ لأبيه وله!! (۳.")

"ولما حـج معاوية – بعد الصـلح – طاف بالبيت ومعه سـعد بن أبی وقاص، فلما فرغ انصـرف معاوية إلی دار الندوة، فأجلسه معه علی سريره، ووقع معاوية فی علی وشـرع فی سبه، فزحف سـعد، ثم قال: أجلسـتنی معک علی سريرک ثم شرعت فی سب علی!. والله لأن يکون فی خصلة واحدة من خصال کانت لعلی أحب إلی من أن يکون لی ما طلعت عليه الشمس!. والله لأن أکون صهر الرسول صلی الله عليه وسـلم، لی من الولد ما لعلی، أحب إلی من ان يکون لی ما طلعت عليه الشمس!. ولله لأن يکون رسول الله صلی الله عليه وسلم قال لی ما قاله يوم خيبر: لأعطين الرايـة غـدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس بفرار، يفتـح الله علی يديه، أحب إلی من أن يکون لی ما طلعت عليه الشـمس!. والله لأن يکون رسول الله صـلی الله عليه وسـلم قال لی ما قاله له فی غزوة تبوک: ألا ترضـی ان تکون منی بمنزلة هارون من موسی الا أنه لا نبی بعدی، أحب إلی من ان يکون لی ما طلعت عليه الشمس!، وأيم الله

(۱) المسعودی (هامش ابن الأثير ج ۶ ص ۹۹).

(۲) الطبری (ج ۶ ص ۹۶) وابن الأثير (ج ۳ ص ۱۰۵).

(۳) يراجع النصائح الکافية (ص ۷۳ الطبعة الأولی).

(۳۱۶)

مفاتيـح البحث: الإمام أمير المؤمنين علی بن ابی طالب عليهما السـلام (۱)، الرسول الأکرم محمـد بن عبد الله صـلی الله عليه وآله (۳)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، معرکة تبوک (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، مروان بن الحکم (۱)، مدينة البصرة (۱)، خيبر (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، السجود (۱)، الحج (۱)، السب (۲)، کتاب الکافئة للشيخ المفيد (۱)، إبن الأثير (۲)

صفحه ۲۱۷

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۱۷

لا دخلت لک دارا ما بقيت (۱.")

وروی المسـعودی من جواب معاويـة لسـعد، ما نربأ بقلمنا عن التصـريح به لقبحه، ولکنه علی کل حال دليل جديـد علی مبلغ إسـفاف الرجل فی خلقه وفی آدابه وفی مجاملاته..

۴ – الوفاء بالشرط الرابع قال الطبری (ج ۶ ص ۹۵ "): وحال أهل البصـرة بينه – يعنی بين الحسن – وبين خراج دار ابجرد، وقالوا: فيئنا ".

وقال ابن الأثير (ج ۳ ص ۱۶۲ "): وکان منعهم – يعنی منع أهل البصرة – بأمر من معاوية أيضا."!!

۵ – الوفـاء بالشـرط الخـامس وکـان الشـرط – کما علمت – هو العهـد بالأمان العام، والأمان لشـيعة علی علی الخصوص، وأن لا يبغی للحسنين عليهما السلام وأهل بيتهما غائلة سرا ولا جهرا.

وللمؤرخين فيمـا يرجع إلی موضوع هـذا الشـرط نصوص کـثيرة، بعضـها وصف للکوارث الداجيـة التی جوبه بهـا الشـيعة من الحکـام الأمويين فی عهـد معاوية، وبعضـها قضايا فردية فيما نکب به معاوية الشخصـيات الممتازة من أصـحاب أمير المؤمنين، وبعضـها خيانته تجاه الحسن والحسين خاصة. وليکن عرضنا لهذه النصوص هنا علی الترتيب المذکور أيضا.

(۱) المسعودی (هامش ابن الأثير ج ۶ ص ۸۱ – ۸۲).

معاوية وشيعة على " عليه السلام"

(۳۱۷)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (۱)، إبن الأثير (۲)، مدينة البصرة (۲)، المنع (۲)، الترتيب (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)

صفحه ۲۱۸

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۲۰

كانت السياسة الأموية التى وضعها معاوية ثم تبعه عليها الامراء الأمويون من بعده، هى أن يخلقوا من أنفسهم سادة يستأثرون بكل محمدة فى الناس، فما الكرم ولا الحلم ولا الدهاء ولا الشجاعة ولا الفصاحة الا بعض هباتهم الخاصة التى احتجزوها من دون الناس جميعا، وقد وضعوا فى سبيل تركيز هذه السياسة المتعمدة، التاريخ الزائف الذى ظل يفيض بسلسلة من الأحاديث الموضوعة، والقصص المصطنع، والأكاذيب المنوعة، والادعاء الفارغ، وأمروا الوعاظ المأجورين، ومعلمى الكتاتيب فى سائر بلدان المملكة الاسلامية، بدراسة الأمالى الأموية بما فيها من مدح زائف أو قدح كاذب، وعملوا كل ما كان بوسعهم أن يعملوه ليثيروا فى قلوب الناشئة من أولاد الناس الغرور بحبهم، والانقياد المطلق لدهائهم، فإذا بهذه الناشئة بعد لأى جنود لامية يتخاصمون بدمائهم البريئة لأهدافها، وإذا بسيول الدماء تصبغ بقاع الأرض لتستقيم صفوف الخدم والحشم والوكلاء والمقدمين فى بلاد الأسياد المتغلبين.

ولم يكن ثمة هدف آخر غير هدف الاستئثار بالسيادة والملك والثراء واللذات الدنيوية الرخيصة، وهو ما كان يضيق به المعنيون بدينهم من آل محمد صلى الله عليه وآله، ومن المسلمين الثابتين على الاخلاص لله فى إسلاميتهم، ومن هنا كان مبعث الشقاق المتواصل الحلقات بين هذه الطبقة من أموية الاسلام، وتلك الفئة من حملة تراث الاسلام ودعاته المخلصين.

جاء فى تاريخ الطبرى (ج ۷ ص ۱۰۴) استطراد مقتضب يرفعه إلى زيد بن أنس عن الوضع العام الذى كان يرزح تحته معاشر الشيعة فى أيام معاوية، وكان فيما يقوله أحدهم وهو يخاطبهم ": انكم كنتم تقتلون

(۳۲۰)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، كتاب أمالى الصدوق (۱)، الدولة الأموية (۳)، الأحاديث الموضوعة (۱)، كتاب تاريخ الطبرى (۱)، القتل (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)، الكرم، الكرامة (۱)

صفحه ۲۱۹

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۲۱

وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل فى حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون فى بيوتكم وطاعة عدوكم."!!

والحديث على اقتضابه تفصيل غريب ومعرض رهيب لم يحدثنا المسعودى الا بطرف منه فيما نقلناه عنه قريبا.

أما المدائنى المتوفى سنة ۲۲۵، وسليم بن قيس المتوفى سنة ۷۰، فإنهما عرضا صورة كاملة من هذه المعارض الرهيبة والمآسى الكئيبة، وكان سليم بن قيس أحد شهودها المروعين بها، لأنه عاش معاصرا لمعاوية ومات بعده بعشر سنين، ولا شاهد كشاهد عيان، ولذلك فلنؤثر لفظه، وان كان المدائنى يكاد لا يختلف عنه فى قليل ولا كثير، قال:

"قدم معاوية حاجا – فى خلافته – بعدما قتل أمير المؤمنين وصالح الحسن.. واستقبله أهل المدينة وفيهم قيس بن سعد – وكان سيد

الأنصار وابن سیدهم - فدار بینهما الحدیث حتی انتهیا إلی [الخلافة]. فقال قیس: ولعمری ما لأحد من الأنصار ولا لقریش ولا لاحد من العرب والعجم فی الخلافة حق مع علی وولده من بعده. فغضب معاویة.. ونادی منادیه وکتب بذلک نسخة واحدة إلی عماله: (ألا برئت الذمة ممن روی حدیثا فی مناقب علی وأهل بیته!!). وقامت الخطباء فی کل کورة ومکان علی المنابر بلعن علی بن أبی طالب والبراءة منه، والوقیعة فی أهل بیته، واللعنة لهم بما لیس فیهم. ثم ان معاویة مر بحلقة من قریش، فلما رأوه قاموا الیه غیر عبد الله بن عباس، فقال له: یا ابن عباس ما منعک من القیام کما قام أصحابک الا لموجدة علی بقتالی إیاکم یوم صفین، یا ابن عباس ان ابن عمی عثمان قتل مظلوما، قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما فسلم الامر إلی ولده، وهذا ابنه. قال: ان عمر قتله مشرک، قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون، قال: فذلک أدحض لحجتک، ان کان المسلمون قتلوه وخذلوه فلیس الا بحق، قال: فانا کتبنا إلی الآفاق ننهی عن ذکر مناقب علی وأهل بیته، فکف

(۳۲۱)

مفاتیح البحث: عبد الله بن عباس (۵)، الخلیفة عمر بن الخطاب (۱)، علی بن أبی طالب (۱)، سلیم بن قیس (۲)، قیس بن سعد (۱)، القتل (۶)، الشهادة (۱)، الظلم (۲)، الوفاة (۱)

صفحه ۲۲۰

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۲۲

لسانک یا ابن عباس. قال: فتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: فتنهانا عن تأویله؟ قال: نعم، قال: فنقرأه ولا نسأل عما عنی الله به؟ قال: نعم، قال: فأیهما أوجب علینا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به، قال: فکیف نعمل به حتی نعلم ما عنی الله بما أنزل علینا؟ قال: سل عن ذلک من یتأوله علی غیر ما تتأوله أنت وأهل بیتک، قال: انما أنزل القرآن علی أهل بیتی فأسأل عنه آل أبی سفیان وآل أبی معیط؟! قال: فاقرأوا القرآن ولا تروا شیئا مما أنزل الله فیکم ومما قال رسول الله، وارووا ما سوی ذلک! قال ابن عباس: قال الله تعالی: یریدون أن یطفئوا نور الله بأفواههم ویأبی الله الا أن یتم نوره ولو کره الکافرون. قال معاویة: یا ابن عباس اکفنی نفسک وکف عنی لسانک، وان کنت لابد فاعلا فلیکن سرا ولا تسمعه أحدا علانیة! - ثم رجع إلی منزله واشتد البلاء بالأمصار کلها علی شیعة علی وأهل بیته، وکان أشد الناس بلیة أهل الکوفة لکثرة من بها من الشیعة، واستعمل علیها زیادا، وجمع له العراقین، وکان یتتبع الشیعة وهو بهم عالم، لأنه کان منهم، فقتلهم تحت کل کوکب، وتحت کل حجر ومدر وأحلأهم وأخافهم، وقطع الأیدی والأرجل منهم، وصلبهم علی جذوع النخل، وسمل أعینهم، وطردهم وشردهم، وکتب معاویة إلی قضاته وولاته فی الأمصار أن لا یجیزوا لأحد من شیعة علی الذین یروون فضله ویتحدثون بمناقبه شهادة!! وکتب إلی عماله، انظروا من قبلکم من شیعة عثمان الذین یروون فضله ویتحدثون بمناقبه فأکرموهم وشرفوهم، واکتبوا إلی بما یروی کل واحد منهم فیه باسمه واسم أبیه، وبعث إلیهم بالصلات والکسا، وأکثر القطائع للعرب والموالی فکثروا، وتنافسوا فی المنازل والضیاع، واتسعت علیهم الدنیا، ثم کتب إلی عماله: ان الحدیث قد کثر فی عثمان فإذا جاءکم کتابی هذا فادعوهم إلی الروایة فی أبی بکر وعمر، فقرأ کل قاض وأمیر کتابه علی الناس، وأخذ الناس فی الروایات فیهم وفی مناقبهم، ثم کتب نسخة جمع فیها جمیع ما روی فیهم من المناقب، وأنفذها إلی عماله، وأمرهم بقراءتها علی المنابر. وفی کل

(۳۲۲)

مفاتیح البحث: عبد الله بن عباس (۳)، مدینة الکوفة (۱)، القرآن الکریم (۳)، الشهادة (۱)

صفحه ۲۲۱

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۲۳

کورة، وفی کل مسجد، وأمرهم أن ینفذوا إلی معلمی الکتاتیب أن یعلموها صبیانهم حتی یرووها ویتعلموها کما یتعلمون القرآن حتی علموها بناتهم ونساءهم وخدمهم - ثم کتب إلی عماله نسخة واحدة: (انظروا من قامت علیه البینة أنه یحب علیا وأهل بیته فامحوه من الدیوان)، ثم کتب کتابا آخر: (من اتهمتموه ولم تقم علیه بینة فاقتلوه!!) فقتلوهم علی التهم والظن والشبه تحت کل کوکب، حتی لقد کان الرجل یسقط بالکلمة فتضرب عنقه!!. وجعل الامر لا یزداد الا شدة، وکثر عددهم، وأظهروا أحادیثهم الکاذبة فنشأ الناس علی ذلک، لا یتعلمون الا منهم. وکان أعظم الناس فی ذلک القراء المراؤون المتصنعون الذین یظهرون الحزن والخشوع والنسک ویکذبون، لیحظوا عند ولاتهم، ویصیبوا بذلک الأموال والقطائع والمنازل. حتی صارت أحادیثهم فی أیدی من یحسب انها حق فرووها وعلموها. وصارت فی أیدی المتدینین الذین لا یستحلون الکذب، فقبلوها وهم یرون أنها حق، ولو علموا انها باطل لم یرووها ولم یتدینوا بها، فلما مات الحسن بن علی علیه السلام. لم تزل الفتنة والبلاء یعظمان ویشتدان."

أقول: وروی مثل ذلک بکامله أبو الحسن المدائنی فیما أخذه عنه ابن أبی الحدید (ج ۳ ص ۱۵ - ۱۶) وقال فی آخره:

"فلم یزل الامر کذلک حتی مات الحسن بن علی علیه السلام، فازداد البلاء والفتنة فلم یبق أحد من هذا القبیل الا وهو خائف علی دمه أو طرید فی الأرض."

وکان هذا أسلوبا من الحوادث تستسیغه المحاکمة فی ظروف الفریقین، ویصدقه التناسق التاریخی فی تسلسل الاحداث. ولا یضیره اغفال المؤرخین الآخرین لأنهم - ولنعذرهم - انما کانوا یکتبون للسیاسة القائمة، أو لما لا یضیرها علی الأقل.

وتقدم أن الطبری والمسعودی ألمحا إلی کل ذلک باختصار. وعلی

(۳۲۳)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۲)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، أبو الحسن المدائنی (۱)، القرآن الکریم (۱)، الکذب، التکذیب (۱)، القتل (۱)، الموت (۲)، الحزن (۱)، الخوف (۱)، السجود (۱)

صفحه ۲۲۲

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۲۴

هذا فمصادر هذه المادة: سلیم بن قیس، المدائنی، ابن أبی الحدید، الطبری، المسعودی.

وفی سبیل الله أشلاء مضرجة، وشمل شتیت، وحطام من مساکن یشرد أهلها أو یساقون إلی الجزر سوق القطیع! فمنهم من قضی نحبه ومنهم من ینتظر وما بدلوا تبدیلا.

وتلک هی تعبئة معاویة لاقتناص الخلافة فی الاسلام له ولبنیه!.

وتلک هی طریقته البکر فی وفائه بعهود الله ومواثیقه!.

* * * وزاد سلیم بن قیس بعد ذلک فقال:

"ولما کان قبل موت معاویة بسنة، حج الحسین بن علی وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر فجمع الحسین بنی هاشم، ثم رجالهم ونساءهم وموالیهم ومن حج منهم من الأنصار، ممن یعرفه الحسین علیه السلام وأهل بیته، ثم أرسل رسلا: لا تدعوا أحدا حج العام من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله المعروفین بالصلاح والنسک الا أجمعوهم لی، فاجتمع الیه بمنی أکثر من سبعمائة رجل، وهم فی سرادقه، عامتهم من التابعین، ونحو من مائتی رجل من أصحاب النبی صلی الله علیه وآله وسلم. فقام فیهم خطیبا.

"فحمد الله واثنی علیه ثم قال: أما بعد، فان هذا الطاغیة قد فعل بنا وبشیعتنا ما قد رأیتم وعلمتم وشهدتم. وانی أرید أن أسألکم عن شئ فان صدقت فصدقونی وان کذبت فکذبونی، اسمعوا مقالتی، واکتبوا قولی، ثم ارجعوا إلی أمصارکم وقبائلکم فمن أمنتم من

الناس، ووثقتم به فادعوهم إلی ما تعلمون من حقنا. فانی أتخوف أن یدرس هذا الامر ویذهب الحق ویغلب، والله متم نوره ولو کره الکافرون.

"وما ترک شیئا مما أنزله الله فیهم من القرآن الا تلاه وفسره، ولا

(۳۲۴)

مفاتیح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (۲)، الإمام الحسین بن علی سید الشهداء (علیهما السلام) (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، عبد الله بن جعفر الطیار بن أبی طالب علیه السلام (۱)، الحسین بن علی (۱)، بنو هاشم (۱)، سلیم بن قیس (۲)، سبیل الله (۱)، القرآن الکریم (۱)، الکذب، التکذیب (۱)، التعبأة، العبء (۱)، الحج (۳)

صفحه ۲۲۳

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۲۵

شیئا مما قاله رسول الله صلی الله علیه وآله فی أبیه وأخیه وأمه وفی نفسه وأهل بیته الا رواه.. وکل ذلک یقول أصحابه، اللهم نعم وقد سمعنا وشهدنا. ویقول التابعی: اللهم قد حدثنی به من أصدقه وأئتمنه من الصحابة. فقال: أنشدکم الله الا حدثتم به من تثقون به وبدینه ".

* * معاویة وزعماء الشیعة وکان موقف معاویة من زعماء الشیعة بعد صلحه مع الحسن موقف المنتقم الحاقد الذی لا تأخذه بهم رأفة ولا ذمة ولا " عهد، " وکان لخوفه من الدعاوة الفعالة التی یحملها هؤلاء السادة من زعماء الشیعة أثره فیما توفر علیه من القصد إلی ایذائهم وإقصائهم وقتلهم والتنکیل بهم. ولسنا الآن بسبیل استقصاء ما عمله معاویة تجاه هؤلاء الشیعة، ولا استقصاء ما کان ینویه بهم من خطط بعیدة الأهداف. ولکننا - لندل علی مدی وفاء هذا الأموی بشروطه وإیمانه - سنورد فی هذا الفصل بعض أعماله تجاههم وبعض نوایاه بهم. وفی قلیل من هذه الأمثلة کفایة عن الکثیر آثرنا ترکه أو خفی علینا علمه.

وقد خسر تاریخ هؤلاء الشیعة انصاف المؤرخین بعد ذلک، ولعب التعصب الذمیم دوره المهم فی طمس معالم هذا التاریخ أحفل ما یکون بالقضایا البارزة التی کان من حقها أن تأخذ مکانها من عبرة الأجیال. وکان للسلطات الحاکمة عملها فی توجیه ما یکتب للتاریخ أو یملی للحدیث، حتی فیما یتناول أئمة الشیعة فضلا عن زعمائهم أو سوادهم.

"روی ابن عرفة المعروف بنفطویه وهو من أکابر المحدثین وأعلامهم فی تاریخه ما یناسب هذا.. قال: ان أکثر الأحادیث الموضوعة فی فضائل الصحابة افتعلت فی أیام بنی أمیة تقربا إلیهم بما یظنون أنهم یرغمون به أنوف بنی هاشم!.

"وقال المدائنی عن عصر معاویة: وظهر حدیث کثیر موضوع،

(۳۲۵)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، الأحادیث الموضوعة (۱)، یوم عرفة (۱)، بنو أمیة (۱)، بنو هاشم (۱)، القتل (۱)، الظنّ (۱)، الخسران (۱)

صفحه ۲۲۴

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۲۶

وبهتان منتشر، ومضی علی ذلک الفقهاء والقضاة والولاة، وکان أعظم الناس فی ذلک بلیة القراء المراؤون، والمستضعفون الذین یظهرون الخشوع والنسک فیفتعلون الأحادیث لیحظوا بذلک عند ولاتهم ویقربوا مجلسهم، ویصیبوا به الأموال والضیاع والمنازل، حتی انتقلت تلک الاخبار والأحادیث إلی أیدی الدیانین الذین لا یستحلون الکذب والبهتان فقبلوها ورووها، وهم یظنون انها حق،

ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها (۱.")

وقال ابن أبی الحدید ": وذکر شیخنا أبو جعفر الإسکافی.. أن معاویة وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعین علی روایة أخبار قبیحة فی علی علیه السلام، تقتضی الطعن فیه والبراءة منه، وجعل لهم علی ذلک جعلا یرغب فی مثله، فاختلقوا ما أرضاه. منهم أبو هریرة وعمرو بن العاص والمغیرة بن شعبة. ومن التابعین عروة بن الزبیر (۲.")

أقول: وشیء قلیل من حیدة فی النظر ودقة فی الاستنتاج یکفینا للقناعة بألوان التصرفات الکیفیة الواسعة النطاق التی نکب بها کل من حدیث الاسلام وتاریخ أحداثه معا. حتی لقد یعز علی المتتبع فی ما جریات الحوادث الاسلامیة الأولی ان لا یجد قضیة من مهمات القضایا الاسلامیة یومئذ سلمت فی تناسقها التاریخی من الاصطدام بالمفارقات البعیدة التی تغمرها بالشک، ثم لا تزال تأخذ بها بین التیارات المتعاکسة ذات الیمین وذات الشمال.

ولا حاجة بنا بعد ذلک إلی جمع الشهادات والتصریحات علی شیوع الوضع (۳) وکثرة الوضاعین، لان خیر شهود کل شئ ما کان منه مباشرة.

وکانت قضیة الحسن بن علی علیهما السلام بملابساتها وذیولها احدی

(۱) و (۲) ابن أبی الحدید (ج ۳ ص ۱۶) و (ج ۱ ص ۳۵۸).

(۳) وللعلامة الأمینی النجفی فی " کتاب الغدیر (" ج ۵ من ص ۱۸۵ إلی ۳۲۹) بحثه القیم عن الوضاعین الکذابین جمع فیه ستمائة وعشرین کذابا وضاعا ممن سلکهم القوم فی رواة الحدیث والتاریخ. فلیراجع.

(۳۲۶)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۲)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۲)، أبو هریرة العجلی (۱)، المغیرة بن شعبة (۱)، عمرو بن العاص (۱)، الکذب، التکذیب (۱)، الشهادة (۱)، الظنّ (۱)، العزّة (۱)، الوسعة (۱)

صفحه ۲۲۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۲۷

هاتیک القضایا التی لعبت الأهواء فی التحدث عنها وضعا ورفعا وجمعا وتفریقا، وفقدت تحت تأثیر هذا التلاعب المؤسف الذی لم یکن کله مقصودا، کما لم یکن کله غیر مقصود، روعة واقعها الأول. وکان من طبیعة هذا الوضع أن تختلف علیه الافهام، ویکثر حوله النقض والابرام. وما هی الا کنموذج واحد من قضایا کثیرة فی تاریخ الاسلام ظلمها التاریخ وجللها بالظلام.

وانهم لیعرفون، وهم یؤرخون الحسن، مکانة الحسن فی التاریخ ویعلمون أنهم انما یکتبون عن " أحد الأحدین " فی العالم الاسلامی کله.

فکیف بهم إذا جاوزوا فیما یؤرخون مثل هذه النقطة المرکزة، إلی نقاط لا تبلغ فی موضوعها خطورة امام؟.

لذلک یجب أن لا نطمع فی موضوع [معاویة وزعماء الشیعة] بالحصول علی الحقائق الکافیة التی تملأ نهم البحث، ولا بالوقوف علی الاحصاءات الصحیحة التی تسد نطاق الموضوع، بما یتناسب وحدیث المدائنی، وتفاصیل سلیم بن قیس.

ذلک لأن کل شئ من هذا القبیل، وکل شئ من تاریخ الشیعة الصحیح، قد طغت علیه التصرفات المعارضة، وأکلته الأکاذیب المأجورة علی طول التاریخ.

ولیس لنا الآن، الا أن نعود فنتسقط الاخبار من هنا ومن هنالک لنعرض شیئا له صورته التاریخیة التی نعتقد أنها - علی فظاعتها - قلیل من کثیر، وبعض من کل.

والیک الآن القائمة المحزونة التی تحمل أسماء هؤلاء بما فیهم من صحابة وتابعین، ولندرس علی ضوء هذه القائمة جواب معاویة

علی الشرط الخامس من شروط معاهدة الصلح. ثم لنتدرج مع فقرات هذا الشرط فیما نأتی علیه من فصول.

أ – الشهداء المقتولون صبرا..

(۱ – حجر بن عدی الکندی) یعرف بحجر الخیر، ویکنی بأبی عبد الرحمن بن عدی بن الحرث بن عمرو بن حجر المقلب بآکل المرار [ملک الکندیین]. وقیل هو ابن عدی بن معاویة بن جبلة بن عدی بن ربیعة بن معاویة الأکرمین من کندة (۱)، ومن ذؤابتها العلیا.

صحابی من أعیان أصحاب علی وابنه الحسن علیهما السلام، وسید من سادات المسلمین فی الکوفة ومن أبدالها.

وفد هو وأخوه هانئ بن عدی علی النبی صلی الله علیه وآله، قال فی الاستیعاب ": کان حجر من فضلاء الصحابة، وصغر سنه عن کبارهم، " وذکره بمثل ذلک فی أسد الغابة، ووصفه الحاکم فی المستدرک بأنه ": راهب

(۱) وکندة هی من بنی کهلان، وبلادهم فی الیمن، ثم کان من کبرائهم فی العراق – وکهلان وحمیر ابنا سبأ بن یشجب بن یعرب بن قحطان، وسبأ اسم یجمع القبیلتین کلتیهما. وکان یقال: ان العرب تعد البیوتات المشهورة بالکبر والشرف بعد بیت هاشم بن عبد مناف أربعة بیوت: بیت قیس الفزاری، والدارمیین، وبنی شیبان، وبیت الیمن من بنی الحارث بن کعب – واما کندة فلا یعدون من أهل البیوتات انما کانوا ملوکا. ومنهم " الملک الضلیل – امرؤ القیس " وکان لهم ملک بالیمن وبالحجاز – وبقی لکندة مجدها فی الاسلام، فمن کندة من کان له ذکر فی الفتوح والثورات، ومنهم من ولی الولایات، ومنهم من تقلد القضاء کحسین بن حسن الحجری، ومنهم الشعراء کجعفر بن عفان المکفوف شاعر الشیعة، وکان هانئ بن الجعد بن عدی – ابن أخی حجر – من أشراف الکوفة، وکان جعفر بن الأشعث وابنه العباس بن جعفر من شیعة الامام أبی الحسن موسی بن جعفر وابنه الرضا علیهما السلام. اما الأشعث بن قیس الکندی فکان أکبر منافقی الکوفة. أسلم ثم ارتد بعد النبی ثم أسلم وقبل أبو بکر اسلامه، وزوجه أخته وهی أم محمد بن الأشعث، وتزوج الامام الحسن ابنته، وهی التی سقته السم باغراء معاویة إیاها.

(۳۲۷)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، کتاب أسد الغابة لإبن الأثیر (۱)، کتاب الکافئة للشیخ المفید (۱)، مدینة الکوفة (۳)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، حجر بن عدی الکندی (۱)، التاریخ الإسلامی (۱)، سلیم بن قیس (۱)، الشهادة (۱)، الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، کتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الکوفی (۱)، دولة العراق (۱)، أشعث بن قیس الکندی (۱)، العباس بن جعفر (۱)، محمد بن الأشعث (۱)، موسی بن جعفر (۱)

صفحه ۲۲۶

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۲۹

أصحاب محمد صلی الله علیه وآله وسلم."

وبلغ من عبادته أنه ما أحدث الا توضأ وما توضأ الا صلی. وکان یصلی فی الیوم واللیلة ألف رکعة، وکان ظاهر الزهد، مجاب الدعوة (۱)، ثقة من الثقات المصطفین، اختار الآخرة علی الدنیا حتی سلم نفسه للقتل دون البراءة من امامه، وانه مقام تزل فیه الاقدام وتزیغ الأحلام.

کان فی الجیش الذی فتح الشام، وفی الجیش الذی فتح القادسیة، وشهد الجمل مع علی، وکان أمیر کندة یوم صفین، وأمیر المیسرة یوم النهروان، وهو الشجاع المطرق الذی قهر الضحاک بن قیس فی غربی تدمر. وهو القائل ": نحن بنو الحرب وأهلها، نلقحها وننتجها، قد ضارستنا وضارسناها."

ثم کان أول من قتل صبرا فی الاسلام.

قتله وستة من أصحابه معاویة بن أبی سفیان سنة ۵۱ فی " مرج عذراء " بغوطة دمشق علی بعد ۱۲ میلا ـ منها. وقبره إلی الیوم ظاهر مشهور، وعلیه قبة محکمة تظهر علیها آثار القدم فی جانب مسجد واسع، ومعه فی ضریحه أصحابه المقتولون معه وسنأتی علی ذکرهم.

وهدم زیاد ابن أبیه دار حجر فی الکوفة.

(۱) قال فی الإصابة (ج ۱ ص ۳۲۹ "): أصابته جنابة – وهو أسیر – فقال للموکل به أعطنی شرابی أتطهر به، ولا تعطنی غدا شیئا، فقال: أخاف ان تموت عطشا فیقتلنی معاویة. قال: فدعا الله فانسکبت له سحابة بالماء، فأخذ منها الذی احتاج الیه فقال له أصحابه: ادع الله أن یخلصنا، فقال: اللهم خر لنا."

السبب فی قتله أنه کان یرد علی المغیرة وزیاد حین یشتمان علیا علیه السلام، ویقول ": أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل، ومن تزکون أولی بالذم، وکان

(۳۲۹)

مفاتیح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (۱)، معاویة بن أبی سفیان لعنهما الله (۱)، کتاب الثقات لابن حبان (۱)، مدینة الکوفة (۱)، الضحاک بن قیس (۱)، الشام (۱)، دمشق (۱)، القتل (۲)، الوسعة (۱)، الزهد (۱)، السجود (۱)، الحرب (۱)، الشهادة (۱)، الموت (۱)

صفحه ۲۲۷

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۳۰

إذا جهر بکلمته هذه، وافقه أکثر من ثلثی الناس، وقالوا ": صدق والله حجر وبر."

أما المغیرة بن شعبة فقد قدر المعنویات التی تعزز حجرا کصحابی فاضل، وکرأس من رجالات علی فی الکوفة، وکأمیر عربی یرث تاج الکندیین من أقرباء الجدود، وسمع بأذنیه تأیید الناس دعوته غیر آبهین بالقوة، ولا خائفین نقمة السلطان، فرأی أن یتمهل فی أمره وأن یعتذر إلی ذوی مشورته الذین کانوا یحرضونه علی التنکیل به. ثم قال لهم ": انی قد قتلته. " قالوا ": وکیف ذلک "؟ قال ": انه سیأتی أمیر بعدی فیحسبه مثلی فیصنع به شبیها بما ترونه، فیأخذه عند أول وهلة فیقتله شر قتلة. " وکان المغیرة فی موقفه من حجر المنافق الحکیم، وکذلک کان فیما أجاب به صعصعة بن صوحان یوم فتنة المستورد بن علفة الخارجی سنة ۴۳ قال له ": وإیاک أن یبلغنی عنک أنک تظهر شیئا من فضل علی علانیة، فإنک لست بذاکر من فضل علی شیئا أجهله، بل أنا أعلم بذلک!!. ولکن هذا السلطان – یعنی معاویة – قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عیبه للناس، فنحن ندع کثیرا مما أمرنا به، ونذکر الشیء الذی لا نجد من ذکره بدا، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقیة (۱.")

وولی ابن سمیة الکوفة بعد هلاک المغیرة سنة ۵۰ أو ۵۱، فرأی أن یخدم أمویته " المزعومة " بقتل حجر بن عدی لیریحها من أکبر المشاغبین علیها. ولکنه جهل أن دم حجر سیظل یشاغب علی تاریخ أمیة ما عرف الناس هذین الاسمین.

وأطال الوالی الجدید خطبته یوم الجمعة حتی ضاق وقت الصلاة – ولصلاة الجمعة وقتها المحدود – فقال حجر – وکان لا یفارق جمعتهم وجماعتهم " -: الصلاة "! فمضی زیاد فی خطبته. فقال ثانیا ": الصلاة "! فمضی فی خطبته. وخشی حجر فوت الفریضة فضرب بیده إلی کف من

(۱) الطبری (ج ۶ ص ۱۰۸).

(۳۳۰)

مفاتیح البحث: مواقیت الصلاة (۱)، مدینة الکوفة (۲)، صلاة الجمعة (۱)، حجر بن عدی الکندی (۱)، المغیرة بن شعبة (۱)، صعصعة

بن صوحان (۱)، القتل (۴)، التصديق (۱)، الخوف (۱)، الجهل (۱)، الصّلاة (۲)، النفاق (۱)

صفحه ۲۲۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۳۱

الحصا، وثار إلى الصلاة وثار الناس معه.

وما كان أبو عبد الرحمن بمكانته الاجتماعية وبروحه العابدة الزاهدة بالذى يترخص فى دينه أو يلجأ إلى مجاملة المترخصين، وكان يظن ان فى هؤلاء بقية من الحسن قد تنفعها الذكرى وقد يجدى معها الانكار، فأنكر انتصافا للحق المهضوم، وجاهد لدينه ولإمامه ولصلاته بلسانه، كما كان يجاهد بسيفه فى فتوح الاسلام.

وجاءت قائمة جرائمه - فى عرف بنى أمية - أنه يرد السب عن على عليه السلام، وأنه يريد الصلاة لوقتها، ولا شئ غير ذلك!.

ودعا زياد " حواشيه الطيعة " الذين كانوا يبادلونه الذمم بالنعم أمثال عمر بن سعد [قاتل الحسين عليه السلام]، والمنذر بن الزبير، وشمر بن ذى الجوشن العامرى، وإسماعيل واسحق ابنى طلحة بن عبد الله، وخالد بن عرفطة، وشبث بن ربعى، وحجار بن أبجر، وعمرو بن الحجاج، وزجر بن قيس.. و " درازن " أخرى من هذه النماذج التى طلقت المروءة ثلاثا، وكانوا سبعين رجلا، عدهم الطبرى فى تاريخه واحدا واحدا [ج ۶ ص ۱۵۰ - ۱۵۱]، وماز من بينهم أبا بردة بن أبى موسى الأشعرى لأنه كان أضعفهم عنده أو لأنه كان أقواهم عند معاوية، وقال له اكتب ": - بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى لله رب العالمين!!، أشهد ان حجر بن عدى خلع الطاعة، وفارق الجماعة!! ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب، وجمع اليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وكفر بالله عز وجل كفرة صلعاء."!!..

وقال للسبعين ": على مثل هذه الشهادة فاشهدوا. أما والله لأجهدن على قطع خيط هذا الخائن الأحمق. "!! فشهد على هذه الصحيفة الخائنة الحمقاء سبعون من اشراف الكوفة و " أبناء البيوتات!!.. " وكتب إلى معاوية فى حجر وكثر عليه فكتب اليه معاوية ": شده فى الحديد واحمله إلى."

(۳۳۱)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، مدينة الكوفة (۱)، حجار بن أبجر (۱)، شبث بن ربعى اليربوعى (۱)، حجر بن عدى الكندى (۱)، طلحة بن عبد الله (۱)، شمر بن ذى الجوشن لعنه الله (۱)، بنو أمية (۱)، الشهادة (۳)، القتل (۱)، الصّلاة (۲)، الحرب (۱)، الظنّ (۱)، السب (۱)، الجماعة (۱)

صفحه ۲۲۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۳۲

ولنتذكر هنا سوابق هذه الحفنة من أبناء بيوتات الكوفة فى قضية الحسن بن على عليهما السلام أيام خلافته، وهل كان الفارون من الزحف فى مسكن، والمتألبون على الشر فى المدائن، والمكاتبون معاوية على الغدر بالامام وتسليمه إياه الا هؤلاء؟. فمن هو إذا الذى خلع الطاعة وفارق الجماعة ونكث البيعة أحجر بن عدى أم هم؟

ثم لنتذكر مواقف هؤلاء أنفسهم فى فاجعة الحسين عليه السلام بكربلاء، وكانوا يومئذ سيوف الجبابرة الأمويين الذين تحملوا مسؤوليات تلك الاحداث المؤلمة التى لا حد لفظاعتها فى تاريخ العرب والاسلام.

موقف الكوفة فى حادثة حجر وكان باستطاعة حجر ان يشعل نار الثورة التى تقض مضجع معاوية فى الكوفة، لو انه شاء المقاومة

بالسلاح. وفهم معاوية ذلك حين راح يقول - بعد مقتل حجر " -: لو بقى حجر لأشفقت أن يعيدها حربا أخرى، " وفهم زياد ذلك حين اتبع حجرا بريده وقال له ": اركض إلى معاوية وقل له: ان كان لك فى سلطانك حاجة فاكفنى حجرا."

ولكن الزعيم الشيعى الذى كان قد درس على الامام الحسن بن على عليهما السلام تضحياته الغالية فى سبيل حقن الدماء، منع قومه من الحرب صريحا.

ولكن جماعة من أصحابه اشتبكت بشرطة زياد و (بخاريته) عند أبواب كندة، وجماعة أخرى التحمت بهم عند باب داره - قرب جبانة كندة - وكان من ابطال هاتين الموقعتين عبد الله بن خليفة الطائى، وعمرو بن الحمق الخزاعى - وسنأتى على ذكرهما فى الفصول القريبة -، وعبد الرحمن بن محرز الطمحى، وعائذ بن حملة التميمى، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وقيس بن شمر، وعمير بن يزيد الكندى المعروف (بأبى العمرطة). قالوا ": وكان سيف أبى العمرطة أول سيف ضرب

(۳۳۲)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، الدولة الأموية (۱)، مدينة كربلاء المقدسة (۱)، مدينة الكوفة (۳)، عبد الله بن خليفة الطائى (۱)، عبيدة بن عمرو (۱)، قيس بن يزيد (۱)، عمرو بن الحمق (۱)، المنع (۱)، الضرب (۱)، الحرب (۱)، القتل (۱)، الجماعة (۲)

صفحه ۲۳۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۳۳

به فى الكوفة يوم حجر. - " وخرج قيس بن فهدان الكندى على حمار له، يسير فى مجالس كندة يحرضهم على الحرب.

وحصب أهل الكوفة زيادا (۱) - وكان ذلك هو ميراثه الشرعى من أمه سمية.

أما حجر نفسه فأصر على قومه بأن يردوا السيوف إلى أغمادها، وقال لهم ": لا تقاتلوا فانى لا أحب ان أعرضكم للهلاك.. وانا آخذ فى بعض هذه السكك."

وأخطأته عيون زياد التى كانت تلاحقه، لان الناس كلهم أو أكثر من ثلثى الناس كانوا يمنعون حجرا من هذه العيون.

وهكذا ضاق زياد بحجر وأصحابه، فجمع اشراف الكوفة وقال لهم ": يا أهل الكوفة: أتشجون بيد وتأسون بأخرى، أبدانكم معى، وأهواؤكم مع حجر، أنتم معى واخوانكم وأبناؤكم وعشائركم مع حجر. هذا والله من دحسكم وغشكم. والله لتظهرن لى براءتكم، أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم.. " ثم قال ": فليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حجر. فليدع كل رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم أن تقيموه."

ثم أمر زياد أمير شرطته [شداد بن الهيثم الهلالى] بالقبض على حجر. وعلم ان شرطته ستعجز عنه، فدعا محمد بن الأشعث الكندى، وقال له ": يا أبا ميثاء، أما والله لتأتينى بحجر، أو لا ادع لك نخلة الا قطعتها، ولا دارا الا هدمتها، ثم لا تسلم حتى أقطعك إربا إربا"! قال له ": أمهلنى حتى أطلبه. " قال " أمهلتك ثلاثا، فان جئت به والا عد نفسك فى الهلكى."!

أقول: ولم كل هذا الحنق؟ أللدين وما كان ابن سمية بأولى به

(۱) قال الطبرى ": ومن يومه اتخذ المقصورة (" ج ۶ ص ۱۳۲).

(۳۳۳)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۴)، محمد بن الأشعث (۱)، القتل (۱)، الهدم (۱)، الحرب (۱)، الجماعة (۱)

صفحه ۲۳۱

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۳۴

من الصحابی العابد الذی کان یصلی کل یوم ولیلة الف رکعة، ثم لا ذنب له الا أن ینهی عن المنکر ویرید الفرائض لوقتها؟! – أم للدنیا، وقد خسروا فی مقتل حجر صبابة معنویاتهم فی التاریخ!!

وحاول زیاد ان یقتل الکندیین بعضهم ببعض بما أمر به ابن الأشعث الکندی، وکان ذلک من جملة الأسالیب الرثة التی یتوارثها الحاکمون بأمرهم فی الشعوب المغلوبة علی أمرها فی القدیم والحدیث.

وعلم حجر ما أراده زیاد فی الکندیین وأصحابهم فقال ": ولکن سمع وطاعة."

ودارت الشرطة للقبض علی الأسماء البارزة من مؤازریه، فجمعوا تسعة من أهل الکوفة وأربعة من غیرها – بروایة المسعودی –.

وعدهم ابن الأثیر هکذا ": حجر بن عدی الکندی، والأرقم بن عبد الله الکندی، وشریک بن شداد الحضرمی، وصیفی بن فسیل الشیبانی، وقبیصة بن ضبیعة العبسی، وکریم بن عفیف الخثعمی، وعاصم بن عوف البجلی، وورقاء بن سمی البجلی، وکدام بن حیان، وعبد الرحمن بن حسان العنزیان، ومحرز بن شهاب التمیمی، وعبد الله بن حوبة السعدی التمیمی. " قال ": فهؤلاء اثنا عشر رجلا. واتبعهم زیاد برجلین وهما: عتبة بن الأخنس من سعد بن بکر، وسعد بن نمران الهمدانی. فقوموا أربعة عشر رجلا."

ونشط – إذ ذاک – المشاؤون بالنمیم، وما کان أکثرهم فی هذا البلد المنکوب!

ومکث حجر فی سجن الکوفة عشرة أیام حتی جمعوا الیه من أصحابه من ذکرنا، ثم أمر بهم فسیقوا إلی الشام. وکان کل ما فی الکوفة یدل علی تمخض الوضع عن وثبة لا یدری مدی بلائها علی الحاکم والمحکوم.

ولکن زیادا فطن إلی ذلک، فأمر باخراجهم " عشیة " لیتستر بالظلام،

(۳۳۴)

مفاتیح البحث: مدینة الکوفة (۳)، إبن الأثیر (۱)، حجر بن عدی الکندی (۱)، صیفی بن فسیل (۱)، سعد بن بکر (۱)، الشام (۱)، القتل (۲)

صفحه ۲۳۲

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۳۵

فیخفف من عرامة هذا الظلم المفضوح.

ونظر قبیصة بن ربیعة – أحد أصحاب حجر – فإذا هو یمر علی داره فی جبانة " عرزم " وإذا بناته مشرفات یبکینه، فکلمهن ووعظهن بما سنأتی علی ذکره عند ترجمته، ثم انصرف.

وأنشأت ابنة حجر فی احدی لیالیها السود وقد قطع الخوف علی أبیها نیاط قلبها وهی تخاطب القمر – وقیل بل الأبیات لهند بنت زید الأنصاریة ترثی حجرا:

ترفع أیها القمر المنیر * * لعلک أن تری حجرا یسیر یسیر إلی معاویة بن حرب * * لیقتله کما زعم الأمیر ویصلبه علی بابی دمشق * * وتأکل من محاسنه النسور تجبرت الجبابر بعد حجر * * وطاب لها الخورنق والسدیر وأصبحت البلاد له محولا * * * کأن لم یحیها مزن مطیر ألا یا حجر حجر بنی عدی * * تلقتک السلامة والسرور أخاف علیک ما أردی علیا * * وشیخا فی دمشق له زئیر فان تهلک فکل عمید قوم * * من الدنیا إلی هلک یصیر * * مقتله وصاروا بهم إلی عذراء، وکانت قریة علی اثنی عشر میلا من دمشق، فحبسوا هناک، ودار البرید بین معاویة وزیاد، فما زادهم التأخیر الا عذابا. وجاءهم أعور معاویة فی رهط من أصحابه یحملون أمره بقتلهم ومعهم أکفانهم فقال لحجر ": أن أمیر المؤمنین أمرنی بقتلک یا رأس الضلال!!.. ومعدن الکفر والطغیان!!.. والمتولی لأبی تراب، وقتل أصحابک الا أن ترجعوا عن کفرکم، وتلعنوا صاحبکم وتتبرأوا منه – " فقال حجر وأصحابه:

"ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعوننا

(۳۳۵)

مفاتيح البحث: دمشق (۳)، الظلم (۱)، الأكل (۲)، الحرب (۱)، القتل (۱)، الضلال (۱)، الخوف (۱)، الهلاك (۱)، الصبر (۱)

صفحه ۲۳۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۳۶

اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار."

وحفرت القبور، وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل، فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم فقال لهم حجر ": اتركونى أتوضأ وأصل فانى ما توضأت الا صليت. " فتركوه فصلى ثم انصرف، وقال ": والله ما صليت صلاة أخف منها، ولولا أن تظنوا فى جزعا من الموت لاستكثرت منها."

ثم قال ": اللهم انا نستعديك على أمتنا، فان أهل الكوفة شهدوا علينا، وان أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونى بها، فانى لأول فارس من المسلمين هلك فى واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها (۱.")

ثم مشى اليه هدبة بن فياض القضاعى بالسيف، فارتعد - فقالوا له ": زعمت أنك لا تجزع من الموت، فابرأ من صاحبك وندعك!! ".

فقال ": مالى لا أجزع وأرى قبرا محفورا، وكفنا منشورا، وسيفا مشهورا، وانى والله ان جزعت من القتل، لا أقول ما يسخط الرب."!

وشفع فى سبعة من أصحاب حجر ذوو حزانتهم من المقربين لدى معاوية فى الشام.

وعرض الباقون على السيف، وقال حجر فى آخر ما قال ": لا تطلقوا عنى حديدا، ولا تغسلوا عنى دما، فانى لاق معاوية غدا على الجادة وانى مخاصم. " وذكر معاوية كلمة حجر هذه فغص بها ساعة هلكه - معاوية - فجعل يغرغر بالصوت ويقول ": يومى منك يا حجر يوم طويل."

(۱) ابن الأثير (ج ۳ ص ۱۹۲) وقال ابن سعد ومصعب الزبيرى فيما رواه الحاكم عنه عند ذكر حجر ": وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية وكان حجر هو الذى افتتحها فغدر بها. " أقول: وهو معنى قوله هنا ": وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها " يعنى يوم فتحها.

فاجعته فى المسلمين حج معاوية بعد قتله حجرا وأصحابه فمر بعائشة " واستأذن عليها

(۳۳۶)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، الشام (۲)، الموت (۲)، القتل (۳)، القبر (۱)، الهلاك (۲)، الشهادة (۱)، الصّلاة (۲)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۲۳۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۳۷

فأذنت له، فلما قعد قالت له: يا معاوية أأمنت ان أخبئ لك من يقتلك؟ قال: بيت الامن دخلت، قالت: يا معاوية أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه؟ (۱. ") وقالت ": لولا انا لم نغير شيئا الا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر، أما والله ان كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا (۲.")

وكتب شريح بن هانى إلى معاوية يذكر حجرا ويفتيه بحرمة دمه وماله ويقول فيه ": انه ممن يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال (۳.")

وكان ابن عمر - منذ أخذ حجر - يتخبر عنه فأخبر بقتله وهو بالسوق فأطلق حبوته وولى وهو يبكى (۴).

ودخل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام علی معاویة وقد قتل حجرا وأصحابه، فقال له ": أین غاب عنک حلم أبی سفیان "!؟ قال ": غاب عنی حین غاب عنی مثلک من حلماء قومی، وحملنی ابن سمیة فاحتملت "!! قال ": والله لا تعد لک العرب حلما بعد هذا أبدا ولا رأیا، قتلت قوما بعث بهم إلیک أساری من المسلمین."..

وقال مالک بن هبیرة السکونی حین أبی معاویة أن یهب له حجرا، وقد اجتمع الیه قومه من کندة والسکون وناس من الیمن کثیر، فقال ": والله لنحن اغنی عن معاویة من معاویة عنا وانا لنجد فی قومه (۵) منه بدلا ولا یجد منا فی الناس خلفا."..

وقیل لأبی اسحق السبیعی ": متی ذل الناس "؟ فقال ": حین مات الحسن، وادعی زیاد، وقتل حجر بن عدی (۶.")

وقال الحسن البصری ": أربع خصال کن فی معاویة لو لم یکن فیه

(۱) الطبری (ج ۶ ص ۱۵۶).

(۲) ابن الأثیر (ج ۳ ص ۱۹۳).

(۳) و (۴) الطبری (ج ۶ ص ۱۵۳).

(۵) یعنی بنی هاشم.

(۶) ابن أبی الحدید (ج ۴ ص ۱۸).

(۳۳۷)

مفاتیح البحث: الامر بالمعروف (۱)، حجر بن عدی الکندی (۱)، شریح بن هانی (۱)، الحسن البصری (۱)، الحج (۱)، الزکاة (۱)، القتل (۵)، الموت (۱)، الصّلاة (۱)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، إبن الأثیر (۱)، بنو هاشم (۱)

صفحه ۲۳۵

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۳۸

منهن الا واحدة لکانت موبقة: انتزاؤه علی هذه الأمة بالسفهاء حتی ابتزها أمرها - یعنی الخلافة - بغیر مشورة منهم، وفیهم بقایا الصحابة وذوو الفضیلة، واستخلافه ابنه بعده سکیرا خمیرا یلبس الحریر، ویضرب بالطنابیر، وادعاؤه زیادا، وقد قال رسول الله صلی الله علیه (وآله) وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجرا. ویل له من حجر وأصحاب حجر - مرتین - (۱.")

ومات الربیع بن زیاد الحارثی غما لمقتل حجر، وکان عاملا لمعاویة علی خراسان. قال ابن الأثیر (ج ۳ ص ۱۹۵ "): وکان سبب موته أنه سخط قتل حجر بن عدی، حتی انه قال: لا تزال العرب تقتل صبرا بعده، ولو نفرت عند قتله، لم یقتل رجل منهم صبرا، ولکنها قرت فذلت، ثم مکث بعد هذا الکلام جمعة، ثم خرج یوم الجمعة فقال: أیها الناس، انی قد مللت الحیاة فانی داع بدعوة فأمنوا. ثم رفع یدیه بعد الصلاة فقال: اللهم ان کان لی عندک خیر فاقبضنی إلیک عاجلا، وأمن الناس - ثم خرج، فما توارت ثیابه حتی سقط (۲.")

وکتب الحسین علیه السلام إلی معاویة فی رسالة له ": ألست القاتل حجرا أخا کندة، والمصلین العابدین، الذین کانوا ینکرون الظلم، ویستعظمون البدع، ولا یخافون فی الله لومة لائم؟. قتلتهم ظلما وعدوانا من بعدما کنت أعطیتهم الایمان المغلظة والمواثیق المؤکدة [یشیر إلی نصوص المادة الخامسة من معاهدة الصلح] أن لا تأخذهم بحدث کان بینک وبینهم ولا بإحنة تجدها فی نفسک علیهم (۳) ".

ثم جاء دور التاریخ فخصص نصر بن مزاحم المنقری کتابا فی مقتل حجر بن عدی، ولوط بن یحیی بن سعید الأزدی کتابا (۴)، وهشام بن محمد

(۱) الطبری (ج ۶ ص ۱۵۷) وغیره.

(۲) وذکر ذلک کل من الاستیعاب وأسد الغابة والدرجات الرفیعة والشیخ فی الأمالی.

(۳) البحار (ج ۱۰ ص ۱۴۹).

(۴) فهرست ابن الندیم (ص ۱۳۶).

(۳۳۸)

مفاتیح البحث: الإمام الحسین بن علی سید الشهداء (علیهما السلام) (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، إبن الأثیر (۱)، حجر بن عدی الکندی (۲)، الربیع بن زیاد (۱)، یحیی بن سعید (۱)، هشام بن محمد (۱)، نصر بن مزاحم (۱)، خراسان (۱)، الظلم (۱)، القتل (۷)، الموت (۱)، الصّلاة (۱)، اللبس (۱)، الإبداع، البدعة (۱)، کتاب أمالی الصدوق (۱)، کتاب أسد الغابة لإبن الأثیر (۱)، ابن الندیم (۱)

صفحه ۲۳۶

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۳۹

ابن السائب کتابا فی حجر، وکتابا آخر فی مقتل رشید ومیثم وجویریة بن مشهر (۱.")

(۱) النجاشی (ص ۳۰۶).

الأحادیث فی حجر وأصحابه قال ابن عساکر ": ان عائشة بعد أن أنکرت علی معاویة قتله حجرا وأصحابه، قالت: سمعت رسول الله صلی الله علیه (وآله) وسلم یقول: سیقتل بعذراء - الموضع الذی قتل فیه حجر وأصحابه - أناس یغضب الله لهم وأهل السماء."

وروی مثله بطریق آخر عنها.

وروی البیهقی فی الدلائل ویعقوب بن سفیان فی تاریخه ": عن عبد الله بن زریر الغافقی قال: سمعت علی بن أبی طالب علیه السلام یقول: یا أهل العراق، سیقتل منکم سبعة نفر بعذراء، مثلهم کمثل أصحاب الأخدود."

الشهداء من أصحاب حجر علمنا - مما سبق - أن أصحاب حجر صفوة من رجال الله القلیلین، وأنهم " المصلون العابدون، الذین ینکرون الظلم، ویستعظمون البدع، ولا یخافون فی الله لومة لائم " علی حد تعبیر الحسین علیه السلام عنهم فیما کتبه إلی معاویة.

ورأینا - إلی ذلک - کیف یذکرهم کبراء المسلمین الآخرون کلما ذکروا حجرا.

وإذا شاءت المقادیر، أو شاءت الرقابات الأمویة طمس أخبارهم وتناسی آثارهم، فإنهم شهداء المبادئ، وقرابین الحق المغصوب، وکفاهم ذلک فضلا ومجدا وظهورا فی التاریخ.

(۳۳۹)

مفاتیح البحث: القتل (۳)، الإمام الحسین بن علی سید الشهداء (علیهما السلام) (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، الدولة الأمویة (۱)، دولة العراق (۱)، إبن عساکر (۱)، الظلم (۱)، الشهادة (۱)، الإبداع، البدعة (۱)

صفحه ۲۳۷

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۴۰

ولقی معاویة فی حجته " المقبولة ".. بعد قتل هذه الزمرة الکریمة، الحسین بن علی علیهما السلام فی مکة، فقال له - مزهوا " -: هل بلغک ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشیاعه شیعة أبیک. "؟ قال ": وما صنعت بهم "؟ قال ": قتلناهم وکفناهم وصلینا علیهم ودفناهم"!! فضحک الحسین علیه السلام، ثم قال ": خصمک القوم یا معاویة، لکنا لو قتلنا شیعتک، ما کفناهم، ولا صلینا علیهم، ولا قبرناهم (۱) ".

* * واليك الآن أسماء الشهداء الممتحنين مرتبة على الحروف وملحقة بما يتصل بكل منهم من معلومات:

أ – شريك بن شداد أو ثداد الحضرمى وسماه آخر عريك بن شداد.

ب – صيفى بن فسيل الشيبانى، رأس فى أصحاب حجر حديد القلب شديد العقيدة سديد القول. القى القبض عليه واحضر لزياد فقال له ": يا عدو الله!! ما تقول فى أبى تراب، "؟ قال ": ما اعرف أبا تراب، " قال ": ما أعرفك به، "؟ قال ": ما أعرفه، " قال ": اما تعرف على بن أبى طالب، "؟ قال ": بلى، " قال ": فذاك أبو تراب، " قال ": كلا، ذاك أبو الحسن والحسين عليه السلام. " فقال له صاحب الشرطة ": يقول لك الأمير: هو أبو تراب، وتقول أنت: لا، "؟ قال ": وان كذب الأمير أتريد ان أكذب انا واشهد على باطل كما شهد ["!؟ انظر إلى خلقه وصلابته] قال له زياد ": وهذا أيضا مع ذنبك!!، على بالعصا، " فأتى بها، فقال ": ما قولك، "؟ قال": أحسن قول أنا قائله فى عبد من عباد الله المؤمنين، " قال ": اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض، " فضرب حتى لزم الأرض!! ثم قال ": أقلعوا عنه – ايه ما قولك فى على، "؟

(۱) البحار وغيره، وروى مثلها الطبرى عن الحسن ولا يصح لان فجائع حجر وأصحابه كانت بعد وفاة الحسن بسنتين. وروى مثلها ابن الأثير عن الحسن البصرى قال ": فقال: حجوهم ورب الكعبة."

(۳۴۰)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۳)، مدينة مكة المكرمة (۱)، على بن أبى طالب (۱)، صيفى بن فسيل (۱)، الكذب، التكذيب (۲)، الشهادة (۲)، الكرم، الكرامة (۱)، القتل (۱)، الشراكة، المشاركة (۱)، إبن الأثير (۱)، الحسن البصرى (۱)، الوفاة (۱)

صفحه ۲۳۸

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۴۱

قال ": والله لو شرحتنى بالمواسى والمدى ما قلت الا ما سمعت منى. " قال ": لتلعننه، أو لأضربن عنقك "! قال ": إذا تضربها والله قبل ذلك، فان أبيت الا ان تضربها، رضيت بالله وشقيت أنت."!

قال ": ادفعوا فى رقبته – " ثم قال " –: أوقروه حديدا، وألقوه فى السجن."!

ثم كان فى قافلة الموت مع حجر، ومن شهداء عذراء الميامين.

ج – عبد الرحمن بن حسان العنزى. كان من أصحاب حجر وسيق معه مكبلا بالحديد، ولما كانوا فى مرج عذراء طلب ان يبعثوا به إلى معاوية – وكأنه ظن أن معاوية خير من ابن سمية –. فلما ادخل عليه، قال له معاوية ": يا أخا ربيعة! ما تقول فى على "؟ قال": دعنى ولا تسألنى، فهو خير لك، "! قال ": والله لا أدعك، " قال: أشهد انه كان من الذاكرين الله كثيرا، والآمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس. " قال ": فما قولك فى عثمان، "؟ قال ": هو أول من فتح باب الظلم وأغلق أبواب الحق، " قال ": قتلت نفسك، " قال ": بل إياك قتلت، ولا ربيعة بالوادى – " يعنى ليشفعوا فيه أو يدفعوا عنه –. فرده معاوية إلى زياد فى الكوفة وأمره بقتله شر قتلة!!..

وكان عبد الرحمن هذا هو القائل يوم كبسهم جلادو معاوية فى مرج عذراء ": اللهم اجعلنى ممن تكرم بهوانهم وأنت عنى راض، فطالما عرضت نفسى للقتل فأبى الله الا ما أراد."

وذكره حبة العرنى، فيما حدث عنه فى تاريخ الكوفة، (ص ۲۷۴) قال ": وكان عبد الرحمن بن حسان العنزى من أصحاب على عليه السلام، أقام بالكوفة يحرض الناس على بنى أمية، فقبض عليه زياد، وأرسله إلى الشام، فدعاه معاوية إلى البراءة من على عليه السلام، فأغلظ عبد الرحمن بالجواب، فرده معاوية إلى زياد فقتله."

(۳۴۱)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، مدينة الكوفة (۳)، بنو أمية (۱)، الشام (۱)، القتل (۳)، الظلم (۱)، الشهادة (۲)، الموت (۱)، الظنّ (۱)

صفحه ۲۳۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۴۲

وقال ابن الأثير (ج ۳ ص ۱۹۲) والطبرى (ج ۶ ص ۱۵۵) أنه دفنه حيا بقس الناطف (۱).

أقول: ولو أدرك معاوية قتلات زياد لشيعة على فى الكوفة، وقطعه الأيدى والأرجل والألسنة، وسمله العيون، لما زاده وصاة بابن حسان العنزى حين أمره بان يقتله شر قتلة، وهل قتلة شر من هذه الفتلات والمثلات؟ ولكن زيادا نزل على وصية معاوية فابتدع قتلة الدفن حيا!!. (۲).

وما أدراك ما سيلقى معاوية على هذه الوصاة، وما سيجازى زياد على هذه القتلات يوم يردون جميعا إلى الله مولاهم الحق؟؟.

* * د - قبيصة بن ربيعة العبسى. وسماه بعضهم ابن ضبيعة - بدل ربيعة - وهو الشجاع المقدام الذى صمم على المقاومة بسلاحه وبقومه، لولا ـ أن صاحب الشرطة آمنه على دمه وماله، فوضع يده فى أيديهم، ايمانا ببراءة " الأمان " الذى كان لا يزال متبعا لدى العرب فضلا عن أهل الاسلام، ولولا أن الخلائق الاسلامية والعربية معا، كانت قد تبخرت عند القوم، أو انهم كانوا قد فهموها على أنها وسائل للغلبة والبطش فحسب!.

وأحضر ابن ضبيعة العبسى لزياد فقال له ": اما والله لأجعلن لك شاغلا عن تلقيح الفتن والتوثب على الامراء ["!! انظر إلى المنفذ الضيق الذى

(۱) موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقى ويقابله " المروحة " على شاطئها الغربى كانت فيه موقعة أبى عبيد والد المختار الثقفى.

(۲) ثم كان هذا النوع من القتل السنة السيئة التى تبعه عليها الجبابرة من بعده. ولما غضب بنو أمية على عمر المقصوص وهو مؤدب معاوية بن يزيد بن معاوية، الذى استقال من خلافتهم احتجاجا عليهم، أخذوه ودفنوه حيا!. الدميرى فى حياة الحيوان (ص ۶۲) وروى هناك خطبة معاوية هذا التى يشرح فيها حيثيات استقالته بما يشعر بتشيعه لأهل البيت عليهم السلام.

(۳۴۲)

مفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۲)، إبن الأثير (۱)، القتل (۵)، الدفن (۱)، الوصية (۱)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، كتاب حياة الحيوان للدميرى (۱)، المختار بن أبى عبيدة الثقفى (۱)، نهر الفرات (۱)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (۱)، بنو أمية (۱)، الدميرى (۱)

صفحه ۲۴۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۴۳

ينظر منه الأقوياء]، قال ": انى لم آتك الا على الأمان، " قال ": انطلقوا به إلى السجن."

ثم كان بعد ذلك فى الركب المثقل بالحديد الذى يسار به إلى القتل صبرا. وفى الحديث ": من آمن رجلا على دمه فقتله فأنا برىء من القاتل وان كان المقتول كافرا (۱.")

ومروا به - ولما يخرجوا بالقافلة من الكوفة - على داره فإذا بناته مشرئبات اليه يبكينه، فقال للحرسيين وائل وكثير ": إئذنا لى فأوصى

إلى أهلى، " فلما دنا منهن وهن يبكين سـكت عنهن - ساعة -، ثم قال لهن ": اسـكتن، " فسكتن، فقال ": اتقين الله عز وجل واصبرن فانى أرجو من ربى فى وجهى هـذا احـدى الحسـنيين: اما الشـهادة وهى السـعادة، واما الانصـراف ليكن فى عافيـة. وان الـذى يرزقكن مؤونتكن هو الله تعـالى، وهو حى لا يموت [انظر إلى النفس الملائكيـة فى اهاب البشـر الانسانى] أرجو ان لا يضـيعكن، وأن يحفظنى فيكن. " ثم انصرف.

وباتت الأسرة اليائسة الولهى (كما يشاء معاوية) تخلط البكاء بالبكاء، وتصل الدعاء بالدعاء، وكم لبنات قبيصة يومئذ من أمثال.

قال الطبرى ": ووقع قبيصة من ضبيعة فى يدى أبى شـريف البدى فقال له قبيصة: ان الشر بين قومى وبين قومك آمن فليقتلنى سواك، فقال: برتك رحم! ثم قتله القضاعى."!

أقول: وأى نفس قوية هذه التى تنتبه فى مثل هذه اللحظة إلى الحؤول دون الشر بين القومين والاحتياط على الاصلاح.

ه - كدام بن حيان العنزى.

و - محرز بن شهاب بن بجير بن سفيان بن خالد بن منقر التميمى (۲)

(۱) الإصابة (ج ۴ ص ۲۹۴).

(۲) يراجع عمـا كتبنـاه فى حجر وأصـحابه: الـدينورى وابن الأـثير والطبرى وابن أبى الحديـد والاستيعـاب والنصائـح الكافيـة وتـاريخ الكوفة.

(۳۴۳)

مفاتيـح البحث: مدينـة الكوفة (۲)، سـفيان بن خالـد (۱)، البكـاء (۱)، القتـل (۳)، المـوت (۱)، الشـهادة (۱)، السـكوت (۱)، إبـن أبى الحديد المعتزلى (۱)، كتاب الكافئة للشيخ المفيد (۱)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۲۴۱

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۴۴

وكـان من رؤساء الناس، ومن نقاوة الشـيعة المعروفين بتشـيعهم، وكان محرز هـذا على ميسـرة جيش معقل بن قيس فى حربه للخوارج سنة ۴۳، وكان جيش معقل فى هـذه الحرب ثلاثـة آلاف هم نقاوة الشـيعة وفرسانهم على حد تعبير الطبرى فيما وصـفهم به (ج ۶ ص ۱۰۸).

* * ۲ - عمرو بن الحمـق الخزاعى هو ابن الكـاهن بن حـبيب بن عمرو بن القين بن ذراح بن عمرو بن سـعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعى.

أسـلم قبل الفتح، وهاجر إلى المدينة، فكان الصـحابى البر الذى حظى بدعوة النبى صلى الله عليه وآله بأن يمتعه الله بشبابه، فمرت عليه ثمـانون سنة ولم ير له شـعرة بيضـاء على صـباحة فى وجهه كـانت تزيـده بهـاء. وصـحب بعـده أمير المؤمنين عليا عليه السـلام، فكان الحوارى المخلص الذى يقول له بحق ": ليت فى جندى مائة مثلك. " وشهد معه الجمل وصفين والنهروان.

ودعـا له أمير المؤمنين بقوله ": اللهم نور قلبه بالتقى، واهـده إلى صـراطك المسـتقيم. " وقال له ": يا عمرو انك لمقتول بعـدى، وان رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل فى الاسلام. والويل لقاتلك (۱.")

قال ابن الأثير (ج ۳ ص ۱۸۳ "): ولما قـدم زياد الكوفـة قال له عمارة بن عقبة بن أبى معيط: ان عمرو بن الحمق يجمع اليه شـيعة أبى تراب، فأرسل اليه زياد: ما هذه الجماعات عندك؟ من أردت كلامه ففى المسجد (۲.")

(۱) سفينة البحار (ج ۲ ص ۳۶۰).

(۲) وذكر الطبرى وشايـة عمارة بن عقبـة ثم قال ": ويقال ان الـذى رفع على عمرو بن الحمق وقال له: قـد انغل المصـرين هو يزيد بن

رويم."

(۳۴۴)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة الكوفة (۱)، إبن الأثير (۱)، عمرو بن الحمق (۳)، معقل بن قيس (۱)، عمرو بن سعد (۱)، كعب بن عمرو (۱)، الخوارج (۱)، السجود (۱)، الحرب (۱)، السفينة (۱)

صفحه ۲۴۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۴۵

"ثم لم يزل عمرو [فيما يروى الطبرى] خائفا مترقبا حتى كانت حادثة حجر بن عدى الكندى فأبلى فيها بلاء حسنا وضربه رجل من الحمراء - شرطة زياد - يدعى بكر بن عبيد بعمود على رأسه فوقع وحمله الشيعة فخبأه فى دار رجل من الأزد، ثم خرج فارا وصحبه الزعيم الآخر [رفاعة بن شداد] فيما المدائن ثم ارتحلا حتى أتيا ارض الموصل فكمنا فى جبل هناك، واستنكر عامل ذلك الرستاق شأنهما فسار اليهما بالخيل، فأما عمرو فلم يصل الموصل الا مريضا بالاستسقاء، ولم يكن عنده امتناع. واما رفاعة بن شداد - وكان شابا قويا - فوثب على فرس له جواد، وقال لعمرو: أقاتل عنك، قال: وما ينفعنى ان تقاتل، انج بنفسك ان استطعت. فحمل عليهم فأفرجوا له، فخرج تنفر به فرسه، وخرجت الخيل فى طلبه - وكان راميا - فأخذ لا يلحقه فارس الا رماه فجرحه أو عقره فانصرفوا عنه. وسألوا عمرا: من أنت؟ فقال: من ان تركتموه كان أسلم لكم، وان قتلتموه كان أضر لكم!. فسألوه فأبى ان يخبرهم، فبعث به ابن أبى بلتعة، عامل الرستاق، إلى عامل الموصل، وهو (عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفى)، فلما رأى عمرو بن الحمق عرفه، وكتب إلى معاوية بخبره، فأمره معاوية بأن يطعنه تسع طعنات كما كان فعل بعثمان فطعن ومات بالأولى منهن أو الثانية."

وخالف ابن كثير رواية الطبرى هذه، فقال ": ان أصحاب معاوية عثروا عليه فى الغار ميتا، فحزوا رأسه، وبعثوا به إلى معاوية، وهو أول رأس طيف به فى الاسلام. ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته (آمنة بنت الشريد) وكانت فى سجن معاوية [انظر إلى أفظع ألوان الارهاب] فألقى فى حجرها، فوضعت كفها على جبينه، ولثمت فمه، وقالت: غيبتموه عنى طويلا، ثم أهديتموه إلى قتيلا، فأهلا به من هدية غير قالية ولا مقلية.

"ثم كان فيما كتب به الحسين عليه السلام إلى معاوية: الست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله - العبد الصالح الذى أبلته العبادة - فانحلت جسمه، وصفرت لونه، بعدما أمنته وأعطيته

(۳۴۵)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (۱)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، يوم عرفة (۱)، حجر بن عدى الكندى (۱)، عبد الله بن عثمان (۱)، رفاعة بن شداد (۲)، عمرو بن الحمق (۲)، الزوجة (۱)، الجود (۱)، القتل (۱)

صفحه ۲۴۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۴۶

من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافا بذلك العهد."

أقول: هو يشير بذلك " العهد " إلى نصوص المادة الخامسة فى معاهدة الصلح.

وقال فى سفينة البحار ": وقبره بظاهر الموصل، ابتدأ بعمارته أبو عبد الله سعيد بن حمدان، ابن عم سيف الدولة، فى شعبان من سنة ۳۳۶."

وجاء فى أصول التاريخ والأدب (ج ۹ ص ۲):

"قال أبو الحسن على بن أبى بكر الهروى فى كتاب الزيارات: وظاهر الموصل على الشرف الاعلى مشهد عمرو بن الحمق، دفنت جثته، ورأسه حمل إلى دمشق، وقيل هو أول رأس حمل فى الاسلام، وفى المشهد بعض الاشراف من ولد الحسين عليه السلام."

* * * ۳ – عبد الله بن يحيى الحضرمى وأصحابه عن محمد بن بحر الشيبانى فى كتابه " الفروق بين الأباطيل والحقوق " فيما أسنده إلى القاسم بن مجيمة ": ما وفى معاوية للحسن بن على بشىء عاهده عليه، وانى قرأت كتاب الحسن إلى معاوية يعدد عليه ذنوبه اليه والى شيعة على عليه السلام فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمى ومن قتلهم معه (۱.")

أقول: ولا نعرف الآن من أحوال الحضرمى وحادثة قتله وعدة أصحابه المستشهدين شيئا، ولكنا نعرف أن هذا الرجل كان من رجال أمير المؤمنين وأنه الذى قال له يوم الجمل ": ابشر يا ابن يحيى أنت وأبوك."

وعلمنا فيما علل به بعضهم تقديم الحسن عليه السلام ذكر الحضرمى

(۱) البحار (ج ۱۰ ص ۱۰۱).

(۳۴۶)

مفاتيح البحث: مولد الإمام الحسين (ع) (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (۱)، شهر شعبان المعظم (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، عبد الله بن يحيى الحضرمى (۲)، أبو عبد الله (۱)، عمرو بن الحمق (۱)، محمد بن بحر (۱)، دمشق (۱)، القتل (۳)، الشهادة (۲)، السفينة (۱)

صفحه ۲۴۴

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۴۷

على غيره ممن قتلهم معاوية من الشيعة، أن الحضرمى هذا كان أبعدهم عن الدنيا وأقربهم إلى حياة الرهبنة التى لا توهم أى خطر على سياسة الملك. قالوا ": وعلم معاوية ما كان عليه ابن يحيى وأصحابه من الحزن لوفاة على أمير المؤمنين، وحبهم إياه، وإفاضتهم فى ذكره وفضله، فجاء بهم وضرب أعناقهم صبرا. ومن أنزل راهبا من صومعته فقتله بلا جناية منه إلى قاتله أعجب ممن يخرج قسا من دير فيقتله، لأن صاحب الدير أقرب إلى بسط اليد لتناول ما معه من صاحب الصومعة الذى هو بين السماء والأرض، فتقديم الحسن – فيما عدده على معاوية من الذنوب – العباد على العباد، والزهاد على الزهاد، ومصابيح البلاد على مصابيح البلاد، لا يتعجب منه، بل يتعجب لو قدم فى الذكر مقصرا على مخبت ومقتصدا على مجتهد (۱.")

وفاجعة (عبد الله بن يحيى) أشبه بفاجعة حجر بن عدى، وكلاهما قتلا صبرا، وكلاهما قتل معهما أصحاب، وكلاهما أخذا بغير ذنب الا الذنب الذى هو عنوان فضيلتهما.

* * *

(_۱) البحار (ج ۱۰ ص ۱۰۲).

۴ – رشيد الهجرى (۲) تلميذ على عليه السلام، وصاحبه المنقطع اليه، والعالم المعترف له بعلم البلايا والمنايا، يروى عنه ناس كثيرون، ولكنهم جميعا سكتوا عن اسمه خوف السلطان الأموى، فلم ترو عنه علنا الا ابنته الوحيدة التى كانت قد حضرت مقتله، وهى التى جمعت أطرافه – يديه ورجليه – وقد قطعها ابن سمية!.

قالت تسأله حين قطعت أطرافه ": يا أبت هل تجد ألما لما أصابك؟ فقال ": لا يا بنيتى الا كالزحام بين الناس."!

(۲) رشيد [بالتصغير] وهجرى (بفتح أولية) نسبة إلى بلاد الهجر – البحرين –.

(۳۴۷)

مفاتيح البحث: عبد الله بن يحيى (۱)، حجر بن عدى الكندى (۱)، صاحب الصومعة (۱)، القتل (۵)، الحزن (۱)، الإمام أمير المؤمنين

علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، رشید الهجری (۱)، الخوف (۱)

صفحه ۲۴۵

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۴۸

أتی به إلی زیاد فقال له ": ما قال لک خلیلک – یعنی علیا علیه السلام – انا فاعلون بک، "؟ قال ": تقطعون یدی ورجلی وتصلبوننی ، "فقال زیاد ": أما والله لأکذبن حدیثه، خلوا سبیله. " فلما أراد أن یخرج، قال ": ردوه، لا نجد لک شیئا أصلح مما قال صاحبک، انک لن تزال تبغی لنا سوءا ان بقیت، اقطعوا یدیه ورجلیه، " فقطعوها وهو یتکلم!، فقال ": أصلبوه خنقا فی عنقه، " فقال رشید ": قد بقی لی عندکم شئ ما أراکم فعلتموه، " فقال زیاد ": اقطعوا لسانه، " فلما أخرجوا لسانه قال ": نفسوا عنی حتی أتکلم کلمة واحدة ، "فنفسوا عنه فقال ": هذا والله تصدیق خبر أمیر المؤمنین، أخبرنی بقطع لسانی."

وأخرج من القصر مقطعا، فاجتمع الناس حوله، ومات من لیلته رضوان الله علیه.

قالت ابنته ": قلت لأبی: ما أشد اجتهادک، "! قال ": یا بنیة یأتی قوم بعدنا بصائرهم فی دینهم أفضل من اجتهادنا."

وقال لها ": یا بنیتی أمیتی الحدیث بالکتمان، واجعلی القلب مسکن الأمانة (۱.")

* * *

(۱) سفینة البحار (ج ۱ ص ۵۲۲).

۵ – جویریة بن مسهر العبدی قال ابن أبی الحدید ": ونظر الیه علی علیه السلام یوما فناداه: یا جویریة الحق بی فانی إذا رأیتک هویتک، ثم حدثه بأمور سرا، وفی آخر ما حدثه قال: یا جویریة أحب حبیبنا ما أحبنا فإذا أبغضنا فأبغضه، وابغض بغیضنا ما أبغضنا فإذا أحبنا فأحبه. وکان من اختصاصه بعلی علیه السلام ما روی انه دخل یوما علیه وهو علیه السلام مضطجع، وعنده قوم من أصحابه، فناداه جویریة: أیها النائم استیقظ فلتضربن علی رأسک ضربة تخضب منها لحیتک. قال: فتبسم أمیر المؤمنین علیه السلام، ثم

(۳۴۸)

مفاتیح البحث: الأمانة، الإئتمان (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۳)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، جویریة بن مسهر (۱)، السفینة (۱)

صفحه ۲۴۶

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۴۹

قال: وأحدثک یا جویریة بأمرک، أما والذی نفسی بیده لتعتلن (۱) إلی العتل الزنیم، فلیقطعن یدک ورجلک ولیصلبنک تحت جذع کافر! قال: فوالله ما مضت الأیام علی ذلک حتی أخذ زیاد جویریة فقطع یده ورجله، وصلبه إلی جانب جذع ابن معکبر، وکان جذعا طویلا، فصلبه علی جذع قصیر إلی جانبه."

أقول: وروی هذا الحدیث أیضا حبة العرنی رحمه الله. وزاد قوله ": وکان زیاد ابن أبیه ممن نصب العداوة لأمیر المؤمنین علیه السلام وکان یتتبع أصحاب علی وهو بهم أبصر فیقتلهم تحت کل حجر ومدر."

* * ۶ – أوفی بن حصن أحد فرائس الظلم الأموی. طلبه زیاد فأبی مواجهته، واستعرض زیاد الناس فمر به فقال ": من هذا "؟ فقیل له ": أوفی بن حصن، " فقال زیاد ": أتتک بخائن رجلاه، " وقال له ": ما رأیک فی عثمان "؟ قال ": ختن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی ابنتیه " قال ": فما تقول فی معاویة "؟ قال ": جواد حلیم."

وکان أوفی لبقا فی لغته وأسلوبه فلم یجد علیه زیاد ملزما.

وعاد عليه فقال له ": فما تقول فی "؟ قال ": بلغنی أنك قلت بالبصرة: والله لآخذن البریء بالسقیم والمقبل بالمدبر، " قال ": قد قلت ذاک (۲ ") قال ": خبطتها خبط عشواء."!

أقول: وكان من لباقة هذا الرجل الحصيف أنه تدرج فی أجوبته لزیاد - كما ترى - إلى طریقة حكیمة من الوعظ حاول بها تنبیهه إلى أخطائه. ولا تنس أنه كان یقف من عدوه ساعتئذ بین النطع والسیف،

(۱) عتله: جذبه - والعتل - الجافی الغلیظ - والزنیم: الدعی.

(۲) روى خطبته أكثر المؤرخین، وروینا هذا الفصل منها فی هوامش الفصل الحادی عشر.

(۳۴۹)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله علیه وآله (۱)، الجود (۱)، الظلم (۱)

صفحه ۲۴۷

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۵۰

ومن ذمته بین الحق والباطل. وهذا هو ما یزیدنا اعجابا بهؤلاء الابطال من تلامذة علی علیه السلام، ولكن شیئا من وعظه لم یجده نفعا سوى أن یقول زیاد فیه ": لیس النفاخ بشر الزمرة " ثم أمر به فقتل (۱.")

ولا أدری، ولا أظن زیادا نفسه یدری، بأی جریرة أخذ ابن حصن فأشاط بدمه و " كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله " - كما فی الحدیث -؟.

والرجل فی أجوبته كلها كما رأیت لم یفضح سرا، ولم یهتك أمرا. ولكن الذی ناقض الكتاب صریحا فأخذ البریء بالسقیم والمقبل بالمدبر خلافا لقوله تعالى ": ولا تزر وازرة وزر أخرى " لحری بأن لا یفهم لغة الحدیث ولا لغة الكتاب.

واعتصم بغلوائه فإذا الناس من حوله فی أشد محن الدنیا: جماعات تساق إلى السجون، وزرافات تطارد أینما تكون، ومئات تعرض علیه كل یوم لتسمل عیونهم، أو لتقطع أطرافهم، أو لیؤمر بهم فتحطم ضلوعهم (۲). وبین الكوفة والشام فرائس أخرى ترزح بالأصفاد. وما فی الكوفة الا الارهاب الممیت، وما فی الشام لهؤلاء الا الموت المرهوب.

وخشعت الكوفة التی كانت تفور - فی أمسها القریب - بالمؤامرات والمعارضات خشوع الجناح الكسیر، بما وسعها من مظالم الحكام الأمویین. وكان المتآمرون بالأمس هم المتآمرین بالجور الیوم، وكانوا هم الحاكمین بأمرهم فیما یسنون أو فیما ینفذون، فما بالها لا ترتجف فرقا؟ وما بال أهلها لا یلوذون بالفرار هربا؟..

(۱) یراجع ابن الأثیر (ج ۳ ص ۱۸۳)، والطبری (ج ۶ ص ۱۳۰ - ۱۳۲).

(۲) جیء إلى زیاد بعمیر بن یزید (من أصحاب حجر بن عدی) وقد أعطى الأمان على دمه وماله، فأمر به زیاد فأوقر بالحدید، ثم أخذته الرجال ترفعه حین إذا بلغ سورها - أعلى القامة - ألقوه فوقع على الأرض ثم رفعوه ففعلوا به ذلك مرارا! الطبری (ج ۶ ص ۱۴۷).

(۳۵۰)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الدولة الأمویة (۱)، مدینة الكوفة (۳)، الشام (۲)، القتل (۱)، الموت (۱)، الباطل، الإبطال (۲)، البول (۱)، إبن الأثیر (۱)، حجر بن عدی الكندی (۱)

صفحه ۲۴۸

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥١

وخفى على معاوية وعلى ابن أبيه ورجال مدرسته أن الامعان بالعنف من أكبر الأسباب التى تغذى المثل الاعلى الذى يحاربه الحاكم العنيف، وان العنف لن يستطيع ان يقتل الفكرة التى كتب لها الخلود، ولكنها ستظل نواة الشجرة التى ستبقى مع التاريخ.

وهذا حييت مئات الملايين - بعد ذلك - وهى تشارك الكوفة فى فكرتها، وتحمل لمعاوية ورجاله وترها الذى لا تخلقه الأيام.

التعذيب بغير القتل وكان للغارة الأموية ألوان أخرى غير القتل والتشريد وهدم البيوت ومصادرة الأموال وكم الأفواه.

فقال ابن الأثير عند ذكره لفاجعة (أوفى بن حصن "): وكأن أول قتيل قتله زياد، بعد حادثة الثلاثين أو الثمانين الذين قطع أيديهم."!!

واستبطن معاوية دخائل البصرة والكوفة فلم يدع فى هذين المصرين رئيس قوم، ولا صاحب سيف، ولا خطيبا مرهوبا، ولا شاعرا موهوبا من الشيعة، الا أزعجه عن مقره، فسجنه، أو غله، أو شرده، أو أهدر دمه!.

واليك فيما يلى أمثلة قليلة من هذه النكبات التى قارفها أبو يزيد فى الشخصيات البارزة من رؤساء الشيعة يومئذ.

* * * ب - زعماء الشيعة المرعون..

(١ - عبد الله بن هاشم المرقال):

كان كبير قريش فى البصرة، ورأس الشيعة فيها.

(٣٥١)

مفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، مدينة الكوفة (٢)، إبن الأثير (١)، عبد الله بن هاشم (١)، مدينة البصرة (٢)، القتل (٣)

صفحه ۲۴۹

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٢

وكان أبوه هاشم - المرقال - بن عتبة بن أبى وقاص، القائد الجرئ المقدام الذى لقى منه معاوية فى صفين الرعب المميت، وهو يومئذ على ميسرة على عليه السلام.

كتب معاوية إلى عامله زياد ": اما بعد، فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة، فشد يده على عنقه، ثم ابعث به إلى."

فطرقه زياد فى منزله ليلا وحمله مقيدا مغلولا إلى دمشق. فأدخل على معاوية، وعنده عمرو بن العاص، فقال معاوية لعمرو ": هل تعرف هذا "؟ قال ": هذا الذى يقول أبوه يوم صفين " ... وقرأ رجزه وكان يحفظه ثم قال متمثلا:

"وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * * وتبقى حزازات النفوس كما هيا " واستمر قائلا ": دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب، فأشخب أوداجه على أثباجه، ولا ترده إلى العراق، فإنه لا يصبر على النفاق، وهم أهل غدر وشقاق وحزب إبليس ليوم هيجانه، وانه له هوى سيوديه، ورأيا سيطغيه، وبطانة ستقويه، وجزاء سيئة مثلها."

وكان مثل هذا المحضر ومثل هذا التحامل على العراق وأهله هو شنشنة عمرو بن العاص المعروفة عنه، ولا نعرف أحدا وصف أهل العراق هذا الوصف العدو قبله.

أما ابن المرقال فلم يكن الرعديد الذى يغلق التهويل عليه قريحته، وهو الشبل الذى تنميه الأسود الضراغم - فقال، وتوجه بكلامه إلى ابن العاص ": يا عمرو! ان اقتل، فرجل أسلمه قومه، وادركه يومه. أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال، ونحن ندعوك إلى النزال، وأنت تلوذ بشمال النطاف (١)، وعقائق الرصاف (٢)، كالأمة السوداء، والنعجة

(١) أى بأشأم الجانبين من الماء القليل.

(٢) العقائق: سهام الاعتذار. كانوا يرمون بها نحو السماء - والرصاف: الحجارة المرصوف بعضها على بعض فى مسيل الماء، فكأنه يقول له: انك تلوذ فى أرض صلبة عند ماء قليل ترمى بسهام الاعتذار.

(۳۵۲)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، عمر بن سعد لعنه الله (۱)، دولة العراق (۳)، عبد الله بن هاشم (۱)، عمرو بن العاص (۲)، دمشق (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)، الصبر (۱)، القتل (۱)

صفحه ۲۵۰

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۵۳

القوداء، لا تدفع ید لامس."؟

فقال عمرو ": أما والله لقد وقعت فی لهاذم شدقم (۱) للأقران ذی لبد، ولا أحسبک منفلتا من مخالب أمیر المؤمنین."

فقال عبد الله ": أما والله یا ابن العاص انک لبطر فی الرخاء، جبان عند اللقاء، غشوم إذا ولیت، هیاب إذا لقیت، تهدر کما یهدر العود المنکوس المقید بین مجری الشوک، لا یستعجل فی المدة، ولا یرتجی فی الشدة. أفلا کان هذا منک، إذ غمرک أقوام لم یعنفوا صغارا، ولم یمرقوا کبارا، لهم أید شداد، والسنة حداد، یدعمون العوج، ویذهبون الحرج، یکثرون القلیل، ویشفون الغلیل، ویعزون الذلیل؟."

فقال عمرو ": أما والله لقد رأیت أباک یومئذ تخفق (۳) أحشاؤه، وتبق أمعاؤه، وتضطرب اصلاؤه (۳) کما انطبق علیه ضمد."

فقال عبد الله ": یا عمرو! انا قد بلوناک ومقالتک فوجدنا لسانک کذوبا غادرا، خلوت بأقوام لا یعرفونک، وجند لا یساومونک، ولو رمت المنطق فی غیر أهل الشام لجحظ (۴) علیک عقلک، ولتلجلج لسانک، ولاضطرب فخذاک اضطراب القعود الذی أثقله حمله."

فقال معاویة ": أیها عنکما. " وأمر باطلاق عبد الله لنسیبه. فلم یزل عمرو بن العاص یلومه علی اطلاقه ویقول:

"أمرتک أمرا عازما فعصیتنی * * * وکان من التوفیق قتل ابن هاشم ألیس أبوه یا معاویة الذی * * * أعان علیا یوم حز الغلاصم؟ فلم ینثن حتی جرت من دمائنا * * * بصفین أمثال البحور الخضارم وهذا ابنه والمرء یشبه شیخه * * * ویوشک ان تقرع به سن نادم * * *"

(۱) أی واسع الشدقین.

(۲) تشقق.

(۳) أوساط الظهر.

(۴) جحظ الیه عمله نظر فی عمله فرأی سوی ما صنع، وجحظ الیه عقله أی نظر إلی رأیه فرأی سوء ما ارتأی.

۲ - عدی بن حاتم الطائی صحابی کریم، کان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یکرمه إذا دخل علیه، وزعیم عظیم، وخطیب مدره، وشجاع مرهوب. أسلم سنة تسع وحسن اسلامه. قال ": فلما قدمت المدینة استشرفنی الناس فقالوا: عدی بن حاتم! وقال لی رسول الله صلی الله علیه وآله: یا عدی أسلم تسلم، قلت: ان لی دینا، قال: أنا أعلم بدینک منک.. قد أظن أنه انما یمنعک غضاضة تراها ممن حولی، وأنک تری الناس علینا ألبا واحدا. قال: هل اتیت الحیرة؟ قلت: لم آتها وقد علمت مکانها. قال: یوشک ان تخرج الظعینة منها بغیر جوار حتی تطوف بالبیت، ولتفتحن علینا کنوز کسری بن هرمز. فقلت: کسری بن هرمز؟ قال: نعم ولیفیضن المال حتی یهم الرجل من یقبل صدقته. " قال عدی ": فرأیت اثنتین: الظعینة، وکنت فی أول خیل غارت علی کنوز کسری، وأحلف بالله لتجیئن الثالثة (۱. ") وقال ": أتیت عمر فی أناس من قومی فجعل یفرض للرجل ویعرض عنی، فاستقبلته فقلت: أتعرفنی؟. قال: نعم آمنت إذ کفروا، وعرفت إذ نکروا، ووفیت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا. ان أول صدقة بیضت وجوه أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم صدقة طیئ (۲. ") وقال ": ما أقیمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا علی وضوء (۳.")

* * * ونازعه الرایة یوم صفین عائذ بن قیس الحزمری الطائی، وکانت بنو حزمر أکثر من " عدی (" ۴) رهط حاتم، فوثب علیهم"

عبـد الله بن خلیفـة الطائی " البولانی عنـد علی علیه السـلام فقال ": یا بنی حزمر أعلی عـدی تتوثبون؟ وهل فیکم مثل عـدی؟. أو فی آبائکم مثل أبی عـدی؟ ألیس بحامی القربة؟. ومانع الماء یوم (رویة)؟ ألیس بابن ذی المرباع (۱) و (۲) و (۳) الإصابة (ج ۴ ص ۲۲۸ – ۲۲۹).

(۴) هو الأب الخامس لعدی. فعدی الصحابی هو ابن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القیس بن عدی – هذا –.

(۳۵۳)

مفاتیح البحث: عمرو بن العاص (۱)، الشام (۱)، القتل (۱)، صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۲)، یوم عرفة (۱)، عبد الله بن خلیفة الطائی (۱)، عدی بن حاتم (۲)، الوسعة (۱)، المنع (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، الصّلاة (۱)، الکرم، الکرامة (۱)، الوضوء (۱)، التصدّق (۲)

صفحه ۲۵۱

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۵۵

وابن جواد العرب؟. ألیس بابن المنهب ماله ومانع جاره؟ ألیس من لم یغـدر، ولم یفجر، ولم یجهل، ولم یبخل، ولم یمنن ولم یجبن؟. هـاتوا فی آبـائکم مثـل أبیه!، أو هـاتوا فیکم مثله!. أولیس أفضـلکم فی الاسـلام؟. أولیس وافـدکم إلی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم؟. ألیس برأسـکم – یوم النخیلـة – ویوم القادسـیة – ویوم المـدائن – ویوم جلولاء الوقیعة – ویوم نهاوند – ویوم تستر؟. فما لکم وله!. والله ما من قومکم أحد یطلب مثل الذی تطلبون."

فقال له علی علیه السـلام ": حسبک یا ابن خلیفة. هلم أیها القوم إلی، وعلی بجماعة طی. " فأتوه جمیعا. فقال علی علیه السلام ": من کان رأسکم فی هذه المواطن؟

، "قالت له طیئ ": عدی. " فقال له ابن خلیفة ": فسـلهم یا أمیر المؤمنین: ألیسوا راضین مسلمین لعدی الریاسة، " ففعل. فقالوا ": نعم . "فقال لهم ": عدی أحقکم بالرایة. فسلموها له (۱.")

* * وبعث الیه زیاد سنة (۵۱) وکان فی مسجده الذی یعرف (بمسجد عدی) فی الکوفة فأخرجه منه، وحبسه. فلم یبق رجل من أهل المصـر من الیمن وربیعـة ومضـر الا فزع لعـدی بن حاتم. فأتوا زیادا وکلموه فیه، وقالوا ": تفعل هذا بعدی بن حاتم صاحب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم."؟

وطلب زیاد من عـدی أن یجیئه بعبـد الله بن خلیفـة الطائی، وکان من أصـحاب حجر بن عدی أشدائهم علی شـرطة زیاد " الحمراء،" فأبی ثم رضی زیاد من عدی أن یغیب ابن خلیفة عن الکوفة (۲).

* * ودخل عدی بن حاتم علی معاویة، وان معاویة لیهابه ویعرف سداده

(۱) الطبری (ج ۶ ص ۵).

(۲) ابن الأثیر (ج ۳ ص ۱۸۹).

(۳۵۵)

مفاتیح البحث: صـحابة (أصـحاب) رسول الله (ص) (۱)، الإمـام أمیر المؤمنین علی بن ابی طـالب علیهما السـلام (۲)، الرسول الأکرم محمـد بن عبد الله صـلی الله علیه وآله (۱)، مدینـة الکوفة (۲)، عبـد الله بن خلیفة الطائی (۱)، حجر بن عـدی الکندی (۱)، عدی بن حاتم (۳)، السجود (۲)، الجود (۱)، الجهل (۱)، الفزع (۱)، الجماعة (۱)، إبن الأثیر (۱)

صفحه ۲۵۲

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٦

الحصيف في مزالق الفتن، وتمرسه البصير في الشدائد، وبصيرته النافذة وتجاربه الكثيرة الماضية، فجرى في حديثه معه عند " موهبته الخاصة " التي كان يفزع إليها في منازلة العظماء من أعدائه، فقال ": يا عدي أين الطرفات؟ - يعني بنيه طريفا وطارفا وطرفة " - قال: "قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب. " فقال ": ما أنصفك ابن أبي طالب، إذ قدم بنيك واخر بنيه. " قال "، بل ما أنصفت أنا عليا، إذ قتل وبقيت بعده. " فقال معاوية ": أما انه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن. "! فقال عدي ": والله ان قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت لنا من الغدر فترا لندنين إليك من الشر شبرا! وان حز الحلقوم، وحشرجة الحيزوم، لاهون علينا من أن نسمع المساءة في علي فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف."

فقال معاوية ": هذه كلمات حكم فاكتبوها - " هزيمة منكرة من معاوية - وأقبل على عدي يحادثه كأنه ما خاطبه بشيء (١).

"ولا خير في حلم إذا لم يكن له * * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا " ثم قال له ": صف لي عليا. " فقال ": ان رأيت ان تعفيني." قال ": لا أعفيك. " قال:

"كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول عدلا، ويحكم فصلا، تتفجر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه. يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته. وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلب كفيه على ما مضى. يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن. وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويدنينا إذا أتيناه. ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا اليه لعظمته. فان تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم. يعظم أهل الدين،

(١) المسعودي هامش ابن الأثير (ج ٦ ص ٦٥).

(٣٥٦)

مفاتيح البحث: علي بن أبي طالب (١)، القتل (٢)، اللبس (١)، إبن الأثير (١)

صفحه ۲۵۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣٥٧

ويتحبب إلى المساكين. لا يخاف القوي ظلمه، ولا ييأس الضعيف من عدله. فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه، وأرخى الليل سرباله، وغارت نجومه، ودموعه تتحادر على لحيته، وهو يتململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني الآن أسمعه وهو يقول:

"يا دنيا! إلي تعرضت أم إلي أقبلت؟، غري غيري، لا حان حينك، قد طلقتك ثلاثا، لا رجعة لي فيك، فعيشك حقير، وخطرك يسير. آه من قلة الزاد وبعد السفر وقلة الأنيس."

فوكفت عينا معاوية، وجعل ينشفهما بكمه. ثم قال ": يرحم الله أبا الحسن، كان كذلك. فكيف صبرك عنه "؟ قال ": كصبر من ذبح ولدها في حجرها، فهي لا ترقأ دمعتها، ولا تسكن عبرتها. " قال ": فكيف ذكرك له "؟ قال ": وهل يتركني الدهر أن أنساه؟ (١.")

أقول: وتوفي عدي بن حاتم في عهد المختار بن أبي عبيد سنة (٦٨) (٢) وهو ابن مائة وعشرين سنة فماتت معه نفس كريمة لا تخلق الا في ملك، ورأي حصيف لا يختمر الا في حكيم، وايمان صادق لا يعهد الا في ولي.

٣ - صعصعة بن صوحان سيد من سادات العرب، وعظيم من أقطاب الفضل والحسب. أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه لم يلقه لصغره، وأشكلت على عمر أيام خلافته قضية فخطب الناس وسألهم عما يقولون - فقام صعصعة، وهو غلام شاب، فأماط الحجاب، وأوضح منهاج الصواب -، وعملوا برأيه -، وكان من أصحاب الخطط في الكوفة، وشهد مع أمير المؤمنين " الجمل " و " صفين. " قال في الإصابة (٣ ") ان المغيرة نفى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين، وقيل إلى

جزيرة ابن كافان فمات بها."

(۱) البيهقى فى المحاسن والمساوئ (ج ۱ ص ۳۳).

(۲) تاريخ الكوفة (ص ۳۸۸) والإصابة (ج ۴ ص ۱۱۹).

(۳) (ج ۳ ص ۲۳).

(۳۵۷)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة الكوفة (۳)، صعصعة بن صوحان (۱)، عدى بن حاتم (۱)، البكاء (۲)، الخوف (۱)

صفحه ۲۵۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۵۸

و " حبس (۱) معاوية صعصعة بن صوحان العبدى وعبد الله بن الكواء اليشكرى ورجالا من أصحاب على مع رجال من قريش، فدخل عليهم معاوية يوما فقال: نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا، أي الخلفاء رأيتمونى؟ فقال ابن الكواء: لولا انک عزمت علينا ما قلنا، لأنک جبار عنيد، لا تراقب الله فى قتل الأخيار، ولكنا نقول: انک ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة، قريب الثرى بعيد المرعى، تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات، فقال معاوية: ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته، التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله، والمحلين ما حرم الله، والمحرمين ما أحل الله. فقال عبد الله ابن الكواء: يا ابن أبى سفيان ان لكل كلام جوابا، ونحن نخاف جبروتک، فان كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها فى الله لومة لائم، والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرحه. قال: والله لا يطلق لک لسان - ثم تكلم صعصعة فقال: تكلمت يا ابن أبى سفيان فأبلغت ولم تقصر عما أردت، وليس الامر على ما ذكرت، أنى يكون الخليفة من ملک الناس قهرا، ودانهم كبرا، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا، أما والله مالک فى يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه الا كما قال القائل: لا حلى ولا سيرى، ولقد كنت أنت وأبوک فى العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم. وانما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم. فأنى تصلح الخلافة لطليق؟. فقال معاوية: لولا أنى ارجع إلى قول أبى طالب حيث يقول:

قابلت جهلهمو حلما ومغفرة * * * والعفو عن قدرة ضرب من الكرم لقتلتكم، وسأله معاوية: من البررة ومن الفسقة؟ فقال: يا ابن أبى سفيان ترک الخداع من كشف القناع، على وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت وأصحابک من أولئک. وسأله عن أهل الشام فقال: أطوع الناس

(۱) المسعودى هامش ابن الأثير (ج ۶ ص ۱۱۷).

(۳۵۸)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، دولة العراق (۲)، صعصعة بن صوحان (۱)، الشام (۲)، الباطل، الإبطال (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، القتل (۱)، الوسعة (۱)، الضرب (۱)، إبن الأثير (۱)

صفحه ۲۵۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۵۹

لمخلوق، وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار، وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار، ولهم سوء الدار. فقال معاوية: والله يا ابن صوحان انک لحامل مديتک منذ أزمان، الا أن حلم ابن أبى سفيان يرد عنک. فقال صعصعة: بل أمر الله وقدرته، ان امر الله كان قدرا مقدورا."

قال المسعودی ": ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان وكلام فی نهاية البلاغة والفصاحة والایضاح عن المعانی علی ایجاز واختصار ".

وكان صعصعة شخصية بارزة فی أصحاب أمیر المؤمنین. ووصفه أمیر المؤمنین بالخطیب الشحشح، ثم وصفه الجاحظ بأنه من أفصح الناس.

وقال له معاویة یوم دخل الكوفة بعد الصلح ": أما والله انی كنت لأبغض ان تدخل فی أمانی. " قال ": وأنا والله أبغض أن أسمیك بهذا الاسم. " ثم سلم علیه بالخلافة فقال معاویة ": ان كنت صادقا فاصعد المنبر والعن علیا. " فصعد المنبر وحمد الله وأثنی علیه ثم قال ": أیها الناس أتیتكم من عند رجل قدم شره، وأخر خیره. وانه أمرنی ان العن علیا فالعنوه لعنه الله. " فضج أهل المسجد بآمین. فلما رجع الیه فأخبره بما قال. قال ": لا والله ما عنیت غیری، ارجع حتی تسمیه باسمه. " فرجع وصعد المنبر ثم قال ": أیها الناس ان أمیر المؤمنین أمرنی أن العن علی بن أبی طالب فالعنوه. " فضجوا بآمین. فلما أخبر معاویة قال ": والله ما عنی غیری، أخرجوه لا یساكننی فی بلد. " فأخرجوه (۱).

وقال ابن عبد ربه ": دخل صعصعة بن صوحان علی معاویة ومعه عمرو بن العاص جالس علی سریره فقال: وسع له علی ترابیة (۲) فیه. فقال صعصعة: انی والله لترابی، منه خلقت والیه أعود ومنه ابعث، وانك مارج من مارج من نار."

وقدم وفد العراقیین علی معاویة، فقدم فی وفد الكوفة عدی بن حاتم، وفی وفد البصرة الأحنف بن قیس وصعصعة بن صوحان. فقال عمرو بن

(۱) السفینة (ج ۲ ص ۳۱).

(۲) یعنی علی حبه لأبی تراب. ویكنون بها عن علی علیه السلام.

(۳۵۹)

مفاتیح البحث: مدینة الكوفة (۲)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، علی بن أبی طالب (۱)، مدینة البصرة (۱)، الأحنف بن قیس (۱)، عمرو بن العاص (۱)، صعصعة بن صوحان (۳)، عدی بن حاتم (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)، السجود (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، السفینة (۱)

صفحه ۲۵۶

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۶۰

العاص لمعاویة ": هؤلاء رجال الدنیا، وهم شیعة علی الذین قاتلوا معه یوم الجمل ویوم صفین فكن منهم علی حذر."

وفی أحادیث سید عبد القیس صعصعة بن صوحان سعة لا یلم بها ما نقصده من الایجاز. وانما أردنا ان نعطی بهذا صفحة من تاریخه مع معاویة وموقف معاویة منه.

۴ - عبد الله بن خلیفة الطائی مسعار حرب. كان من مواقفه فی العذیب، وجلولاء الوقیعة، ونهاوند، وتستر، وصفین ما شهد له بالبطولة النادرة، وهو الخطیب الذی رد الطائیین یوم صفین عن مزاحمة (عدی بن حاتم) علی الرایة - كما مر علیك فی الحدیث عن عدی -. وصحب حجر بن عدی الكندی فی موقفه القوی الذی وقفه فی الذب عن أمیر المؤمنین علیه السلام.

وطاردته شرطة زیاد [وهم أهل الحمراء یومئذ] فامتنع علیهم، وهزمهم بقومه. خرجت أخته النوار فقالت ": یا معشر طیء أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خلیفة "؟ فشد الطائیون علی الشرط فضربوهم، وأعیت الحیلة به زیادا فقبض علی زعیم قبیلته (عدی بن حاتم) فحبسه أو یأتیه بابن خلیفة. وأبی عدی أن یأتیه به لیقتله، فرضی زیاد منه بأن یغیبه عن الكوفة.

فأشار عدی علی عبد الله بمغادرة الكوفة ووعده أن لا یألو جهدا فی ارجاعه إلیها، فسار إلی " الجبلین (۱ ") وقیل إلی " صنعاء. " ولم

يزل مشردا هناك مشبوب الأشواق إلى وطنه.

وطال عليه الأمـد فكتب إلى عـدى يستنجزه وعـده، وكان شاعرا يجيـد الوصف، وله عـدة قصائد ومقطوعات يعاتب بها عديا ويذكره سوابقه وغربته واسارته، ولكن ظروف عدى لم تساعده على إسعافه، فبقى هناك حتى مات رحمه الله (۲) قبل موت (زياد) بقليل.

(۱) هما جبلا طيء: أجأ وسلمى، بينهما وبين " فدك " يوم، وبين " خيبر " خمس ليال، وبينهما وبين المدينة ثلاث مراحل.

(۲) يراجع الطبرى (ج ۶ ص ۵ وص ۱۵۷ – ۱۶۰).

نهاية المطاف

(۳۶۰)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، مدينة الكوفة (۲)، عبد الله بن خليفة الطائى (۱)، عبد الله بن خليفة (۱)، حجر بن عـدى الكندى (۱)، صعصعة بن صوحان (۱)، الوسعة (۲)، عـدى بن حاتم (۱)، الشهادة (۱)، الموت (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، خيبر (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)

صفحه ۲۵۷

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۶۲

وبقى بين فجوات هذه الاحداث خلاء ملحوظ فى التاريخ، لم تملأه المصادر التى بين أيدينا بالعروض التى تناسب تلك الاحداث.

رأينا – إلى هنا – مبلغ وفاء معاوية بما أخذه على نفسه من شروط.

وعلمنا – إلى هنا – ان المعاهـدة بأبوابها الخمس، لم تلق من الرجل أيـة رعاية تناسب تلك العهود والمواثيق والايمان التى قطعها على نفسه. فلا هو حين تسـلم الحكم عمل على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين. ولا ترك الامر من بعده للشورى، أو لصاحب الحق فيه. ولا أقلع عن شـتم على عليه السـلام. ولكنه زاد حتى ملأ منابر الاسـلام سبابا وشتما. ولا وفى بخراج. ولا سلم من غوائله شيعة على وأصحابه. ولكنه – وبالرغم من كل هذه الشروط والعهود – طالعهم بالأوليات البكر والأفاعيل النكر من بوائقه:

فكان أول رأس يطاف به فى الاسلام منهم، وبأمره يطاف به.

وكان أول انسان يدفن حيا فى الاسلام منهم، وبأمره يفعل به ذلك.

وكانت أول امرأة تسجن فى الاسلام منهم، وهو الآمر بسجنها.

وكان أول شهداء يقتلون صبرا فى الاسلام منهم، وهو الذى قتلهم.

واستقصى معاوية بنود المعاهدة كلها بالخلف!!.

فاستقصى أيمانه المغلظة بالحنث، ومواثيقه المؤكدة التى واثق الله تعالى عليها بالنقض!!..

فأين هى الخلافة الدينية يا ترى؟؟..

* * *

(۳۶۲)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الشهادة (۱)، القتل (۲)، الدفن (۱)، الخمس (۱)

صفحه ۲۵۸

صلح الحسن (ع) – السيد شرف الدين – الصفحة ۳۶۳

وبقيت آخر فقرة من المعاهـدة، تحاماهـا معاويـة لأنهـا كانت أدق شـروطها حساسـية وأروعها وقعا. وكان عليه إذا أساء الصـنيع بهـذه

الفقرة ان یتحدی القرآن صراحة، ورسول الله صلی الله علیه وآله وسلم مباشرة.

فصبر علیها ثمانی سنین، ثم ضاق بها ذرعا، وثارت به أمویته التی کان لا یزال یصارع لصاقتها، بأمثال هذه الأفاعیل، لیعود بها أمویة صریحة تشهد لهند بالبراءة من قالة الناس وشهادات المؤرخین، ولیکون ابن أبی سفیان حقا!.

فما لابن أبی سفیان ولرسول الله؟. وما لابن هند وکتاب الله؟.

وکانت مطفئة الرضف التی أنست الناس الرزایا قبلها.

ثم هی أول ذل دخل علی العرب - کما قال ابن عباس رضی الله تعالی عنه -.

بل أول ذل دخل علی الناس - کما قال أبو اسحق السبیعی رحمه الله -.

وکانت بطبیعتها، أبعد مواد المعاهدة عن الخیانة، کما کانت بظروفها وملابساتها أجدرها بالرعایة. وکانت بعد نزع السلاح ولف اللواء والالتزام من الخصم بالوفاء، أفظع جریمة فی تاریخ معاویة الحافل بالجرائم.

وما فی المدینة - موطن الحسن علیه السلام - ولا فی أهل البیت، ولا فی شیعة الحسن، ولا فی جمیع ما یمت إلی الحسن بسبب أو نسب، أی موجب یستدعی الوهم، أو یوقظ الریبة، أو یثیر الظنون بأمر یخشاه معاویة علی دنیاه.

إذا، فما هذا الغدر وما هو العذر؟..

وأین تلک العهود والعقود والایمان التی لا تبلغ قوامیس اللغة أشد منها ألفاظا غلاظا وتأکیدا شدیدا؟.

تری، فهل نعتذر عن معاویة بما اعتذر به الاغرار المنسوبون إلی الاسلام عن ابنه یزید فی قتله الحسین ابن رسول الله علیه وعلی جده أفضل الصلاة والسلام، فقالوا ": شاب مغرور، ألهته القرود وغلبت علیه الخمور والفجور."؟.

(۳۶۳)

مفاتیح البحث: الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، القرآن الکریم (۱)، الخصومة (۱)، القتل (۱)، الظنّ (۱)، الشهادة (۱)، الصّلاة (۱)

صفحه ۲۵۹

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۶۴

فأین - إذا - حنکة معاویة ودهاؤه المزعوم؟. وأین سنه الطاعنة وتجاربه فی الأمور؟.

ان بائقة الأب هذه، کانت هی السبب الذی بعث روح القدوة فی طموح الابن. فلیشترکا - متضامنین - فی انجاز أعظم جریمة فی تاریخ الاسلام، تلک هی قتل سیدی شباب أهل الجنة الأحدین الذین لا ثالث لهما. ولیتعاونا معا، علی قطع " الواسطة الوحیدة " التی انحصر بها نسل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم. والجریمة - بهذا المعنی - قتل مباشر لحیاة رسول الله بامتدادها التاریخی!!.

نعم، والقاتلان - مع ذلک - هما الخلیفتان فی الاسلام!!..

فوا ضیعة الاسلام ان کان خلفاؤه من هذه النماذج!!..

* * وکان الدهاء المزعوم لمعاویة هو الذی زین له أسلوبا من القتل قصر عنه ابنه یزید. فکان هذا " الشاب المغرور - " وکان ذاک "الداهیة المحنک فی تصریف الأمور!!.."

ولو تنفس العمر بأبی سفیان إلی عهد ولدیه هذین، لأیقن انهما قد أجادا اللعبة التی کان یتمناها لبنی أبیه.

فاستعمل معاویة مروان بن الحکم (۱)، علی إقناع جعدة بنت الأشعث

(۱) وروی المسعودی هامش ابن الأثیر (ج ۵ ص ۱۹۸) والبیهقی (ج ۱ ص ۶۴) سعیی الحسن علیه السلام بالأمان لمروان یوم الجمل، وکان قد أخذ أسیرا، وقیل کان مختفیا فی بیت امرأة فی البصرة.

وقال الشريف الرضى فى النهج (ج ۱ ص ۱۲۱) قالوا ": أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فكلماه فيه فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أولم يبايعنى بعد قتل عثمان، لا حاجة لى فى بيعته، انها كف يهودية، لو بايعنى بكفه لغدر بسبته. اما ان له امرة كلعقة الكلب أنفه. وهو أبو الأكبش الأربعة. وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر. "! أقول: وجزى مروان سعى الحسن له بالأمان بسعيه إلى جعدة بقتله " وكل اناء بالذى فيه ينضح."

(۳۶۴)

مفاتيح البحث: سبطى رسول الله الحسنان عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مروان بن الحكم (۲)، التاريخ الإسلامى (۱)، الضياع (۱)، القتل (۵)، السب (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، إبن الأثير (۱)، مدينة البصرة (۱)، الشريف الرضى، أبو الحسن محمد بن الحسين (۱)

صفحه ۲۶۰

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۶۵

ابن قيس الكندى - وكانت من زوجات الحسن عليه السلام - بأن تسقى الحسن السم [وكان شربة من العسل بماء رومة]. فان هو قضى نحبه زوجها بيزيد، وأعطاها مائة الف درهم.

وكانت جعدة هذه بحكم بنوتها للأشعث بن قيس - المنافق المعروف - الذى اسلم مرتين، بينهما ردة منكرة، أقرب الناس روحا إلى قبول هذه المعاملة النكراء.

قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ": ان الأشعث شرك فى دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمت الحسن، وابنه محمد شرك فى دم الحسين."

أقول: وهكذا تم لمعاوية ما أراد.

وحكم بفعلته هذه على مصير أمة بكاملها، فأغرقها بالنكبات، وأغرق نفسه وبنيه بالذحول والحروب والانقلابات.

وتم له بذلك نقض المعاهدة إلى آخر سطر فيها.

وقال الحسن عليه السلام وقد حضرته الوفاة ": لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته، والله ما وفى بما وعد، ولا صدق فيما قال (۱.")

* * وورد بريد مروان إلى معاوية، بتنفيذ الخطة المسمومة، فقال ": يا عجبا من الحسن شرب شربة من العسل بماء رومة فقضى نحبه (۲.")

ثم لم يملك نفسه من اظهار السرور بموت الحسن عليه السلام.

"وكان بالخضراء، فكبر، وكبر معه أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف [زوج معاوية] من خوخة (۳) لها، فقالت ": سرك

(۱) المسعودى هامش ابن الأثير (ج ۶ ص ۵۵ - ۵۶).

(۲) ابن عبد البر.

(۳) هى الكوة التى تؤدى الضوء إلى البيت، والباب الصغير فى الباب الكبير.

(۳۶۵)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۱)، الإمام

الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۳)، التصدیق (۱)، الزوج، الزواج (۳)، السجود (۱)، النفاق (۱)، إبن الأثیر (۱)

صفحه ۲۶۱

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۶۶

الله یـا أمیر المؤمنین، ما هـذا الـذی بلغک فسـررت به. "؟ قال ": موت الحسن بن علی، " فقالت ": انا لله وانا الیه راجعون، " ثم بکت وقالت ": مات سید المسـلمین، وابن بنت رسول الله صلی الله علیه (وآله) وسلم " فقال معاویة ": نعما والله ما فعلت، انه کان کذلک، أهل ان یبکی علیه."

وزاد ابن قتیبـة علی هـذا بقوله ": فلما أتاه الخبر أظهر فرحا وسـرورا حتی سـجد وسـجد من کان معه، وبلغ ذلک عبـد الله بن عباس - وکان بالشام یومئذ - فدخل علی معاویة فلما جلس، قال معاویة: یا ابن عباس، هلک الحسن بن علی. فقال ابن عباس: نعم هلک انا لله وانـا الیه راجعون ترجیعا مکررا. وقـد بلغنی الـذی أظهرت من الفرح والسـرور لوفاته. أما والله ما سـد جسـده حفرتک، ولا زاد نقصان أجله فی عمرک. ولقد مات وهو خیر منک. ولئن أصبنا به، لقد أصبنا بمن کان خیرا منه، جده رسول الله صلی الله علیه وسلم. فجبر الله مصیبته وخلف علینا من بعده أحسن الخلافة.

"ثم شـهق ابن عباس وبکی من حضر فی المجلس، وبکی معاویة. قال الراوی: فما رأیت یوما أکثر باکیا من ذلک الیوم. فقال معاویة: کم اتی له من العمر؟ فقـال ابن عبـاس: امر الحسن أعظم من ان یجهل أحـد مولـده. قال: فسـکت معاویـة یسیرا ثم قال: یا ابن عباس، أصبحت سید قومک من بعده. فقال ابن عباس: أما ما أبقی الله أبا عبد الله الحسین فلا (۱.")

* * * وعرض الیعقـوبی (ج ۲ ص ۲۰۳) صورة عن الأثر العظیم الـذی قوبل به نبأ وفاة الحسن علیه السـلام فی الکوفة، وما اجتمع علیه زعماء الشیعة هناک فی دار کبیرهم (سلیمان بن صرد) وتعزیتهم الحسین علیه السلام بکتاب مفتجع بلیغ.

(۱) ابن قتیبة المتوفی سنة ۲۷۶ (ص ۱۵۹ - ۱۶۰) وذکر مثله أو قریبا منه الیعقوبی والمسعودی أیضا.

(۳۶۶)

مفاتیح البحث: إبن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام الحسین بن علی سید الشهداء (علیهما السلام) (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السـلام (۱)، الرسول الأکرم محمـد بن عبد الله صـلی الله علیه وآله (۱)، عبـد الله بن عباس (۷)، سلیمان بن صرد الخزاعی (۱)، مدینة الکوفة (۱)، الحسن بن علی (۲)، الشام (۱)، البکاء (۱)، الموت (۲)، الجهل (۱)، الهلاک (۲)، الوفاة (۲)

صفحه ۲۶۲

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۶۷

وبلغ نعیه البصـرة - وعلیها زیاد بن سمیة - فبکی الناس وعلا الضجیج فسمعه أبو بکرة [أخو زیاد لامه] - وهو إذ ذاک مریض فی بیته - فقال ": أراحه الله من شر کثیر، وفقد الناس بموته خیرا کثیرا یرحم الله حسنا (۱.")

وأبنه أخوه محمد بن الحنفیة، وقد وقف علی جثمانه الشریف، والیک نص تأبینه:

"رحمک الله أبا محمد، فوالله لئن عزت حیاتک، لقد هدت وفاتک. ونعم الروح روح عمر به بدنک، ونعم البدن بدن ضـمه کفنک، ولم لاـ تکـون کـذلک، وأنت سلیل الهـدی، وحلف أهـل التقوی، وخـامس أصـحاب الکسـاء. غـذتک کف الحق، وربیت فی حجر الاسلام، وأرضعتک ثدیا الایمان. فطب حیا ومیتا، فعلیک السلام ورحمة الله، وان کانت أنفسنا غیر قالیة لحیاتک، ولا شاکة فی الخیار لک (۲.")

* * * والنصوص علی اغتیال معاویة الحسن بالسم متضافرة کاوضح قضیة فی التاریخ.

ذكرها صاحب الاستيعاب، والإصابة، والارشاد، وتذكرة الخواص ودلائل الإمامة (٣). ومقاتل الطالبيين، والشعبى، واليعقوبى، وابن سعد فى الطبقات، والمدائنى، وابن عساكر، والواقدى، وابن الأثير، والمسعودى، وابن أبى الحديد، والمرتضى فى تنزيه الأنبياء. والطوسى فى أماليه، والشريف الرضى فى ديوانه، والحاكم فى المستدرك، وغيرهم.

وقال فى " البدء والختام ": " وتوفى الحسن سنة ۴۹ للهجرة. سمته جعدة بنت الأشعث بما دسه معاوية إليها، ومناها بزواج ولده يزيد، ثم

(١) ابن أبى الحديد (ج ۴ ص ۴).

(٢) اليعقوبى (ج ٢ ص ٢٠٠) والمسعودى هامش ابن الأثير (ج ۶ ص ۵۷) بتفاوت قليل فى بعض الكلمات.

(٣) للطبرى.

(٣۶٧)

مفاتيح البحث: كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط إبن الجوزى (١)، إبن أبى الحديد المعتزلى (٢)، أهل الكساء (١)، محمد بن الحنفية إبن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، إبن عساكر (١)، إبن الأثير (٢)، مدينة البصرة (١)، الشريف الرضى، أبو الحسن محمد بن الحسين (١)، القتل (١)، الزوج، الزواج (١)

صفحه ۲۶۳

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ٣۶٨

نقض عهدها."

وقال ابن سعد فى طبقاته ": سمه معاوية مرارا."

وقال المدائنى ": سقى الحسن السم أربع مرات."

وقال الحاكم فى مستدركه (١ "): ان الحسن بن على سم مرارا. كل ذلك يسلم حتى كانت المرة الأخيرة التى مات فيها، فإنه رمى كبده."

وقال اليعقوبى ": ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخى ان هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السم، ولم أسقه مثل مرتى هذه، وانا ميت من يومى. فإذا أنا مت فادفنى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما أحد أولى بقربه منى، الا أن تمنع من ذلك، فلا تسفك فيه محجمة دم."!

وقال ابن عبد البر ": دخل الحسين على الحسن، فقال: يا أخى انى سقيت السم ثلاث مرات، ولم اسق مثل هذه المرة. انى لأضع كبدى. فقال الحسين: من سقاك يا أخى؟. قال: ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتلهم؟ كلهم إلى الله."

وقال الطبرى فى دلائل الإمامة (٢ "): وكان سبب وفاته أن معاوية سمه سبعين مرة فلم يعمل فيه السم، فأرسل إلى امرأته جعدة بنت محمد (كذا) بن الأشعث بن قيس الكندى وبذل لها عشرين الف دينار واقطاع عشر ضياع من شعب السواد، سواد الكوفة، وضمن لها أن يزوجها يزيد ابنه. فسقت الحسن السم فى برادة من الذهب فى السويق المقند."

* * وقال الله عز من قائل ": فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم."

(١) (ج ۶ ص ۵) طبع باريس.

(٢) ص ۶١.

خاتمة: فى الموازنة بين ظروف الحسن وظروف الحسين

(۳۶۸)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، أشعث بن قيس الكندى (١)، الحسن بن على (١)، الموت (١)

صفحه ۲۶۴

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۷۰

ورأى كثير من الناس، ان الشمم الهاشمى الذى اعتاد ان يكون دائما فى الشواهق، كان أليق بموقف الحسين عليه السلام، منه بموقف الحسن عليه السلام.

وهذه هى النظرة البدائية التى تفقد العمق ولا تستوعب الدقة.

فما كان الحسن فى سائر مواقفه، الا الهاشمى الشامخ المجد، الذى واكب فى مجادته مثل أبيه وأخيه معا، فإذا هم جميعا أمثولة المصلحين المبدئيين فى التاريخ. ولكل - بعد ذلك - جهاده، ورسالته، ومواقفه التى يستمليها من صميم ظروفه القائمة بين يديه، وكلها الصور البكر فى الجهاد، وفى المجد، وفى الانتصار للحق المهتضم المغصوب.

* * * وكان احتساء الموت - قتلا - فى ظرف الحسين، والاحتفاظ بالحياة - صلحا - فى ظرف الحسن، بما مهدا به - عن طريق هاتين الوسيلتين - لضمان حياة المبدأ، وللبرهنة على إدانة الخصوم، هو الحل المنطقى الذى لا معدى عنه، لمشاكل كل من الظرفين، وهو الوسيلة الفضلى إلى الله تعالى، وان لم يكن الوسيلة إلى الدنيا. وهو الظفر الحقيقى المتدرج مع التاريخ وان كان فيه الحرمان حالا، وخسارة السلطان ظاهرا.

وكانت التضحيتان: تضحية الحسين بالنفس، وتضحية الحسن بالسلطان، هما قصارى ما يسمو اليه الزعماء المبدئيون فى مواقفهم الانسانية المجاهدة.

وكانت عوامل الزمن التى صاحبت كلا من الحسن والحسين فى زعامته، هى التى خلقت لكل منهما ظرفا من أصدقائه، وظرفا من أعدائه،

(۳۷۰)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الموت (١)

صفحه ۲۶۵

صلح الحسن (ع) - السيد شرف الدين - الصفحة ۳۷۱

لا يشبه ظرف أخيه منهما، فكان من طبيعة اختلاف الظرفين اختلاف شكل الجهادين، واختلاف النهايتين أخيرا.

١ - ظروفهما من أنصارهما ومثلت خيانة الأصدقاء الكوفيين، بالنسبة إلى الحسين عليه السلام خطوته الموفقة فى سبيل التمهيد لنجاحه المطرد فى التاريخ، ولكنها كانت بالنسبة إلى أخيه الحسن عليه السلام - يوم مسكن والمدائن - عقبته الكؤود التى شلت ميدانه عن تطبيق عملية الجهاد. ذلك لان حوادث نقض بيعة الحسين كانت قد سبقت تعبئته للحرب، فجاء جيشه الصغير يوم وقف به للقتال، منخولا من كل شائبة تضيره كجيش امام له أهدافه المثلى.

أما الجيش الذى أخذ مواقعه من صفوف الحسن، ثم فر ثلثاه ونفرت به الدسائس المعادية، فإذا هو رهن الفوضى والانتقاض والثورة، فذلك هو الجيش الذى خسر به الحسن كل أمل من نجاح هذه الحرب.

ومن هنا ظهر أن هؤلاء الأصدقاء الذین بایعوا الحسن وصحبوه إلی معسکراته کمجاهدین، ثم نکثوا بیعتهم وفروا إلی عدوهم أو ثاروا بامامهم، کانوا شرا من أولئک الذین نکثوا بیعة الحسین قبل ان یواجهوه.

وهکذا مهد الحسین لحربه - بعد أن نخلت حوادث الخیانة أنصاره - جیشا من أروع جیوش التاریخ اخلاصا فی غایته وتفادیا فی طاعته وان قل عددا.

أما الحسن فلم یعد بامکانه أن یستبقی حتی من شیعته المخلصین أنصارا یطمئن إلی جمعهم وتوجیه حرکاتهم، لان الفوضی التی انتشرت عدواها فی جنوده کانت قد أفقدت الموقف قابلیة الاستمرار علی العمل، کما أشیر الیه سابقا.

وأی فرق أعظم من هذا الفرق بین ظرفیهما من أنصارهما؟.

۲ - ظروفهما من أعدائهما وکان عدو الحسن هو معاویة، وعدو الحسین هو یزید بن معاویة. وللفرق بین معاویة ویزید ما طفح به التاریخ، من قصة البلادة السافرة فی " الابن. " والنظرة البعیدة العمق التی زعم الناس لها الدهاء فی " الأب."

وما کان لعداوة هذین العدوین ظرفها المرتجل مع الحسن والحسین، ولکنها الخصومة التاریخیة التی أکل علیها الدهر وشرب بین بنی هاشم وبنی أمیة.

ولم تکن الأمویة یوما من الأیام کفوا للهاشمیة (۱). وانما کانت عدوتها التی تخافها علی سلطانها، وتناوئها - دون هوادة -. وکان هذا هو سر ذکرها بإزائها فی أفواه الناس وعلی أسلات أقلام المؤرخین. والا فأین سورة الهوی من مثل الکمال؟ وأین انساب الخنا من المطهرین فی الکتاب؟. وأین شهوة الغلب، وحب الأثرة، وألوان الفجور، من شتیت المزایا فی ملکات العقل، وسمو الاخلاق، وطهارة العنصر، وآفاق العلوم التی تعاونت علی تغذیة الفکر الانسانی فی مختلف مناحی الثقافات العالیة، فأضافت إلی ذخائره ثروة لا تطاول؟.

أولئک هم بنو هاشم الطالعون بالنور.

وأین هؤلاء من أولئک؟.

ولم یکن من الاحتمال البعید ما قدره الحسن بن علی احتمالا قریبا، - فیما لو اشتبک مع عدوه التاریخی معاویة بن أبی سفیان بن حرب فی

(۱) قال أمیر المؤمنین علیه السلام فیما کتبه إلی معاویة جوابا ": ولم یمنعنا قدیم عزنا ولا عادی طولنا علی قومک أن خلطناکم بأنفسنا فنکحنا وأنکحنا فعل الأکفاء، ولستم هناک، وأنی یکون ذلک کذلک ومنا النبی ومنکم المکذب، ومنا أسد الله ومنکم أسد الاحلاف، ومنا سیدا شباب أهل الجنة ومنکم صبیة النار، ومنا سیدة نساء العالمین ومنکم حمالة الحطب، إلی کثیر مما لنا وعلیکم."

(۳۷۱)

مفاتیح البحث: الإمام الحسین بن علی سید الشهداء (علیهما السلام) (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)، معاویة بن أبی سفیان لعنهما الله (۱)، الدولة الأمویة (۱)، یزید بن معاویة لعنهما الله (۱)، بنو أمیة (۱)، بنو هاشم (۲)، الحسن بن علی (۱)، القتل (۱)، الحرب (۲)، الشهوة، الإشتهاء (۱)، الخسران (۱)، الأکل (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، السیدة فاطمة الزهراء سلام الله علیها (۱)

صفحه ۲۶۶

صلح الحسن (ع) - السید شرف الدین - الصفحة ۳۷۳

حرب یائسة مثل هذه الحرب - أن تجر الحرب بذیولها أکبر کارثة علی الاسلام، وأن تبید بمکائدها آخر نسمة تنبض بفکرة التشیع لأهل البیت علیهم السلام. ولمعاویة قابلیاته الممتازة لتنفیذ هذه الخطة وتصفیة الحساب الطویل فی التاریخ، وهو هو فی عدائه الصریح لعلی ولأولاده ولشیعتهم.

وفیما مر من الکلام علی هذا الموضوع کفایة عن الإعادة.

أما الحسین فقد کفی مثل هذا الاحتمال حین کان خصمه الغلام المترف الذی لا یحسن قیادة المشاکل، ولا تعبئة التیارات، ولا حیاکة الخطط، ثم هو لا یعنیه من الامر الا ان یکون الملک ذا الخزائن، حتی ولو واجهه الأخطل الشاعر بقوله – علی روایة البیهقی –:

"ودینک حقا کدین الحمار * * بل أنت اکفر من هرمز " وکفی الحسین هذا الاحتمال، بما ضمنه سیف الارهاب الذی طارد الشیعة تحت کل حجر ومدر فی الکوفة وما إلیها، والذی حفظ فی غیابات السجون والمهاجر وکهوف الجبال سیلا من السادة الذین کانوا یحملون مبادئ أهل البیت، وکانوا یؤتمنون علی ایصال هذه المبادئ إلی الأجیال بعدهم.

فرأی ان یمضی فی تصمیمه مطمئنا علی خطته وعلی أهدافه وعلی مستقبلهما من أعدائه.

أما الحسن فلم یکن له أن یطمئن علی مخلفاته المعنویة طمأنینة أخیه وفی أعدائه معاویة وثالوثه المخیف وخططهم الناصبة الحقود التی لا حد لفظاعتها فی العداوة والحقد.

* * وأخیرا فقد أفاد الحسین من غلطات معاویة فی غاراته علی بلاد الله الآمنة المطمئنة، وفی موقفه من شروط صلح الحسن، وفی قتله الحسن بالسم، وفی بیعته لابنه یزید وفی أشیاء کثیرة أخری، بما زاد حرکته فی

(۳۷۳)

مفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، مدینة الکوفة (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، التعبأة، العبء (۱)، القتل (۱)، الحرب (۳)

صفحه ۲۶۷

صلح الحسن (ع) – السید شرف الدین – الصفحة ۳۷۴

وجه الأمویة قوة ومعنویة وانطباقا صریحا علی وجهة النظر الاسلامی فی الرأی العام.

وأفاد – إلی ذلک – من مزالق الشاب المأخوذ بالقرود والخمور " خلیفة معاویة، " فکانت کلها عوامل تتصرف معه فی تنفیذ أهدافه.

وکانت ظروفه من أعدائه وظروفه من أصدقائه تتفقان معا علی تأیید حرکته، وانجاز مهمته، والاخذ به إلی النصر المجنح الذی فاز به فی الله وفی التاریخ.

أما الحسن فقد أعیته – کما بینا سابقا – ظروفه من أصدقائه فحالت بینه وبین الشهادة، وظروفه من أعدائه فحالت بینه وبین مناجزتهم الحرب التی کان معناها الحکم علی مبادئه " بالاعدام."

لذلک رأی لزاما ان یطور طریقة جهاده، وان یفتتح میدانه من طریق الصلح.

وما کانت الألغام التی وضعها الحسن فی الشروط التی أخذها علی معاویة الا وسائله الدقیقة التی حکمت علی معاویة وحزبه بالفشل الذریع فی التاریخ.

ومن الصعب حقا أن نمیز – بعد هذا – أی الأخوین علیهما السلام کان أکبر أثرا فی جهاده، وأشد نفوذا إلی أهدافه، وأبعد امعانا فی النکایة بأعدائه.

ولم یبق مخفیا أن تاریخ نکبات أمیة بعد عملیة الحسن فی الصلح کان متصلا بالحسن، مرهونا بخططه، خاضعا لتوجیهه. وأن حادثا واحدا من أحداث تلک النکبات لم یکن لیقع کما وقع، لولا هذه العملیة الناجحة التی کان من طبیعة ظروفها أن تستأثر بالنجاح، وکان من طبیعة خصومها أن یکونوا أعوانا علی نجاحها من حیث یشعرون أو لا یشعرون.

(۳۷۴)

مفاتیح البحث: الدولة الأمویة (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۲)، الشهادة (۱)، الحرب (۱)، النفاذ، التنفیذ (۱)

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنوار، للعلّامـة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةِ

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفتَرَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.


مرکز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹